

شرح الطبعة الكبيرة للقول المفيد

الشرح الجديد على القول المفيد في أدلة التوحيد

لفضيلة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب الوصابي

تأليف
أبي عبد الله المصنعي





الشـــرح المجيد

على

القول المفيد

في أدلة التوحيد



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٤٠٢ / ٢٠١١م

دار عمر بن الخطاب
للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة - مساكن عين شمس

محمول: ٠٠٢٠١٢٤٦١٨٣٣٦

الشـــرح الجـــديـــد

على

القول المفيد

في أدلة التوحيد

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب الوصابي العبدلي

شرح

أبي عبد الله المصنعي

دار عمر بن الخطاب

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله الحي القيوم، الخالق، المالك، الرازق، الرب، الرحيم، الرحمن، الكريم، الإله، الحق، العليم، الخبير، ذي الجلال والإكرام، يحب الموحدين، ويرضىٰ عن المتبعين، ويكرم المخلصين العاملين الراجين له الخائفين، فعال لما يريد، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ويغضب علىٰ الملحدين، ويمقت المشركين، ويهين المبتدعين، وهو الجبار المتين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، النبي الأمين الداعي إلىٰ توحيد الله رب العالمين.

أما بعد:

فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأزكاها، وأساسها وعمودها وذروة سنامها، فمن أجل التوحيد أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام عَلَم الجهاد، ونحن في زمان تفشىٰ فيه الشرك وصار له قرون، فحق علىٰ كل مسلم غيور علىٰ الإسلام والسنة أن يجتهد في نشر دعوة التوحيد باللسان والبيان والقلم والسِّنان، في الليل والنهار، والصحة والمرض، والسفر والحضر، مع كبار السن وصغارهم، ورجالهم ونسائهم، وحضرهم وبدوهم، ومثقفيهم وعامتهم، ويحتسب الأجر علىٰ الله تعالىٰ.

فإن الدعوة إلىٰ التوحيد من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، ومن أجلِّ الطاعات، وأوثق الأعمال والعبادات.

وإن كتاب «**القول المفيد**» من أحسن كتب التوحيد المختصرة سهولةً وبيانًا وشموليةً وأسلوبًا، فجزىٰ الله مؤلفه خيرًا.

وقد استعنت بالله تعالىٰ علىٰ شرحه؛ فتم ذلك غير مرة -بحمد الله تعالىٰ-،

ومن ذلك كتاب «**أيسر الشروح علىٰ القول المفيد**»، وهو مطبوع -ولله الحمد-، ثم مؤخرًا شرح الله صدري إلىٰ شرح الطبعة الكبيرة من القول المفيد، فاستعنت بمولاي سبحانه وشرعت فيه؛ فتم هذا السفر في ثمانية أشهر، فلربي الحمد والشكر والفضل والثناء الحسن، وأسأله المزيد من فضله.

وقد حصل توسع في الشرح نوعًا ما في بعض المواضع التي اقتضت المصلحة ذلك، وسائر الكتاب شرح متوسط، وغالب مادة الشرح من كتب أهل العلم الكبار من أهل السنة، فأسأل الله ﷻ التوفيق والثبات، والقبول وحسن الختام.

ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه.

كتبه

أبو عبد الله محمد بن أحمد المصنعي

٧١٢٩٣٣١٧٦

في دار الحديث - معبر - حماها الله تعالىٰ

حرر بتاريخ ٢٨ شعبان لعام ١٤٣٠هـ

الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي

* اسمه ونسبه:

أبو إبراهيم محمد بن عبد الوهاب بن علي الوصابي العبدلي اليمني (الوصابي) نسبة إلىٰ وصاب السافل من أعمال ذمار وتقع غرب ذمار علىٰ بعد نحو (٨ ساعات) بالسيارة.

(العبدلي) نسبة إلىٰ بني عبد الله وهي عزلة من وصاب الأسفل.

* مولده ونشأته:

ولد في الخمسينيات تقريبًا في عزلة بني عبد الله ونشأ بها وكان يميل إلىٰ الاستقامة منذ صباه، لاسيما مع كونه نشأ في أسرة متدينة فنشأ في سمته وسكينته.

* طلبه للعلم:

ودرس في المكتب الخط والقراءة والكتابة وحفظ من القرآن الكريم علىٰ يد والده ومدرسيه.

وفي شبابه رحل إلىٰ المملكة وكان يدرس أيضًا في الحرم المكي ودرس في معهد الحرم فترة من الزمن ثم رجع إلىٰ بلده وقام بالدعوة إلىٰ التوحيد ونبذ الشركيات والبدع والمذهبية، فعارضه من عارضه وأنكروا عليه لاسيما وأن مذهبهم شافعي وللصوفية اليد الطولىٰ في بدع وشركيات في تلك البلاد.

ثم استقر الأمر علىٰ قبول السنة وانتشرت في تلك البلاد بسبب ذلكم الشيخ المبارك وغيره.

ورحل أيضًا إلىٰ الشيخ مقبل -رحمه الله تعالىٰ- وبقي في دماج نحو أربع سنوات خلا الشتاء منها، وكان يدرس في تلكم القلعة الشامخة ويدرس الطلاب في دروس خاصة وغير ذلك.

*** انتقاله إلى الحديدة:**

كان الشيخ -حفظه الله تعالى- قد بني له مسجدًا في مدينة الحديدة (مسجد السنة) فانتقل إليه واستقر فيه فرحل إليه طلبة كثير، وهو قائم هنالك بالدعوة والتعليم والتأليف والفتوى ونشر السنة.

*** تآليفه:**

الشيخ له باع في التأليف فله من المؤلفات: «**القول المفيد في أدلة التوحيد**»[(١)]، «**إيضاح الدلالة في تخريج حديث: لا اعتكاف إلا في المساجد الثلاثة**»، «**القول الجلي في عمرة المكي**»، «**عدد درجات المنبر**»، «**حكم رضاع الكبير**».

وله من المؤلفات ما يزيد عن ثمانين مؤلفًا كما أخبرني الأخ محمد بن يحيى الوصابي أنه سمع ذلك من الشيخ في أحد دروسه، وانظرها كاملة في كتابي «محدث الجزيرة».

وقد وصف الشيخ مقبل -رحمه الله تعالى- مؤلفات الشيخ محمد وتآليفه بقوله: «المتقن في تحقيقاته وتآليفه، كلامه على الحديث في غاية الإتقان» ترجمته من كتاب الترجمة للشيخ -رحمه الله تعالى-. وقال في مقدمة «إيضاح الدلالة»: وقد جمع بين الفقه والحديث فيذكر التراجم واختلاف العلماء ويذكر درجة الحديث. اهـ

*** حرصه على تطبيق السنة والدعوة إليها بالقول والفعل:**

إن الشيخ محمدًا يعتبر آية في تطبيق السنة في حياته كلها في مأكله ومشربه وزواجه ودعوته وصلاته وصومه ... وسائر عبادته، ففي مسجده «مسجد السنة» الأذان على السنة لا تمطيط ولا بدع فيه، والصلاة على السنة كما أنه أيضًا بنى مسجده على السنة لولا تدخل بعض المسئولين الذين ألزموه على بناء محراب فيه، وهكذا في المحاضرات يحث على السنة كما سمعناه في محاضرة له، يقول: «السنة أن يكون المهر (٥٠٠ درهم) بما يعادل (كذا وكذا) يمني وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وأهل

---

(١) وكان تأليفه عام ١٤٠٥هـ؛ أي: قبل عشرين عامًا.

السنة يكونون -إن شاء الله- في المقدمة وأنا -والحمد لله- قد طبقت هذا في بناتي، أقول له هذا هو المهر... نطبق السنة ونحرص أن نكون سنيين بالقول وبالعمل وهذا يعتبر دعوة، التطبيق العملي دعوة إلىٰ الخير وبركة والله» شريط أحكام الزواج.

وقال: «فنحن عباد الله مطالبون أن نعمل بالإسلام، وأن نطبقه إذا أردنا أن نسعد، وأن نفلح وأن نفوز في الدنيا والآخرة قولًا وعملًا وتطبيقًا». (المرجع السابق)

وقال الشيخ مقبل -رحمه الله تعالىٰ- واصفًا الشيخ محمدًا: شدة محبته للسنة.

إذا ظهر له الحق عض عليه بالنواجذ ولا يبالي بمن خالفه.

محبته الشديدة لأهل السنة وكراهيته للمبتدعة.

اهتمامه بالعقيدة.

الفهم الصحيح في استنباط الفوائد.

البغض الشديد للحزبية المقيتة التي فرقت شمل المسلمين.

التواضع والرفق والحلم والأناة فقد وفق -**حفظه الله**- **لذلك** حتىٰ أحبه طلبة العلم والعامة. «مقدمة القول المفيد» والشاهد: ذكر السنة وتمسكه بها.

❊ موقفه من المبتدعة:

لقد عرف الشيخ ببغضه للبدع وأهلها وشهد له **بذلك العلماء** الكبار.

يقول الشيخ مقبل -رحمه الله تعالىٰ-: الشيخ محمد هو الداعي إلىٰ جمع كلمة المسلمين المحذر من الحزبية المساخة، ويبغض المبتدعة كل بقدر بدعته «مقدمة إيضاح الدلالة».

وقال في مقدمة «تنوير الظلمات للشيخ محمد الإمام»: ومن علماء السنة المعاصرين الواقفين في وجه أصحاب الباطل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ ابن باز، والشيخ ربيع وآخرون، وفي اليمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي -فبدأ به-، والشيخ عبد العزيز البرعي، والشيخ عبد الله بن عثمان، والشيخ

عثمان العتمي، والشيخ يحيىٰ الحجوري، والشيخ أحمد بن سعيد الحجري، والشيخ عبد الرقيب الإبي، ومن بين ذلك الشيخ محمد بن عبد الله الإمام وهو جامع بين العلم والعمل والدعوة ...اهـ المراد.

وقال في مقدمة «فتح الوهاب للشيخ يحيىٰ»: وفي زماننا علماء أجلاء واقفون في وجوه هذه البدع منهم الشيخ ابن باز... وفي اليمن جملة مباركة منهم الشيخ عبد العزيز البرعي، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد الإمام، والشيخ عبد المصور، والشيخ الفاضل السني السلفي الذي لا تزال دروسه وكتبه تحارب البدع وهو الشيخ يحيىٰ الحجوري ...اهـ المراد.

*** زهده وورعه:**

مما لا شك فيه أن الشيخ رجل زاهد ورع صبور علىٰ الفقر والشدائد وقد سمعناه يقول -حفظه الله تعالىٰ-: كنا ندرس يعني في معهد الحرم، ويعطونا في اليوم ريال واحد مصروف اليوم كله ونصبر من أجل العلم وما أستدين إنْ عندي اشتريت ما يسر الله تعالىٰ، وإن لم يكن عندي مال صبرت ولا أستدين وهكذا كان أبي -رحمه الله تعالىٰ- ولا أزال علىٰ هذا...اهـ بالمعنىٰ.

وقد وصفه الشيخ مقبل -رحمه الله تعالىٰ- بقوله: الزاهد الورع الصبور علىٰ الفقر والشدائد.

ومع هذا الزهد العجيب قرين حبيب وهو العفاف الشديد ومن أقوال الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- الدالة علىٰ شدة عفته قال: معاذ الله أن نبيع ديننا بدنيانا للجمعيات أو لغيرهم كما فعل أبو الحسن.

وقال: أهل السنة دعوتهم ما فيها البدع ولا الحزبيات ولا الجمعيات ولا تجميع الأموال كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد:٣٦]. أهل السنة ما يجمعون الناس من أجل المال «شريط أحكام الزواج».

*** مشايخه:**

وهم كثير أخذ عنهم بين مقلٍّ ومكثر، ومنهم: الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز،

والشيخ ابن عثيمين، والشيخ مقبل، والشيخ صالح بن حميد -رحمهم الله جميعًا-.

*** طلابه:**

وهم كثير أيضًا أخذوا عنه بين مقلٍّ ومكثر، منهم: الشيخ يحيىٰ الحجوري، والشيخ عثمان السالمي، والشيخ جميل الصلوي، وكثير من كبار الطلاب بدماج درسوا عنده عند بقائه بدماج، وله طلبة كثير في دار الحديث بالحديدة، منهم: الشيخ محمد المحمدي، والشيخ علي القليسي، والشيخ صادق البيضاني، والشيخ محمد با موسىٰ، والشيخ أحمد بن سالم الزبيدي، والأخ فاضل الوصابي وغيرهم.

*** ثناء العلماء عليه:**

قال الشيخ مقبل -رحمه الله تعالىٰ- «في مقدمة إيضاح الدلالة»: الشيخ الفاضل محمد بن عبد الوهاب شيخ التوحيد والحديث والفقه والأخلاق الفاضلة والزاهد الورع وهو المربي الرحيم، وهو الداعي إلىٰ جمع كلمة المسلمين المحذر من الحزبية، وهو الصبور علىٰ الفقر والشدائد، وهو الحكيم في الدعوة يحب سلف الأمة، ويبغض المبتدعة كل بقدر بدعته، نسأل الله أن يثبتنا وإياه علىٰ الحق وأن يختم لنا وله بالحسنىٰ إنه سميع الدعاء. اهـ

وقال في الترجمة: الداعي إلىٰ الله الزاهد الصابر المتقن في تحقيقاته وتآليفه، كلامه علىٰ الحديث في غاية من الإتقان، وهو قائم بمركز علمي في الحديدة بمسجد السنة. اهـ (ص١٦٥).

وقال في بعض دروسه: لو أنصفوا لجعلوا الشيخ محمدًا مفتي اليمن.

وقال أيضًا: إذا مت فعليكم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وقال: ومن العلماء الأجلاء الواقفون في وجه الباطل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي.

وقال الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ-: الشيخ محمد الوصابي عالم سني عاقل. (شريط أسئلة حضرموت).

وأثنىٰ عليه الشيخ ربيع في أكثر من مجلس من مجالسه، وشهد له بأنه من العلماء الكبار.

وقال العلامة أحمد سلامة -رحمه الله تعالىٰ-: إن الأخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الوصابي أهدىٰ إليَّ رسالة أسماها القول المفيد ....اهـ. المراد مقدمته للقول المفيد.

وقال الشيخ أحمد النجمي -حفظه الله تعالىٰ-: العالم الجليل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي. مقدمته للقول المفيد.

وقال الشيخ يحيىٰ -حفظه الله تعالىٰ-: الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي الشيخ الجليل الثبت الزاهد الصبور والعالم الوقور... من رءوس حماة غرس السنة بلا مدافعة، منحه الله السكينة ومحبة السنة وأهلها، مواعظه أغلىٰ من الدرر له تآليف مطبوعة من أروعها «القول المفيد» وله مركز علمي مبارك بالحديدة يقيم فيه دروسًا نافعة.

❊ [من كتاب الطبقات]:

وقال الشيخ محمد الإمام -حفظه الله تعالىٰ-: والدنا العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي -حفظه الله تعالىٰ-.

وقال الشيخ عبد الله عثمان: الشيخ العلامة الإمام محمد بن عبد الوهاب الوصابي ... (مقدمة إحدىٰ المحاضرات بمعبر).

❊ خاتمة:

هذه نبذه يسيرة من ترجمة الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- والمراد هو التعريف المختصر به وبجهوده، واستيعاب سيرته كاملة يطول، والله المستعان.

مقدمة الطبعة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذه مقدمة الطبعة السابعة من كتاب «**القول المفيد في أدلة التوحيد**» محققة ومنقحة ومزيدة، تمتاز عن الطبعات السابقة بما يلي:

١- الزيادات والإضافات التي توجد فيها مثل:

«الدعوة إلىٰ الله -أهل السنة وسط بين الفرق- أهل السنة لا يكفرون أحدًا من المسلمين -الإنسان مخير ومسير-...». ومواضيع أخرىٰ كثيرة.

٢- تحقيقات وتعليقات وفوائد حديثية وعقدية تشد لها الرحال، يجدها القارئ في هذه الطبعة.

٣- الدفاع عن توحيد المتابعة الذي ضاق منه وانزعج الحزبيون والمبتدعون، ونقل كلام عشرة من علماء الأمة يقولون به ويؤكدون من شأنه، علىٰ رأسهم أئمة العصر:

١- سماحة الشيخ الوالد: عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالىٰ-.

٢- الشيخ العلامة محدث العصر: محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

٣- الشيخ العلامة المحدث: مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله تعالىٰ-.

٤- مما زاد هذه الطبعة رونقًا وجمالًا كثرة النقولات من كتب أهل العلم من أهل السنة والجماعة المتقدمين والمعاصرين، ووضع عباراتهم في المكان المناسب مما يزيد القارئ طمأنينة بما يقرأ ثم بما يعتقد.

٥- فوائد أخر عديدة كالدر المنثور في ثنايا هذا الكتاب، يحتاج إليها المتبدئ ولا يستغني عنها المنتهي، منتقاة من بطون الكتب ستقر بها أعين الموحدين من أهل السنة، أما الذين لا همَّ لهم إلا الطعن في كتب أهل العلم من أهل السنة والجماعة ولا ينظرون إلىٰ الحق إلا بمنظار الهوىٰ[1] فأولئك أسأل الله لي ولهم الهداية ولجميع المسلمين.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

الحديدة في ١٢/ ٥/ ١٤٢١هـ

المؤلف

---

(١) من أهل الجهل والبدع.

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين.

والصلاة والسلام الأتَمَّان الأكملان علىٰ من أرسله الله رحمة للعالمين نبينا محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فهذه هي الطبعة الرابعة لكتابي «القول المفيد في أدلة التوحيد»، أقدمه للطبع بعد أن نفدت الطبعة السابقة.

وأسأل الله الكريم العظيم بأسمائه وصفاته أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم بمنِّه وكرمه، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إن ربي لسميع الدعاء.

وقد رتبت وحذفت وأضفت أشياء بحسب المقام.

وإني أسأل الله أن يرزقني وإخواني المؤمنين العلم النافع والعمل الصالح، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

اليمن في ١/ ١/ ١٤١١هـ

أبو إبراهيم

القول المفيد في أدلة التوحيد[١]

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم[٢]

إن الحمد[٣] لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ....

(١) القول: اللفظ الدال على معنى (المفيد)، ما تتم به الفائدة ويصح الاكتفاء به، (في) حرف جر، (أدلة) اسم مجرور، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره (حاصل).
أدلة: جمع دليل وهو في اللغة المرشد، والمراد به هنا نصوص الكتاب والسنة، (التوحيد) مصدر من وحَّد يوحد توحيدًا؛ أي: جعل الشيءَ واحدًا.
وشرعًا: هو إفراد الله ﷻ بما يختص به من ربوبيته وألوهيته، وأسمائه، وصفاته ﷻ.
انظر: «فتاوى العلامة ابن عثيمين» (٢/ ٧)، «لوامع الأنوار» (١/ ٥٦)، «مجموعة التوحيد» (١/ ٩٣).

(٢) ابتدأ المؤلف رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله ﷻ، وبسنة الرسول ﷺ، فقد كان يفتتح رسائله بالبسملة كما في رسالته إلى هرقل **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل...»**. (خ٧) (م١٧٧٣).
قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- في (باسم الله): «الجار والمجرور متعلق بمحذوف فعل مؤخر مناسب للمقام تقديره (باسم الله أكتب...)، (الله) علم على الباري -جل وعلا- وهو الاسم الذي تتبعه الأسماء.
(الرحمن) معناه: المتصف بالرحمة الواسعة، (الرحيم) معناه: ذو الرحمة الواصلة». «مختصر من شرح الأصول الثلاثة» (ص١٧-١٨).
ولابن القيم كلام نفيس في المجلد الأول من المدارج، وقد رتبه صاحب «بدائع التفسير» المجموع من كلام ابن القيم فراجعه.

(٣) (الحمد) لغة: الثناء، وشرعًا: الثناء على الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا وأفعاله، مع المحبة والتعظيم والخضوع.
=

ونعوذ بالله[١] من شرور أنفسنا[٢]، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له[٣].

=

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «الحمد هو الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له والتعظيم».

وقال: «وذكر الحمد بالألف واللام التي تقتضي الاستغراق لجميع المحامد، فدل علىٰ أن الحمد كله لله». اهـ

«الفتاوىٰ» (١/ ٨٩)، (٨/ ٣٧٨)، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:٣٦].

قوله: (ونستعينه): الاستعانة لغة: طلب العون، وهي ثلاثة أقسام:

١- استعانة بالله تعالىٰ، وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه وتفويض الأمر إليه واعتقاد كفايته، وهذه لا تكون إلا لله، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

٢- الاستعانة بالمخلوق علىٰ أمر يقدر عليه وهي مشروعة في المشروع ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾، وحرام في الإثم ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وجائزة في المباحات.

٣- الاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر غير القادر فهذه لغو لا طائل تحتها.

٤- الاستعانة بالأموات مطلقًا أو بالأحياء علىٰ أمر غائب لا يقدرون علىٰ مباشرته فهذا شرك... «شرح الأصول الثلاثة» لابن عثيمين (ص٦٢-٦٣).

قوله: (ونستغفره)؛ أي: نطلب مغفرته، قال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:٣].

(١) قوله: (ونعوذ بالله)؛ أي: نلجأ إلىٰ الله ﷻ ليعصمنا. (والتفصيل فيها كالاستعانة كما في المصدر السابق (ص٦٣-٦٤).

(٢) (شرور أنفسنا) كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

(وسيئات أعمالنا): وهي ما خالف الكتاب والسنة، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر:٤٨].

(٣) قال الله تعالىٰ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف:١٧]، من يهده الله تعالىٰ بمنه وفضله فهو المهتدي للحق، ومن يضلل بعدله وحكمته فيخذله ويكله إلىٰ نفسه فلا هادي له من دون الله تعالىٰ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله[١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[٢]﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ[٣]:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بِدعة، وكل بِدعة ضلالة، وكل ضلالة فِي النار.

ثم أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في أدلة التوحيد سميتها «**القول المفيد في أدلة التوحيد**»، جمعت أدلتها من القرآن الكريم ومما ثبت في السنة النبوية، وقد طبعت الطبعة الأولىٰ في الحديدة عام: ١٤٠٥ هـ.

---

(١) سيأتي في أبواب قريبة شرح الشهادتين.

(٢) هذه الآيات العظيمة تذكر في خطبة النكاح والجمعة وغيرها.

وتفسير آية آل عمران (١٠٢): هذا أمر من الله تعالىٰ لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه وأن يستمروا علىٰ ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلىٰ الممات.

(وآية النساء): افتتح الله سورة النساء بالأمر بتقواه والحث علىٰ عبادته والأم بصلة الرحم، والحث علىٰ ذلك، وأن الموجب لتقواه لأنه (ربكم الذي خلقكم)، ورباكم ورزقكم... وأنه رقيب مطلع علىٰ العباد وسرهم وجهرهم، وأنه يلزم القيام بحق الله، وكذلك حق العباد...

(وآية الأحزاب) أمر الله تعالىٰ بتقواه وخص القول السديد وهو الموافق للصواب ثم ذكر ما يترتب علىٰ ذلك من خير ومغفرة... «تفسير السعدي».

(٣) أما بعد: كلمة يؤتىٰ بها للانتقال من المقدمة إلىٰ الموضوع -غالبًا- «انظر الكواكب الدرية» (ص٥).

وهأنا أقدم للقراء الكرام الطبعة الثانية وفيها زيادات وتحقيقات، أسال اللهَ العظيمَ أن ينفع بها، وأن يجعلها -وكل أعمالي- خالصة لوجهه الكريم، إنه علىٰ كل شيء قدير.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

صنعاء: في ٢٣ جمادىٰ الأولىٰ عام ١٤٠٦هـ

أبو إبراهيم

محمد بن عبد الوهاب بن علي الوصابي العبدلي

معنى: لا إله إلا الله[(١)]

أي: لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فبباطل[(٢)].

---

(١) (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد والإسلام والتقوىٰ وهي العروة الوثقىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦]، والأدلة كثيرة.

وهي أول ما يؤمر به من أراد الدخول في الإسلام قولًا واعتقادًا.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون علىٰ أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون علىٰ أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ». «درء التعارض» (٨/ ١١).

وفي الصحيحين (خ٢٥) (م٢٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك؛ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله**».

وقد وردت في فضل هذه الكلمة العظيمة أحاديث وآيات كثيرة، جمعها شيخنا المؤلف -غفر الله له- في رسالة مستقلة مفيدة، وجمع غير واحد في ذلك فأغنىٰ عن سردها هنا، وانظر: مقدمة الطبعة الثانية لكتابي «الجهل المبين بمعنىٰ: لا إله إلا الله عند الحزبيين».

(٢) **قال الشيخ العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ- في كتابه العظيم «عقيدة التوحيد»** (ص ٥٠-٥١): «والتفسير الصحيح لهذه الكلمة عند السلف والمحققين أن يقال: (لا معبود بحق إلا الله)، فمعنىٰ (شهادة أن لا إله إلا الله): الاعتقاد والإقرار أنه لا يستحق العبادة إلا الله، والتزام ذلك والعمل به...». اهـ المراد.

والتعريف الذي ذكره المؤلف -وهو المأثور عن السلف- جامع ماتع، فإنه أثبت إفراد الله تعالىٰ بالإلهية الحقة، وأن ما يعبدون من دونه من المألوهات باطل محض.

وقوله: (بحق)؛ قيد لازم لأمور: لأن الله تعالىٰ هو الإله الحق، وعبادته حق وحده لا شريك له، ولأن هناك معبودات باطلة كثيرة، فقلنا: (بحق) لنخرج المعبودات الباطلة، ولأن هذا هو =

قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ[1]﴾ [الحج:٦٢].

=

الوارد في الكتاب والسنة.

قال الإمام ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «لا سبيل إلىٰ بيان عظمة هذه الكلمة، وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله تعالىٰ إلا بتقدير الخبر بكلمة (حق)؛ لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده، كما نبه علىٰ ذلك جمع من أهل العلم، منهم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وآخرون -رحمهم الله جميعًا-». «حاشية الطحاوية» (١٠٩-١١٠).

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «وبتقدير الخبر بهذه الكلمة (حق) تبين الجواب عن الإشكال الذي يورده كثير من الناس، وهو كيف تقولون: لا إله إلا الله؛ مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله...؟

نقول: لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة، وليس لها من حق الألوهية شيء، ويدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف:٤٠].

إذن؛ فمعنىٰ (لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله ﷻ، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها باطلة، بل الألوهية الحق هي ألوهية ﷻ». اهـ «المجموع الثمين» (٢/ ١٩-٢٠).

(١) **قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ- في هذه الآية**: «فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه هو المعبود الحق وحده. ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم؛ لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية عن غير الله سبحانه، ولهذا قالوا -جوابًا لنبينا محمد ﷺ لما قال: «**قولوا: لا إله إلا الله**»، قالوا-: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

وقالوا أيضًا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]». «حاشية الطحاوية» (ص١٠٩ -١١٠).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ (١) ﴾ [محمد:١٩].

---

(١) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-**: «العلم لابد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنىٰ ما طلب منه علمه أن يعمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين علىٰ كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائنًا من كان.

والطريق إلىٰ العلم بأنه لا إله إلا الله، أمور:

أحدها -بل أعظمها-: تدبر أسمائه وصفاته الدالة علىٰ كماله وعظمته وجلاله؛ فإنها توجب بذل الجهد في التأله للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية؛ فإن ذلك يوجب محبته والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد أنها ناقصة لا تملك لنفسها ولا لعابديها نفعًا، ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا...». اهـ بتصرف.

وقال الشيخ عبيد الجابري -رفع الله درجته-: «تفيد الآية وجوب العلم بمعنىٰ (لا إله إلا الله) نفيًا وإثباتًا...». «تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلا الله» (ص٧).

(فصل)

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «تضمنت هذه الشهادة الدلالة علىٰ وحدانية الله المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد والعدل والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة، ولا يقوم بهذه الشهادة علىٰ وجهها من جميع الطوائف إلا أهل السنة، وسائر طوائف أهل البدع لا يقومون بها.

فالفلاسفة أشد أنكارًا وجحودًا لمضمونها من أولها إلىٰ آخرها، وطوائف الاتحادية هم أبعد خلق الله عنها من كل وجه، وطائفة الجهمية تنكر حقيقتها من وجوه...

فهذه الشهادة العظيمة كل هؤلاء هم بها غير قائمين، وهي متضمنة لإبطال ما هم عليه ورده، كما تضمنت إبطال ما عليه المشركون ورده، وهي مبطلة لقول طائفتي الشرك والتعطيل، ولا يقوم بهذه الشهادة إلا أهل الإثبات الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، =

=

وينفون عنه مماثلة المخلوقات، ويعبدونه وحده لا يشركون به شيئًا...». «المدارج» (٣/ ٤٦٠-٤٦٢).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وشهادة أن لا إله لا الله فيها الإلهيات وهي الأصول الثلاثة، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات». اهـ

فقد دلت علىٰ إثبات العبادة لله ﷻ ونفيها عمن سواه، كما دلت علىٰ توحيد الربوبية (بدلالة الالتزام)؛ فإن العاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، ودلت علىٰ الأسماء والصفات؛ فإن مسلوب الأسماء والصفات ليس بشيء، بل هو عدم محض. اهـ من التنبيهات السنية (ص١٣)، بتصرف للشيخ عبد العزيز الرشيد -رحمه الله تعالىٰ-.

فصل في تحريفات أهل الباطل لمعنىٰ الشهادة (لا إله إلا الله):

قال الشيخ عبد العزيز الرشيد -رحمه الله تعالىٰ-: «(لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله سبحانه، وهذا هو معنىٰ هذه الكلمة العظيمة التي تدل عليه الأدلة، خلافًا لمن زعم أن معناها: القدرة علىٰ الاختراع كما يقول الأشاعرة، فإن المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع العالم ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، بل قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم...». «التنبيهات السنية» (ص١١).

وقال العلامة ابن باز -رحمه الله تعالىٰ- معلقًا علىٰ قول بعض النحاة (لا إله في الوجود إلا الله)، قال: «ما قالوه ليس بجيد من تقدير الخبر (في الوجود) ليس بصحيح لأن الآلهة المعبودة من دون الله سبحانه كثيرة موجودة، فلا يحصل بهذا المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه وبطلان ما سواه...

فلا سبيل إلىٰ التخلص من هذا الاعتراض إلا بتقدير الخبر (حق)...». إلخ، وقد سبق قريبًا تمام الكلام.

وقال الشيخ صالح الفوزان -رفع الله درجته-: «وقد فسرت هذه الكلمة (لا إله إلا الله) بتفسيرات باطلة منها:

أ- أن معناها: لا معبود إلا الله؛ وهذا باطل؛ لأن معناه أن كل معبود بحق أو باطل هو الله.

ب- أن معناها: لا خالق إلا الله، وهذا جزء من معنىٰ هذه الكلمة، ولكن ليس هو المقصود، لأنه لا يثبت إلا توحيد الربوبية، وهو لا يكفي وهو توحيد المشركين.

ج- أن معناها: لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضًا جزء من معناها، وليس هو المقصود؛ لا يكفي؛

=

شروط لا إله إلا الله[1]

الشرط الأول:

=

لأنه لو أفرد الله بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئًا من العبادة لم يكن موحدًا، وكل هذه تفاسير باطلة أو ناقصة؛ وإنما نبهنا عليها لأنها توجد في بعض الكتب المتداولة». «عقيدة التوحيد» (٥٠-٥١).

وسئل العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: الكثير ممن ينتمون لهذه الجماعة -التبليغ- يفسر (لا إله إلا الله) بقوله: هي إخراج اليقين الفاسد من القلب علىٰ الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح علىٰ ذات الله، أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله... فهل هذا التفسير صحيح؟

فقال -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا التفسير ليس بصحيح، لأن تفسيرها علىٰ هذا الوجه لا يتحقق به إلا توحيد الربوبية فقط، ومعلوم أن توحيد الربوبية وحده لا يُدخل الإنسان في الإسلام... وهذه مسألة عظيمة يجب علىٰ الإنسان أن يتوب إلىٰ الله من هذا التفسير الفاسد لمعنىٰ (لا إله إلا الله)، وأن يرجع إلىٰ التفسير الصحيح الذي اتفق عليه المسلمون... لا معبود بحق إلا الله، هذا هو المعنىٰ المتعين...». «الصحوة الإسلامية» (٢٧٩-٢٨١).

وقال العلامة النجمي -رحمه الله تعالىٰ-: «...إنهم حينما يقولون (لا إله إلا الله) إنما يقصدون معنىٰ: ألا يوجد إلا الله، وأن هذه عقيدتهم التي يتسترون عليها، وأن معنىٰ قوله (إخراج اليقين الفاسد علىٰ الأشياء وإدخال اليقين الصحيح علىٰ ذات الله) لا يقصد به إلا هذا الاعتقاد الخبيث بمعنىٰ: أن كل الموجودات هي الله -كما أوضحته سابقًا- ومما يدل علىٰ ما أوضحته أن محمد إلياس كان يجلس في المراقبة الجشتية عند قبر القدوس الكنكوهي الذي طغت عليه فكرة وحدة الوجود...». «المورد العذب الزلال». (ص٢٤٦).

ويفسرها الصوفية بـ (لا موجود إلا الله).

قال الشيخ النجمي -رحمه الله تعالىٰ-: «فإذا قال أحدهم: لا إله إلا الله؛ فإنه يعتقد في هذه الكلمة أنه لا موجود إلا الله، بمعنىٰ: أن كل الموجودات هي الله...». «المورد» (ص٢٤٤).

وهذه عقيدة وحدة الوجود الكفرية.

(١) شروط: جمع شرط وهو في اللغة العلامة، والمراد هاهنا ما يتحتم علىٰ المكلف معرفته والعمل به، حتىٰ يكون موحدًا ظاهرًا وباطنًا.

العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل[(١)]:

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(٢)]. رواه مسلم رقم (٢٦).

الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك:

وذلك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين، لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥][(٣)].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا -أي: لم يشكوا-، فأما المرتاب فهو من المنافقين -والعياذ بالله- الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ

---

(١) سيأتي شرحه عند الكلام علىٰ مقتضىٰ لا إله إلا الله.

(٢) **قال الإمام النووي في شرح مسلم**: «باب: الدليل علىٰ أن من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة قطعًا».

قال العلامة عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ-: «فهذه الأدلة كما ترىٰ -وما في معناها- تفيد أمرين:

الأول: الوعد بدخول الجنة لمن مات علىٰ التوحيد.

والثاني: أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمىٰ الإيمان، ففيها شاهد لمعتقد أهل السنة أن الفاسق الموحد مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته...». «تيسير الإله» (ص٨-٩).

(٣) **قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾؛ أي: إنما المؤمنون الكُمَّل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾؛ أي: لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا علىٰ حال واحدة وهي التصديق المحض ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بذلوا مهجهم، ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾؛ أي: في قولهم إذا قالوا: إنهم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس معهم من الدين إلا الكلمة الظاهرة». اهـ من تفسير سورة الحجرات.

﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشِّره بالجنة**». رواه مسلم رقم (٣١).

فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفىٰ الشرط انتفىٰ المشروط.

الشرط الثالث:

القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه المنافي للرد[١]:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

وعن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**... فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدىٰ والعلم، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدىٰ الله الذي أرسلت به**». رواه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

الشرط الرابع:

الانقياد والاستسلام لما دلت عليه المنافي للترك[٢]:

---

(١) قال الشيخ الإمام صالح الفوزان -غفر الله له-: «القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فمنَ قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦].

وهذا كحال عُبَّاد القبور اليوم، فإنهم يقولون (لا إله إلا الله) ولا يتركون عبادة القبور، فلا يكونون قابلين لمعنىٰ: لا إله إلا الله». «عقيدة التوحيد» (ص٥٥).

وقال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «بعض المسلمين اليوم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: (لا إله إلا الله) ولا يؤمنون حقًّا بمعناها». «التوحيد أولًا» (ص١٤).

(٢) المراد هنا: الانقياد التام لـ(لا إله إلا الله)، ولما اقتضته من التوحيد ونبذ الشرك؛ ظاهرًا وباطنًا وانقيادًا منافيًا للترك، ويحصل الانقياد بالعمل بالإسلام والدعوة إليه والوقوف عند حدوده.

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢][(١)].

ومعنىٰ يسلم وجهه: أي ينقاد.

وهو محسن: أي موحد.

والعروة الوثقىٰ: هي لا إله إلا الله.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٤][(٢)].

أي: ارجعوا إلىٰ ربكم واستسلموا له.

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: **«لا يؤمن أحدكم حتىٰ يكون هواه تبعًا لما جئت به»**[(٣)].

---

(١) **قال العلامة ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٢٥]؛ أي: أخلص العمل لربه ﷻ فعمل إيمانًا واحتسابًا ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له وما أرسل به رسوله من الهدىٰ ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما فيصح ظاهره بالمتابعة وباطنه بالإخلاص فمتىٰ فقد الإخلاص كان منافقًا ومتىٰ فقد المتابعة كان ضالًا ...». اهـ بتصرف.

(٢) **قال العلامة البغوي -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾، أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة. ﴿وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ وأخلصوا له التوحيد...». اهـ

وقال العلامة السعدي: «﴿ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ ﴾ دليل علىٰ الإخلاص وأنه من دون الإخلاص لا تفيد الأعمال الظاهرة والباطنة شيئًا». اهـ

فالانقياد هو الجمع بين الإخلاص والمتابعة والمسارعة إلىٰ ذلك دون تردد.

(٣) **قال الجراد علي -رحمه الله تعالىٰ-**: «هذا الحديث مع وجازته يصلح أن يقال فيه: إنه كل الإسلام لإفادته أن من كان هواه تابعًا لجميع ما جاء به النبي ﷺ فهو المؤمن الكامل، ومن أعرض عن جميع ما جاء به ومنه الإيمان فهو كافر، وأما من تبع بعضًا فإن كان ما تبعه أصل الدين وهو الإيمان دون سواه فهو الفاسق وعكسه المنافق». اهـ نقلًا من كتاب: «أحاديث يدور عليها الإسلام» (ص٤٧٦).

قال النووي في الأربعين رقم (٤١): «حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح»[١].

وصححه الشيخ حافظ حكمي في كتابه «معارج القبول» (٢/ ٤٢٢)، وقد احتج به ابن كثير في تفسير: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

واحتج به الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ، انظر: «الواجبات المتحتمات لمعرفة الأمور المهمات» (ص٨).

وفي سنده نعيم بن حماد الخزاعي، وقد ضعفه قوم ووثقه آخرون.

وهو حسن الحديث إذا لم يكن مما أنكر عليه فيه، وقد ذكر ابن عدي في الكامل ما أنكر عليه ولم يذكر هذا منها، وقال في آخر الترجمة: وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيمًا (٧/ ٢٤٨٥).

وقال ابن حجر في «التهذيب» (١٠/ ٤٦٣): «وقد مضىٰ أن ابن عدي تتبع ما وهم فيه فهذا فصل القول فيه».

وقال في «التقريب»: «وقد تتبع ابن عدي ما أخطأ فيه وقال: باقي حديثه مستقيم».

فأقر ابن عدي علىٰ ذلك.

قلت: وأنا معهما.

الشرط الخامس:

الصدق المنافي للكذب[٢]:

---

(١) انظر: كلامنا عليه في تحقيق الأربعين النووية.

(٢) والصدق يشمل عمل القلب وهو الإخلاص واليقين، وعمل اللسان وهو النطق بها، وعمل الجوارح وهو ملازمة التوحيد وترك الشركيات والبدع، وكلما قَل صدق قائلها نقص توحيد، فإن عدم عنده الصدق فهو المنافق.

وهو أن يقول هذه الكلمة مصدقًا بها قلبه؛ فإن قالها بلسانه ولم يصدق بها قلبه كان منافقًا كاذبًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣][1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠][2].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله علىٰ النار**»[3]. رواه البخاري (١٢٨) واللفظ له، ومسلم (٣٢).

الشرط السادس: الإخلاص المنافي للشرك والنفاق والرياء والسمعة:

والإخلاص هو: تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢][4].

---

(١) هذه الآية فيها بيان أنه لابد من الابتلاء بالسراء والضراء حتىٰ يعلم الصادق في توحيده وإيمانه بثباته وعمله الصالح، ويُعلم الكاذب بعدم ثباته علىٰ التوحيد والإيمان كحال من إذا ابتلوا بالأمراض هرولوا إلىٰ السحرة أو قبلوا ما يخدش توحيدهم.

(٢) أخبر الله تعالىٰ أن المنافقين ليس عندهم صدق في إيمانهم، بل إنهم كاذبون فلم ينفعهم قول (لا إله إلا الله).

(٣) **الشاهد من الحديث:** «صدقًا من قلبه».

وقال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: «صدقًا»، فيه احتراز عن شهادة المنافق». اهـ

(٤) **قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسيره:** «أي: فاعبد الله وحده لا شريك له وادعُ الخلق إلىٰ ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك، ولا عديل، ولا نديد؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]؛ أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له». اهـ

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] [(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»[(٢)]. رواه البخاري (٩٩).

وعن عتبان بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[(٣)].

رواه البخاري (٤١٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الرقم الخاص (٢٦٣).

الشرط السابع:

المحبة لهذه الكلمة العظيمة المباركة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبغض ما ناقض ذلك[(٤)].

---

(١) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في سائر الشرائع ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥]؛ أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفىٰ لديه...». اهـ

(٢) الشفاعة المذكورة في الحديث هي الشفاعة للموحدين من أهل الكبائر وغيرهم، وقد أنكر كثير من المبتدعة الشفاعة لأهل الكبائر الموحدين وخالفوا بذلك أدلة الكتاب والسنة.

(٣) دل الحديث علىٰ وجوب الإخلاص في هذه الكلمة.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ بعد أن ذكر كلامًا لشيخ الإسلام طويلًا ثم عقب عليه بقوله: «وحاصله: أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتضًىٰ لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه؛ فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه، أو لوجود مانع؛ ولهذا قيل للحسن: إن أناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله فأدىٰ حقها وفرضها دخل الجنة...» إلخ. «تيسير العزيز الحميد» (ص٩٠).

(٤) **قال شيخ الإسلام النجدي -رحمه الله تعالىٰ-**: «أصل الدين وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك، والموالاة فيه وتكفير من تركه.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] [١].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤] [٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» [٣].

=

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله تعالىٰ، والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله...». (بواسطة تيسير الإله ص٢٧-٢٨)، فمن جاء بهذين عرفنا أنه ممن يحب لا إله إلا الله صادقًا

(١) سيأتي الكلام علىٰ المحبة في فصل مستقل، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ أي: من حب المشركين لآلهتهم، وقيل: أشد من حب المشركين لله تعالىٰ، والآية دليل علىٰ أن من الإيمان محبة الله تعالىٰ، ومن الشرك الأكبر محبة الأنداد ونحوها.

(٢) في الآية دليل علىٰ أن الله تعالىٰ يحب الموحدين، وأنهم يحبونه، وعلامة صدق العبد في محبة الله تعالىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١]. اتباع مع توحيد خالص، فأين دجاجلة الصوفية وأهل الأهواء من هذا.

(٣) **قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-**: «هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام... وقال القاضي -رحمه الله تعالىٰ-: إنه لا يصح المحبة لله ورسوله ﷺ حقيقة، وحب الآدمي في الله، وكراهة الرجوع إلىٰ الكفر؛ إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره، هذا هو الذي وجد حلاوة الإيمان، والحب في الله من ثمرات محبة الله...». «شرح مسلم» (٢/ ١٣).

ومن هذا الحديث تعلم ضعف محبة القبورية لهذه الكلمة (لا إله إلا الله) حيث يقولونها ويشركون بالله تعالىٰ عند الأضرحة، ويصفون أولياءهم بصفات الرب سبحانه، من النفع والضر وتدبير الكون وإغاثة الملهوف إلىٰ آخر تُرَّهات الصوفية والرافضة والديمقراطيين ومن نحا نحوهم.

رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

فأهل لا إله إلا الله يحبون الله حبًّا خالصًا، وأهل الشرك يحبونه ويحبون معه غيره، وهذا ينافي مقتضىٰ لا إله إلا الله.

الشرط الثامن:

الكفر بالطواغيت: وهي المعبودات من دون الله، والإيمان بالله ربًّا وخالقًا ومعبودًا بحق[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ

---

(١) هذا شرط مهم جدًّا فما أكثر من يدعي أنه من أهل (لا إله إلا الله) وهو من المشركين كالقرامطة الباطنية، وغلاة الرافضة والصوفية، والبابية، والقاديانية، والنصيرية والمكارمة، وغيرهم ممن يدعي الإسلام، والإسلام بريء منهم لعدم براءتهم وكفرهم بالطاغوت.

قال الشيخ سليمان -رحمه الله تعالىٰ-: «قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: الطاغوت ما **تجاوز به العبد حده** من معبود، أو متبوع أو مطاع». اهـ

وأما معنىٰ الآية ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦]؛ أي: اعبدوا الله وحده **واتركوا عبادة ما سواه**، وهذه الآية هي معنىٰ (لا إله إلا الله)؛ فإنها تضمنت النفي والإثبات، **كما تضمنته: (لا إله إلا الله)**، ففي قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ الإثبات، وفي قوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ النفي.

فدلت الآية علىٰ أنه لابد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده وينفي عبادة ما سواه، وهو التوحيد الذي تضمنته سورة ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، وهو معنىٰ قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فالنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا حقيقة: لا إله إلا الله». اهـ

«ويدخل في الكفر بالطاغوت بغضه وكراهته وعدم الرضا بعبادته بوجه من الوجوه، ودلت الآية علىٰ الحكمة من إرسال المرسل وهو عبادة الله وحده وترك عبادة سواه...» «تيسير العزيز الحميد» (ص٥٠-٥١).

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وعن طارق بن أشيم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه علىٰ الله**»[1]. رواه مسلم رقم (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

قلت: فـ: «لا إله إلا الله جمعت بين النفي والإثبات؛ فلا إله: نافيًا جميع ما يعبد من دون الله.

وإلا الله: إثبات العبادة لله وحده لا شريك له.

وقد جُمِعَتْ هذه الشروط الثمانية في هذين البيتين التاليين:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما ... سوىٰ الإله من الأشياء قد أُلِها

[راجع لشروط لا إله إلا الله كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلىٰ علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي (٢/ ٤١٨-٤٢٤).

والدروس المهمة لعامة الأمة لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الدرس الثاني].

---

(١) **قال شيخ الإسلام النجدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ لا إله إلا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يعبد من دون الله.

فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه». اهـ من كتاب التوحيد (باب: تفسير لا إله إلا الله).

قال الشيخ سليمان -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد أجمع العلماء علىٰ معنىٰ ذلك». «تيسير العزيز» (ص١٤٧).

وقوله: «**وحسابه علىٰ الله**». الأخذ بالظاهر والسرائر ترد إلىٰ الله تعالىٰ.

مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله[(١)]

ومقتضىٰ شهادة أن لا إله إلا الله:

ترك عبادة ما سوىٰ الله من جميع المعبودات المدلول عليه بالنفي، وهو قولنا: (لا إله)، وعبادة الله وحده لا شريك له المدلول عليه بالإثبات وهو قولنا: (إلا الله)[(٢)].

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء:٣٦].



---

(١) (مقتضىٰ)؛ أي: ما تقضيه وتوجبه علىٰ قائلها، (وقضىٰ ربك)؛ أي: فرض وأوجب.

(٢) **قال العلامة الجليل صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «أركان الشهادة (لا إله إلا الله) لها ركنان هما النفي والإثبات.

فالركن الأول: النفي (لا إله) يبطل الشرك بجميع أنواعه ويوجب الكفر بما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: الإثبات (إلا الله) يثبت أنه لا يستحق العبادة إلا الله، ويوجب العمل بذلك...». «عقيدة التوحيد» (ص٥١).

وقال العلامة الإمام ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا دليل -أي: حديث طارق السابق- علىٰ أنه لا يكفي مجرد التلفظ بـ (لا إله إلا الله)، بل لابد أن تكفر بعبادة من يُعبد من دون الله، بل وتكفر بكل كفر، فمن يقول: لا إله إلا الله؛ ويرىٰ أن النصارىٰ واليهود اليوم علىٰ دين صحيح فليس بمسلم...». «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (١/ ١٥٢).

معنى: شهادة أن محمدًا رسول الله(١)

(١) هو نبينا محمد ﷺ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدٍّ بن عدنان.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «إلىٰ هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسَّابين ولا خلاف فيه ألبتة، ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام». انظر: «زاد المعاد» (١/ ٧١).

وعن واثلة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل واصطفىٰ قريشًا من كنانة واصطفىٰ من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**». (م٢٢٧٦).

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فهو خير أهل الأرض نسبًا علىٰ الإطلاق». اهـ (١/ ٧١).

فائدة: وقال -رحمه الله تعالىٰ-: ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلىٰ معرفة الرسول ﷺ، وما جاء به وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلىٰ السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا علىٰ أيدي الرسل... وبمتابعتهم يتميز أهل الهدىٰ من أهل الضلال... (١/ ٦٩).

قوله: (رسول الله)، الرسول لغة: المرسَل برسالة. «اللسان» (١١/ ٢٨٣). شرعًا: هو عبد اصطفاه الله بالوحي إليه وإرساله إلىٰ قوم كافرين -غالبًا-، وانظر للتوسع: كتاب شيخنا العلامة محمد الإمام «تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول».

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح:٢٨].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

فائدة: قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «ومقتضىٰ هذه العبودية (عبده) أنه لا حق له في شيء من الربوبية إطلاقًا». «الواسطية» (١/ ٤٥).

وقال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «فهو عبد الله ﷻ وليس له من الألوهية شيء ولا من الربوبية شيء...». «جامع شروح الطحاوية» (١/ ٢٢٠).

فائدة أخرىٰ: أتبع المصنف (شهادة محمد رسول الله) بعد (لا إله إلا الله) لاقترانها في مواضع كثيرة كالأذان وغيره.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما الإيمان بالرسول فهو المهم إذ لا يتم الإيمان بالله بدون الإيمان به ولا تحصل النجاة والسعادة؛ إذ هو الطريق إلىٰ الله سبحانه؛ ولهذا كان =

أي: لا متبوع بحق إلا رسول الله ﷺ، وغير رسول الله ﷺ إن اتبع فيما لا دليل عليه فقد اتبع بباطل(١).

=

ركنا الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». اهـ «الفتاوىٰ» (٨/ ٦٣٨-٦٣٩).

(١) قوله: (لا متبوع) نفي لجميع المتبوعات بالباطل، (بحق) قيدها بحق لإخراج المتبوع بالباطل وهم كثير، (إلا رسول الله) إثبات الاتباع الحق للرسول ﷺ؛ لأنه أرسل بالحق من الله تعالىٰ، ولا يأمر إلا بالحق، وأمر الله تعالىٰ باتباعه وطاعته، وحرم معصيته وتوعد العصاة بالنار والبوار.

(وغير رسول الله) كائنًا من كان من جن أو إنس أو غيرهما من المخلوقات (إن اتبع فيما لا دليل عليه) من الكتاب والسنة والإجماع الذي كان عليه السلف.

(فقد اتبع بباطل)؛ لأن كل ما خالف الحق فهو باطل، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢].

وأما اتباع العلماء في السير علىٰ الكتاب والسنة والأخذ بفتاواهم فهذا لا يعد باطلًا، بل هو حق لقول الله: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، وكذلك من اتبع نبيًّا من الأنبياء بعد بعثة النبي محمد ﷺ فقد اتبع بباطل إذ إن رسالته ﷺ نسخت جميع الشرائع السابقة، والرسل جميعًا لم يأمروا بخلاف ذلك، بل بشَّر به موسىٰ وعيسىٰ وأمرا باتباع نبينا ﷺ.

قال الله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، وإذا كان اتباع الرسل منسوخًا بعد بعثة نبينا ﷺ، فما ظنك بمن جاء بعده من زعماء الضلالات والأهواء؟!

فهذا الباب رد علىٰ الصوفية والرافضة والأحزاب وغيرهم من أهل البدع وهو قاصد لظهورهم.

وهو بشارة لأهل السنة، فلا يقوم بمعنىٰ (محمد رسول الله) علىٰ الوجه الأكمل سواهم لكمال توحيدهم وشدة اتباعهم، ولهذا قال ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: كلما كان الرجل أتبع لرسول الله ﷺ كلما كان أكمل توحيدًا. اهـ المراد.

وهذا التعريف الذي ذكره الشيخ -رفع الله درجته-، جميل وحق إلا أن الاتباع من لوازم الإيمان به ﷺ.

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «معنىٰ شهادة (محمد رسول الله): هو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمدًا رسول الله ﷺ إلىٰ جميع الخلق الجن والإنس...». «الأصول الثلاثة» (ص٧٥)، وانظر: (ص٩٧) للفائدة.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣](١).

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥](٢).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦](٣).



=

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ:٢٨]، فلا يتم إيمان أحد حتىٰ يؤمن به ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه جاء بالحق، وبلغ الرسالة.

(١) **قال المفسر الكبير ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير الآية:** «أي: اقتفوا آثار النبي ﷺ الذي جاءكم بكتاب أنزل عليكم من ربكم، ولا تخرجوا عما جاء به الرسول إلىٰ غيره فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلىٰ حكم غيره». اهـ المراد.

(٢) **قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-:** «يقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة أنه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور وأن يعتقد أن ما حكم به هو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهرًا وباطنًا». اهـ المراد

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ومتىٰ أراد العبد أن يعلم هذا -قبوله لحكم رسول الله والتسليم له-، فلينظر في حاله ويطالع قلبه عند ورود حكمه علىٰ خلاف هواه وغرضه أو علىٰ خلاف ما قلد فيه أسلافه...». «الرسالة التبوذكية» (ص٥).

وقال الطحاوي: «فلا يثبت الإسلام إلا علىٰ ظهر التسليم والاستسلام». اهـ

(٣) هذه الآية والتي قبلها توجبان التسليم الكامل والانقياد التام لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ.

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ- في تفسيره: «أي: لا ينبغي ولا يليق بمن اتصف بالإيمان إلا الإسراع إلىٰ مرضاة الله ورسوله، والهرب من سخط الله تعالىٰ ورسوله، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما...». اهـ المراد.

شروط شهادة أن محمداً رسول الله(١)

(١) ذكر هذه الشروط الإمام صالح الفوزان في «عقيدة التوحيد» (ص٥٧)، دون شرح، فزاد المؤلف -وفقه الله تعالىٰ- ذكر الأدلة -فجزاه الله خيرًا-.

وأما العلامة حافظ حكمي -رحمه الله تعالىٰ- فقال: «الشهادتان متلازمتان، فشروط الشهادة الأولىٰ هي شروط الثانية كما أنها شرط في الأولىٰ». «أعلام السنة المنشورة» (ص٤٣).

وتفصيل ذلك:

١- **العلم**: والإقرار والاعتراف بأن محمدًا ﷺ عبد الله ورسوله إلىٰ الناس كافة، وألا يعبد الله تعالىٰ إلا بما شرع، فالعلم يشمل معرفة المعنىٰ والمقتضىٰ واللوازم المترتبة علىٰ ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

٢- **اليقين**: استيقان القلب بأن محمدًا رسول من الله تعالىٰ بالحق والهدىٰ إلىٰ كافة الورىٰ من غير شك، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقىٰ اللهَ بهما غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**». (م٢٧).

٣- **الإخلاص**: هو تصفية العمل بصالح النية من جميع شوائب الشرك والبدع، والإيمان برسالته ظاهرًا وباطنًا من غير نفاق، قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوىٰ، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله؛ فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه**». (خ١/ ٥٤) (م....).

وقال خباب رضي الله عنه: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله تعالىٰ... الحديث (خ٤٠٤٧).

٤- **الصدق** المنافي للكذب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣]، وقال الله في آخر آية الحجرات السابقة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾.

وعن معاذ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله علىٰ النار**». (خ١٢٨) (م٣٢) واللفظ للبخاري.

٥- **المحبة**: أن يكون رسول الله ﷺ وسنته أحب إليك من كل مخلوق ومصلحة، وتحب أتباعه وتبغض ما خالف ذلك من الشرك والبدع وأهلهما.

=

الشرط الأول:

الاعتراف[1] برسالته واعتقادها باطنًا في القلب.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]. الآية.

وقد ذكر المؤلف في شروطه -الخامس منها- أدلة أخرىٰ.

٦- **الانقياد:** وهو الاستسلام لرسول الله ﷺ وسنته ظاهرًا وباطنًا منافيًا للإعراض.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] الآية.

وانظر الأدلة السابقة في (معنىٰ محمد رسول الله)، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمد:٣٣]. فأطلق طاعة الرسول ﷺ، والرد كحال المنافقين والمبتدعة الغلاة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [النور:٤٨].

٧- **القبول لهذه الكلمة (محمد رسول الله) ولما تقتضيه ولوازم ذلك، المنافي للرد والكبر.**

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]، فردوا ما جاء به رسول الله ﷺ واستكبروا.

وقال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، وسبب نزول الآية في مسلم رقم (١٢٥)، يوضح مدىٰ قبول الدين عند الصحابة رضي الله عنهم. اهـ المراد، وانظر بعض ما سبق في كتاب «حقوق النبي ﷺ» (١/ ٣٨-٤٥).

والشروط التي ذكرها الشيخ: فالشرط الأول والثاني داخل في العلم واليقين، والثالث داخل في الانقياد والقبول، والرابع داخل في الصدق والقبول، والخامس داخل في المحبة، والسادس داخل في الصدق والانقياد، والسابع في المحبة.

فتبين بذلك أن المؤدىٰ متقارب، والله الموفق للحق والصواب.

(١) الاعتراف: أي الإيمان الجازم برسالته، ولو عبر الشيخ بالإيمان لكان أولىٰ. انظر: «جمع شروح الطحاوية» (١/ ٧٠٢/ هامش).

الشرط الثاني:

النطق بذلك والاعتراف به ظاهرًا باللسان[١].

دليل هذين الشرطين قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢].

الشرط الثالث:

المتابعة له بأن يعمل بما جاء به من الحق ويترك ما نهىٰ عنه من الباطل[٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١][٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧][٤].

---

(١) أجمع العلماء علىٰ أنه لابد من النطق بالشهادتين للدخول في الإسلام، وقد سبق حديث: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله...**». متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «وهذا مقتضىٰ شهادة أنه رسول الله، وقد أمر الله بطاعته في آيات كثيرة...». «عقيدة التوحيد» (ص١٨٩).

(٣) **الشاهد من الآيات**: إيجاب المتابعة.

فالآية الأولىٰ: قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «هذه الآية حاكمة علىٰ كل من ادعىٰ محبته، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية؛ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتىٰ يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله...». اهـ

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «وبهذه الآية يوزن جميع الخلق فعلىٰ حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله؛ وما نقص من ذلك نقص...». اهـ

(٤) بعد أن ذكر الله تعالىٰ أهل رحمته التي كتب لهم الرحمة بيّن من هم؟ وأنهم المتبعون للنبي ﷺ، ومفهوم الآية: أن الذين لا يتبعونه ليسوا من أهل رحمة الله تعالىٰ. نسأل الله السلامة.

وقال تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨][١].

الشرط الرابع:

تصديقه فيما أخبر به من أمر ونهي وغيوب ماضية ومستقبلة وغير ذلك[٢].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧][٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً...**»[٤]. رواه البخاري (٤٠٩٤)، ومسلم (١٠٦٤).

الشرط الخامس: محبته أشد من محبة النفس والمال والوالد والولد والناس

---

(١) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾، إيمانًا في القلب متضمنًا لأعمال القلوب والجوارح ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾؛ أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، في مصالحكم الدينية والدنيوية فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالًا بعيدًا». اهـ

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]؛ أي: يطلع الله تعالىٰ رسوله ﷺ علىٰ أمور غيبية لتكون آية علىٰ نبوته وصدقه، وعلىٰ المؤمن أن يصدق بما أخبر به ﷺ سواء كان من علم الغيب أو كان من الأوامر والنواهي، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٤-٥]، ومن لم يصدق بذلك أو بعضه فهو كافر كما قال تعالىٰ عن المشركين ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾.

(٣) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «وهذا شامل للدين كله -ظاهره وباطنه- وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين علىٰ العباد الأخذ به، واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ علىٰ حكم الشيء كنص الله تعالىٰ، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد علىٰ قوله». اهـ

(٤) هذا الحديث وغيره دليل علىٰ أن الله جعل رسوله أمينًا علىٰ شرعه وعصمه من الزلل والتقصير في البلاغ، فمن اتهم رسول الله ﷺ أنه كتم شيئًا من الدين فهو ملحد كافر بإجماع العلماء.

أجمعين.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**». رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من والده وولده**». رواه البخاري (١٤).

عن عبد الله بن هشام ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي.

فقال النبي ﷺ: «**لا والذي نفسي بيده حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك**».

فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي.

فقال النبي ﷺ: «**الآن يا عمر**»[1]. رواه البخاري (٦٢٥٧).

الشرط السادس:

تقديم قوله علىٰ قول كل أحد من الناس كائنًا من كان، والعمل بسنته ﷺ[2].

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١][3].

---

(١) هذه الأحاديث صريحة في وجوب محبة النبي ﷺ أكثر من محبة جميع الخلق والمصالح الدنيوية والشهوات المباحة، ونبه بالوالد والولد لما لهما من المحبة الجبلِّية؛ لأن ما عداهما أهون منهما، ومحبة النبي ﷺ من محبة الله تعالىٰ.

وقوله: «**لا يؤمن أحدكم**»؛ أي: لا يحصل له الإيمان الذي تبرأ به ذمته ويستحق به دخول الجنة، فمن لم يكن يحب الرسول ﷺ أشد من حبه لنفسه وغيره فهو ناقص الإيمان رقيق الديانة، وربما يصل به الأمر إلىٰ الكفر بقرائن، وقد سبق أن برهان المحبة لله تعالىٰ ولرسوله: طاعتهما، وإلا فهي دعوىٰ ناقصة أو كاذبة. انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٧٢-٤٧٥).

(٢) سيأتي كلام نفيس حول هذا في باب (توحيد المتابعة).

(٣) **قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير الآية**: «أي: لا تسارعوا في الأشياء بين يديه -أي: قبله- بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور...». اهـ

الشرط السابع:

تعظيمه وتوقيره واحترامه وإجلاله وإعظامه، وتعظيم وتوقير واحترام وإجلال وإعظام ما جاء به من عند الله، وهو الكتاب والسنة المطهرة.

ولا يكون ذلك إلا بالعمل بهما ومحبتهما أعظم من محبة النفس(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح:٨-٩].

معنىٰ التعزير والتوقير:

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾: قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: تعظموه.

﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: من التوقير: وهو الاحترام والإجلال والإعظام كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية.



(١) هذا كله من لوازم الإيمان بالرسول ﷺ، وهو واجب علىٰ كل مسلم؛ فإن من تنقص رسول الله ﷺ كفر، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦]، وكذلك الطعن فيما أخبر به الرسول ﷺ بعد علمه كفر... وانظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٩٣٢)، «الصارم المسلول» (ص٣١)، «حقوق النبي ﷺ» (١/ ٤٨-٥٤).

مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله

طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وترك ما نهىٰ عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما بَلَّغَناه رسول الله ﷺ، وتقديم قوله علىٰ قول كل أحد من الناس كائنًا من كان[1].

راجع لشروط أن محمدًا رسول الله ولمقتضىٰ الشهادتين كتاب التوحيد المقرر الأول، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان (ص٥٠).



(١) سبق شرح هذا كله آنفًا.

أين الله؟؟؟[1]

(١) عقد المؤلف هذا الفصل لإثبات علو الله ﷻ علىٰ خلقه واستوائه علىٰ عرشه كما يليق بجلاله، وهذا الاعتقاد القويم ثابت في كتاب الله الكريم وفي سنة النبي الأمين -عليه الصلاة والتسليم-، وأجمع عليه أهل العلم النافع والصراط المستقيم، وأقرته فِطَر العالمين، فلا ينكره إلا ضال منكوس، ولا يتأوله علىٰ غير ظاهره إلا سخيف مبئوس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والسؤال الذي عنون به الشيخ وجيه وحق، وهو وارد في حديث معاوية الآتي في الأصل، ولله در الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله تعالىٰ-، حيث قال في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص٨٩): «ومن أجهل جهلًا وأسخف عقلًا وأضل سبيلًا ممن يقول: (إنه لا يجوز أن يقال: أين الله؟) بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله: أين الله؟».

وقال الذهبي -رحمه الله تعالىٰ- في حديث معاوية: «ففي الخبر مسألتان: إحداهما: شرعية قول المسلم أين الله؟ وثانيهما: قول المسئول: في السماء.

فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر علىٰ المصطفىٰ ﷺ...». «العلو» (ص٤٦).

والأدلة التي ذكرها المؤلف -غفر الله له- فيها إثبات العلو بعدة ألفاظ: منها: الاستواء، ومعناه: الارتفاع، ومنها: الفوقية، ومنها: الصعود إليه، وسيأتي شرحها.

ومما ورد أيضًا: التصريح بالعلو المطلق، قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ:١]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨].

والعلو المطلق يشمل: علو الذات، وعلو القهر.

وشرح ذلك: علو الذات: أنه سبحانه مستوٍ علىٰ عرشه فوق جميع خلقه...، وعلو القهر: أنه سبحانه قهر جميع الخلق، فهم تحت قهره وتدبيره ومفتقرون إليه في كل شئونهم، وعلو القدر: بسكون الدال، أن صفاته تعالىٰ كلها وأسماءه بلغت في الكمال أعلاه -كما يليق بجلاله وعظمته وعلوه-. انظر: «توضيح الكافية الشافية» (ص١٨٠-١٨١)، «الكلمات الحسان في علو الرحمن» (ص١٦-١٧).

ومنها: العروج إليه ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وهو الصعود إليه تعالىٰ.

ومنها: التصريح بتنزيل الكتاب منه سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]، والنزول من أعلىٰ إلىٰ أسفل.

ومنها: إشارة النبي ﷺ بإصبعه الشريفة إلىٰ أن الله في العلو، فكان يقول في حجة الوداع: =

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥](١).

وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾.

في ستة مواضع من القرآن وهي:

١- الأعراف آية ٥٤.

٢- يونس آية ٣.

=

«اللهم اشهد». [م ١٢١٨/ جابر]، ويرفعها إلىٰ السماء، وأدلة أخرىٰ كثيرة ذكرها ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»، وذكرها الذهبي في كتابه «العلو»، وانظر: كتاب «الكلمات الحسان» (ص٩-٦٦).

والعباد مفطورون علىٰ معرفة أن الله تعالىٰ في السماء، إلا من نُكست فطرته، وأصاب الران قلبه.

(١) (استوىٰ): قال مجاهد: علا علىٰ العرش، والسلف مجمعون علىٰ هذا.

قال الإمام الأوزاعي -رحمه الله تعالىٰ-: «كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله ﷻ فوق العرش، ونؤمن بما وردت به السنة من الصفات». رواه اللالكائي (٣/ ٥٠٣)، والبيهقي في «الصفات» (ص٤٠٨)، وسنده صحيح.

وقال الإمام ابن خزيمة -رحمه الله تعالىٰ-: «من لم يقر بأن الله علىٰ عرشه فوق سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه وأُلقي في مزبلة لئلا يتأذىٰ بريحه المسلمون». «التوحيد» (٢/ ٨)، نقلًا عن «أيسر الشروح» (ص٢٢).

وقال -رحمه الله تعالىٰ- (ص١٠١/ ط: دار الكتب العلمية): «فنحن نؤمن بخبر الله -جل وعلا-: أن خالقنا مستوٍ علىٰ عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولًا غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة والجهمية: إنه استولىٰ علىٰ عرشه لا استوىٰ.

فبدَّلوا قولًا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا: حِطَّة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله -جل وعلا-، كذلك الجهمية». اهـ

وجاء عن ربيعة الرأي ومالك -رحمهما الله تعالىٰ- أن كلًّا منهما سئل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، كيف استوىٰ؟ فقالا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. هذا لفظ مالك. أخرجهما الذهبي في «العلو» (ص٩١١-٩٥٤)، وصححه.

٣- الرعد آية ٢.

٤- الفرقان آية ٥٩[١].

٥- السجدة آية ٤.

٦- الحديد آية ٤.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨، ٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠][٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[٣].

رواه البخاري في أول بدء الخلق رقم (٣٠٢٢)، وفي التوحيد رقم (٦٩٦٩، ٦٩٨٦)، ومسلم في التوبة (٤/ ٢١٠٧) رقم (٢٧٥١).

وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال: كانت لي جارية ترعىٰ غنمًا لي قِبل أُحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من

---

(١) للإمام الشنقيطي كلام جميل في تفسير آية الفرقان فراجعه. (الأضواء ٧/ ٤٦٨).

(٢) **قال ابن خزيمة -رحمه الله تعالىٰ-**: «فأعلمنا الجليل -جل وعلا- في هذه الآية أن ربنا فوق ملائكته، وفوق ما في السموات وما في الأرض من دابة، وأعلمنا أن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم». (ص١١١ كتاب التوحيد).

(٣) **قال صديق حسن خان -رحمه الله تعالىٰ-**: «وهذا يدل علىٰ العندية والعلو والفوقية، ونحن نؤمن به بلا كيف ولا تمثيل، ولا ننكره ولا نؤوله كأهل الكلام، وهذا هو سبيل السلف في مسائل الصفات والحديث دليل علىٰ سبق الرحمة وغلبتها علىٰ الغضب والسخط، وهذا هو اللائق بشأن أرحم الراحمين». «السراج الوهاج» (١١/ ٦٢-٦٣).

وفي الحديث إثبات صفة الرحمة وصفة الغضب لله تعالىٰ كما يليق بجلاله ﷻ.

وفيه أن الكتاب المذكور في الحديث فوق العرش، فالعرش أعلىٰ المخلوقات، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ، وقيل: كتاب مستقل، والله أعلم.

بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليَّ قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «**ائتني بها**». فأتيته بها فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**». قالت: أنت رسول الله، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»(١).

---

(١) قوله: (أُحد): الجبل المشهور بالمدينة، (الجوانية) موضع قريب منه، (آسف) أغضب، (صككتها) ضربها في وجهها، وهو محرم، (فعظم ذلك) رآه ذنبًا عظيمًا.

وقال الإمام سعيد الدارمي -رحمه الله تعالىٰ-: «ففي حديث رسول الله ﷺ هذا دليل علىٰ أن الرجل إذا لم يعلم أن الله ﷻ في السماء دون الأرض فليس بمؤمن...

وفي قول رسول الله ﷺ: «**أين الله؟**»، تكذيب لقول من يقول: [الله في كل مكان، لا يوصف بأين]؛ لأن شيئًا لا يخلو منه مكان يستحيل أن يقال: أين هو؟ ... ولو كان الأمر علىٰ ما يدعي هؤلاء الزائغة. لأنكر عليها رسول الله ﷺ قولها ولكنه صدقها وشهد لها بالإيمان بذلك...

فالله -تبارك وتعالىٰ- فوق عرشه فوق سمواته بائن من خلقه، فمن يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبده، وعلمه سبحانه من فوق العرش بأقصىٰ خلقه وأدناهم واحد ولا يبعد عنه شيء ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ:٣]، سبحانه وتعالىٰ عما يصفه المعطلون علوًّا كبيرًا». اهـ «الرد علىٰ الجهمية» (٤٦-٤٧).

وانظر لزامًا (ص٤١-٤٢)، وقال في «الرد علىٰ المريسي» (ص٤٨٩/ المجلد الأول): «ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه فوق سمواته فإنما يعبد غير الله، ويقصد بعبادته إلىٰ إله في الأرض، ومن قصد بعبادته إلىٰ إله في الأرض كان كعابد وثن؛ لأن الرحمن علىٰ العرش، والأوثان في الأرض...». اهـ

فعلىٰ من يقول بقول الجهمية وغلاة الصوفية (الله في كل مكان) أن يتوب عاجلًا وأن يستغفر ربه الرحمن الأعلىٰ المتعال. وانظر: «الفتاوىٰ» (٤/ ٦٢)، «الاستذكار» (٢٣/ ١٦٧-١٦٨).

وقد أعل بعض المبتدعة الحديث بعلل واهية، ومن هؤلاء: الصوفي الجهمي الضال محمد زاهد الكوثري، وقد مات الكوثري وفكره.

قال العلامة محمد خليل هراس -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا الحديث يتألق نصاعة ووضوحًا وهو صاعقة علىٰ رءوس أهل التعطيل...». (تعليقه علىٰ التوحيد لابن خزيمة ص١٢١).

شبهة ونقضها: يقول المنحرف المعطل إذا كان الله في العلو والأرض كروية فهل يكون جميع اتجاهات علو، أم جهة أسفل وجهة علو؟! والله فوقها؟! وتحتها؟

=

أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١/ ٣٨٢) رقم الحديث (٥٣٧).

=

والرد على هذه الشبهة من وجوه: أن كلام الله تعالى حق وكلام رسوله حق، وقد أثبت الله لنفسه أنه القاهر فوق عباده جميعًا، فكما أننا نؤمن أن الله تعالى يسمع الأصوات بمختلف اللغات، وينصب وجهه أمام المصلي مع اختلاف جهة القبلة للمصلين، وينزل في الثلث الأخير مع اختلاف وقته في العالمين، ونقول: نؤمن بذلك كما يليق بجلال ربنا فهو على كل شيء قدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، والسؤال عن الصفات بكيف بدعة في الدين.

الجواب الثاني: قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «وأهل الهيئة يقولون: لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل -كالحجر ونحوه- لكان ينتهي إلى المركز، حتى لو ألقي من الناحية الأخرى حجر لالتقيا في المركز، ولو قدر أن رجلين التقيا في المركز بدل الحجرين لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت الآخر، بل كلاهما فوق المركز، وكلاهما تحت الفلك...

وقال: وإذا أهبط شيء إلى مركز الأرض وقف في المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى، لأنه عالية فترد الهابط بعلوها، لا يصعد من هناك إلى ذلك الوجه -الآخر- إلا برافع...». اهـ بتصرف (٦/ ٥٦٨-٥٧٢/ الفتاوى).

وقال: «ومن في هذه الجهة لم يكن تحت من في تلك الجهة، وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر فالمحيط هو العلو، والمركز هو السفل...». (ص٥٦٥-٥٦٦) بتصرف.

الجواب الثالث: يجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر، كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]. وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة تدل على أنه تعالى محيط بالخلق، وفوقهم، وأن جميع المخلوقات صغيرة جدًّا بالنسبة للعرش، والله تعالى فوق عرشه، وهو العلي العظيم، فلا يسعنا إلا الإيمان والتصديق، وترك التنقيب؛ فهو بدعة ضلالة.

وقال شيخ الإسلام أيضًا: «وهذه الشبهة وأمثالها من الخيالات والأوهام الباطلة التي تعارض فطرة الله التي فطر الناس عليها، والعلوم الضرورية والكتب الإلهية والسنن النبوية، وإجماع أهل العلم والإيمان من سائر البرية». «درء التعارض» (٧/ ٢١).

وانظر: «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٥٥٥)، «الصواعق» (ص١٣٠٨)، «الكلمات الحسان» (ص ١٩٤-١٩٩).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا تأمنوني، وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً...**»[1]. رواه البخاري (٤٠٩٤)، ومسلم (١٠٦٤).

قلت: والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، حتىٰ إن ابن أبي العز قال في شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٨): «وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل».

قلت: ولأهمية هذه المسألة فقد أفردها جمع من أهل العلم بالتأليف قديمًا وحديثًا، منهم الإمام الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»، وانظر مختصره للإمام المحدث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



(١) سبق في الباب السابق، والشاهد منه قوله: «من في السماء» وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، والمراد بالسماء: العلو.

مراتب الدين ثلاث[1]

وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وهذا الترتيب أخرجه مسلم رقم (٨) عن عمر[2].

---

(١) قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام... وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان وكل مرتبة لها أركان...».

«الأصول الثلاثة» (ص٦٩/ بشرح العثيمين).

وقوله: (مراتب) جمع مَرْتَبة: وهي المنزلة الرفيعة، والمراد هنا: قواعد الدين، كما سيأتي.

(٢) هذا الحديث هو الحديث الثاني من الأربعين النووية وسأسوقه كاملًا:

عن عمر ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه مِنَّا أحدٌ، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟

قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان؟

قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال: فأخبرني عن الساعة؟

قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها؟

قال: «**أن تلد الأَمَةُ ربتَّها، وأن ترىٰ الحُفاة العُراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**».

ثم انطلق؛ فلبث مليًّا، ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**». قلت: الله ورسوله أعلم.

=

فكل محسن مؤمن ولا ينعكس، وكل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فالإحسان أخص من الإيمان والإيمان أخص من الإسلام(١).

قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «وهو حديث عظيم جدًّا يشتمل علىٰ شرح الدين كله». «جامع العلوم والحكم» (١/ ٩٧).

وقال القاضي عياض -رحمه الله تعالىٰ-: «هو مشتمل علىٰ جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال حتىٰ إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه...

إذ لا يشذ عن أقسامه الثلاثة شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات من أقسامه الثلاثة». اهـ

وقال القرطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «فيصلح أن يقال فيه -هذا الحديث- أنه أم السنة لما تضمنه من جمل علمها...». اهـ

وقال العلامة ابن الملقن -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا حديث عظيم متفق علىٰ عظم موقعه وجلالته يكاد يكون مدار الإسلام عليه؛ لأنه قاعدة من قواعده مشتمل علىٰ أساسه مفصل طاعاته القلبية والبدنية أصولًا، وفروعًا وعلىٰ أمر الغيب، حتىٰ قال بعضهم لو لم يكن في السنة جميعها غيره لكان كافيًا وافيًا بأحكام الشريعة لاشتماله علىٰ جملتها مطابقة وعلىٰ تفصيلها تضمنًا». «المعين علىٰ فهم الدين» (٨١/ ٨٢).

(١) **قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمنًا مسلم فإن من حقق الإيمان ورسخ في قلبه، قام بأعمال الإسلام كما قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت؛ فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**».

فلا يتحقق القلب بالإيمان إلا وتنبعث الجوارح في أعمال الإسلام، وليس كل مسلم مؤمنًا؛ فإنه قد يكون الإيمان ضعيفًا فلا يتحقق به القلب تحققًا تامًّا مع عمل جوارحه بأعمال الإسلام فيكون مسلمًا، وليس بمؤمن الإيمان التام كما قال تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، كان إيمانهم ضعيفًا ولم يكونوا منافقين...». «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٨-١١٠).

انظر: «تفسير ابن كثير» في تفسير سورتي الحجرات والذاريات، و«جامع العلوم والحكم» (ص٣٥) شرح الحديث الثاني.



=

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد استفيد من الآية أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل عليه السلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان؛ فترقىٰ من الأعم إلىٰ الأخص ثم للأخص منه». اهـ (تفسير سورة الحجرات/ آية ١٤).

تعريف الإسلام

الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك وأهله[1].

---

(١) هذا التعريف منقول عن السلف وأئمة المسلمين. انظر: «الأصول الثلاثة» بشرح العثيمين (ص٦٨-٦٩)، فقد نقله الإمام النجدي عن شيخ الإسلام.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له، فهذا تدين به الملائكة في السماء والإنس والجن في الأرض، وهو دين الإسلام، ومعناه بمفهومه العام: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك. كما عرفه شيخ الإسلام ونقله عنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة.

فالإسلام دين جميع الرسل والأنبياء وأتباعهم... فدين الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة شتىٰ بسبب حاجة البشر في كل زمان ومكان، ففي الحديث «**الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد**».

وقال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، ولكن بعد البعثة المحمدية صار الدين واحدًا، ونسخ الله ما قبله، وصار الدين المعتبر دين نبينا ﷺ، فلا يجوز لأحد أن يبقىٰ علىٰ دين من الأديان السابقة...». «جامع شروح الطحاوية» (٢/ ١٣٦١).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «لفظ الإسلام يجمع معنيين:

أحدهما: الانقياد والاستسلام.

والثاني: إخلاص ذلك وإفراده وعنوانه قول: لا إله إلا الله.

وله معنيان:

أحدهما: الدين المشترك وهو عبادة الله وحده لا شريك له الذي بعث به جميع الأنبياء، كما دل علىٰ اتحاد دينهم نصوص الكتاب والسنة.

والثاني: ما اختُص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج...». (٧/ ٦٣٤-٦٣٥) (٧/ ٣٧٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في شرح التعريف: «الاستسلام؛ بأن يستسلم العبد لربه استسلامًا شرعيًا، وذلك بتوحيد الله ﷻ وإفرادهُ بالعبادة...

=

قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر:٥٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

وقال الله تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران:٨٣].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥][(١)].

=

والانقياد له بالطاعة؛ وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة: طاعة في الأمر بفعله، وطاعة في النهي بتركه.

والبراءة من الشرك وأهله؛ البراءة من الشرك؛ أي: يتبرأ منه ويتخلىٰ منه، وهذا يستلزم البراءة من أهله ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]». اهـ

والمشركون قسمان:

أصليون، ككفار قريش والمجوس واليهود والنصارىٰ والبوذية والاشتراكية والعلمانية... إلخ.

والثاني: مشركون مرتدون؛ كمن يدخل في الأديان السابقة، والمنافق، وكمن يشرك بعد إسلامه كعبدة القبور والسحرة والكهنة... إلخ.

(١) تفسير آية آل عمران (١٩): **قال السعدي -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾؛ أي: الدين الذي لا دين سواه ولا مقبول غيره هو الإسلام، وهو الانقياد لله وحده ظاهرًا وباطنًا بما شرعه علىٰ ألسنة رسله». اهـ

وهذا هو الإسلام العام، وهو الذي اجتمعت عليه جميع الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم، فدعوا إلىٰ توحيد الله وإلىٰ الاستسلام له بالتوحيد بعبادته وحده، وخلع الآلهة والأنداد والبراءة من

=

=

كل معبود سوىٰ الله تعالىٰ، ومن كل عبادة لغيره سبحانه... «جامع شروح الطحاوية» (٢/ ١٣٦٤).

وتفسير آية المائدة (٣): لما أكمل الله تعالىٰ لهذه الأمة دينها وأتم لهم النعمة بهدايتها، ورضي لهم دين محمد ﷺ دينًا وجب عليهم الرضا به ظاهرًا، وباطنًا، والقيام به والدعوة إليه، والصبر عليه، والدفاع عنه، ونشره بالبيان والسنان، والجهاد والثبات عليه حتىٰ الموت كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

وتفسير آية الزمر (٥٤): أي: أنيبوا إلىٰ الله ﷻ بقلوبكم وأسلموا له بأعمالكم وجواركم ولا تحيدوا عنه فيأتيكم العذاب.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره فمن لم يستسلم لله فقد استكبر، ومن استسلم لله ولغيره فقد أشرك وكل من الكبر والشرك ضد الإسلام...». «الفتاوىٰ» (١٠/ ١٤).

وتفسير آية البقرة (١٣٢) والتي بعدها: يأمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بملازمة الإسلام والتوحيد والطاعة حتىٰ الموت.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: الزموا هذا الدين ليرزقكم الله الوفاة عليه فإن المرء يموت غالبًا علىٰ ما كان عليه...». اهـ

وتفسير آية آل عمران (٨٣): ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ﴾، وهو الإسلام ﴿يَبْغُونَ﴾ يريدون ويرغبون فيه لجهلهم بالدين الحق وعنادهم بالباطل، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ استسلم، ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وهم الملائكة، وجميع العالم العلوي، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ سائر المخلوقات من إنس وغيرهم، ﴿طَوْعًا﴾ وهم المؤمنون وسائر خلق الله تعالىٰ إلا كفار الجن والإنس، ﴿وَكَرْهًا﴾ وهم الكفار فهم مسيرون بأمره تعالىٰ وقهره سبحانه، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ جميعًا فيجازيهم كلًّا بما يستحق.

وتفسير آية آل عمران الأخيرة (٨٥): **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-:** «ولهذا كان رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا سواه كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]...». «الفتاوىٰ» (١٠/ ١٥).

وقال الشيخ صالح الفوزان -رفع الله درجته-: «هذا الباب فيه أن الإسلام هو الدين الوحيد

=

أركان[1] الإسلام خمسة

عن عبد الله بن عمر ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُني الإسلام علىٰ خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[2].

=

الذي لا يقبل الله من أحد سواه، وقد استدل المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الآية في باب وجوب الإسلام علىٰ أن الدخول في الإسلام واجب، وهنا أراد أن يقرر بابًا مستقلًا يبين فيه أنه كما أن الدخول في الإسلام واجب، فكذلك الخروج من الإسلام -سواء بالردة أو بإحداث البدع- لا يقبل من صاحبه.

وهذه الآية تشمل فئتين من الناس: الفئة الأولىٰ: فئة غير المسلمين من أتباع الملل المختلفة، أنه لا يقبل منهم بعد بعثة محمد ﷺ دينًا سوىٰ الإسلام، حتىٰ وإن كانوا علىٰ الدين الصحيح الذي جاء به أنبياؤهم.

الفئة الثانية: فئة المسلمين من هذه الأمة الذين لم يأخذوا الإسلام كما جاء في الكتاب والسنة، بل أحدثوا المحدثات وابتدعوا الضلالات، ويظنون أنهم علىٰ حق وعلىٰ خير وصواب، فهؤلاء لا يقبل منهم ما جاءوا به؛ لأنه ليس علىٰ الإسلام الصحيح الذي أمروا به».

«شرح كتاب فضل الإسلام» (ص٨٩).

(١) الأركان جمع ركن: وهو جانب الشيء الأقوىٰ المعتمد عليه، وأركان الإسلام هي دعائمه التي يقوم بها.

(٢) **قال ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «المراد من هذا الحديث، أن الإسلام مبني علىٰ هذه الخمس، فهي الأركان والدعائم لبنيانه فلا يثبت البناء بدونها وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان؛ فإذا فقد منها شيء نقص البنيان بخلاف نقص هذه الدعائم الخمس؛ فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا، وكذلك يزول بفقد الشهادتين...». اهـ «جامع العلوم والحكم» (٥٢-٥٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «لا يقوم الإسلام إلا علىٰ هذه الأركان، فإذا فُقدت فإن الإسلام لا يستقيم وبقية الطاعات مكملات لهذه الأركان... ولهذا في حديث جبريل فسر الإسلام بأنه هذه الأركان الخمسة، لكن حديث ابن عمر بين أن هذه الخمسة

=

[أخرجه البخاري في الإيمان رقم (٨)، ومسلم في الإيمان أيضًا (١/ ٤٥) رقم (١٦)]

تنبيه: تقديم الحج على الصوم هو المتفق عليه عند البخاري ومسلم، وأما تقديم الصوم على الحج فهو إحدى روايتي مسلم.



=

هي مباني الإسلام...». «شرح الأصول الثلاثة» (ص١٦٢).

وقد سبق شرح الشهادتين وسائر الأركان شرحها في كتب الفقه.

نواقض الإسلام عشرة[1]

الناقض الأول: الشرك بالله[2]:

وذلك أن يجعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، ويستغيث بهم، وينذر لهم ويذبح باسمهم، لو اعتقد دفع الضر أو جلب النفع من دون الله فقد كفر.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

الناقض الثاني:

الردة عن الإسلام مختارًا إلىٰ اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الشيوعية

---

(١) **النواقض جمع ناقض، وهو في اللغة:** إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء.

قال العلامة عبد العزيز الراجحي -حفظه الله تعالىٰ-: «فنواقض الإسلام يعني: مفسدات الإسلام ومبطلاته، بمعنىٰ: أن الإنسان إذا فعل واحدًا من هذه النواقض بطل إسلامه ودينه، فانتقل من دين الإسلام إلىٰ دين أهل الأوثان.

وقوله: (عشرة) لأنها أهم النواقض ولأن كثيرًا من النواقض ترجع إلىٰ هذه العشرة». «تبصير الأنام بشرح نواقض الإسلام» (٩-١٠).

(٢) مراده: الشرك الأكبر فهو الناقض للإسلام، وسيذكر المؤلف -حفظه الله تعالىٰ- الكلام علىٰ الشرك في فصول قادمة ونستوعب شرحه هناك -إن شاء الله تعالىٰ-.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل الشرك أن تعدل بالله تعالىٰ مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده...». «الاستقامة» (١/ ٣٤٤).

وسيأتي في آخر النواقض بيان شروط التكفير وموانعه، لأن بعض المبتدعة يستغلون مثل هذا الفصل لينشروا التكفير في المجتمعات الإسلامية.

أو البعثية أو العلمانية أو الماسونية، أو غير ذلك مما هو كفر وإن لم يعتقده[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-: «الردة لغة: الرجوع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ﴾ [المائدة:٢١]؛ أي: لا ترجعوا، والردة في الاصطلاح الشرعي هي: الكفر بعد الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ﴾ [البقرة:٢١٧].

وأقسامها: الردة تحصل بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، وهي ترجع إلىٰ أربعة أقسام هي:

١- **الردة بالقول:** كسب الله تعالىٰ أو رسوله أو ملائكته أو أحد من رسله أو ادعاء علم الغيب، أو ادعاء النبوة، أو تصديق من يدعيها، أو دعاء غير الله، أو الاستعانة به فيما لا يقدر عليه إلا الله...

٢- **الردة بالفعل:** كالسجود للصنم أو الشجر أو الحجر والقبور والذبح لها، وإلقاء المصحف في المواطن القذرة وعمل السحر، وتعلمه وتعليمه، والحكم بغير ما أنزل الله معتقدًا حله...

٣- **الردة بالاعتقاد:** كاعتقاد الشريك لله، أو أن الزنا والخمر والربا حلال، أو أن الخبز حرام، وأن الصلاة غير واجبة ونحو ذلك مما أجمع علىٰ حله أو حرمته أو وجوبه إجماعًا قطعيًّا ومثله لا يجهله...

٤- **الردة بالشك -في شيء مما سبق-:** كمن شك في تحريم الشرك، أو تحريم الزنا والخمر، أو في حل الخبز، أو شك في رسالة النبي ﷺ، أو رسالة غيره من الأنبياء، أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان...

وأحكامها التي تترتب عليها بعد ثبوتها هي:

١- استتابة المرتد.

٢- فإذا أبي أن يتوب وجب قتله لقوله ﷺ «**من بدل دينه فاقتلوه**».

٣- يمنع من التصرف في ماله؛ فإن تاب وإلا صار فيئًا لبيت المال...

٤- انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه، فلا يرثهم ولا يرثونه.

٥- إذا مات أو قتل علىٰ ردته؛ فإنه لا يغسل ولا يصلىٰ عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين».

«عقيدة التوحيد» (ص١١٥-١١٧/ بتصرف يسير).

وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧][1].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤][2].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾ فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٢٨﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:٢٥-٣٠][3].

---

(١) هذه الآية صريحة في أن الردة كفر ومحبطة للأعمال كلها، وأن من مات علىٰ ذلك فهو من المخلدين في النار.

(٢) **الشاهد:** قوله ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾، **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «يخبر تعالىٰ أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئًا وإنما يضر نفسه، وأن لله عبادًا مخلصين يحبهم و يحبونه...». اهـ المراد.

(٣) يخبر تعالىٰ عن حالة المرتدين عن الهدىٰ والإيمان علىٰ أعقابهم إلىٰ الضلال والكفران، إنما هو بتسويل من الشيطان وتزيين لهم، وذلك أنهم قد تبين لهم الهدىٰ فزهدوا فيه ورفضوه...

ثم بين أسباب الحكم عليهم بالردة وهي:

أ- موالاتهم لأعداء الله تعالىٰ.

ب- اتباعهم لما يسخط الله تعالىٰ.

ج- كراهية رضوان الله تعالىٰ وشرعه.

د- حقدهم وبغضهم للدين وأهله...

ثم بيَّن عقوبتهم علىٰ ذلك وهي: أن أحبط الله أعمالهم كلها فلا يقبل منها شيئًا، وفضحهم في الدنيا أمام عباده المؤمنين، توعدهم بالعذاب الشديد عند الموت ويوم يقوم الأشهاد.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥][(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**من بدل دين فاقتلوه**»[(٢)]. رواه البخاري (٢٨٥٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدىٰ ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[(٣)]. رواه البخاري (٦٤٨٤)، ومسلم (١٦٧٦).

الناقض الثالث:

من لم يكفر الكافر يهوديًا كان أو نصرانيًا أو مجوسيًا أو مشركًا أو ملحدًا أو غير ذلك من أصناف الكفر، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم فقد كفر.

ذلك بأن الله قد كفَّرهم وهو ضادَّ الله ورسوله فلم يكفِّرهم، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، فقد اعترض علىٰ الله حين كفرهم[(٤)].

---

(١) سبق أن المرتد يحبط جميع عمله وهو كافر خاسر في الدنيا والآخرة.

(٢) هذا الحديث يبيِّن حكم المرتد إذا لم يتب أنه يقتل، وقد سبق بيانه، وقتله يجب علىٰ ولي الأمر أو نوابه، وليس إقامة الحدود لأفراد الناس.

(٣) **قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «والقتل بكل واحدة من هذه الثلاث متفق عليه بين المسلمين». اهـ

قلت: والشاهد من الحديث قوله: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**».

قال الحافظ ابن رجب: «وأما التارك لدينه المفارق للجماعة، فالمراد به من ترك الإسلام وارتد عنه وفارق جماعة المسلمين، وإنما استثناه مع من يحل دمه من أهل الشهادتين باعتبار ما كان عليه قبل الردة...

وأيضًا فقد يترك دينه ويفارق الجماعة وهو مقر بالشهادتين ويدعي الإسلام كما إذا جحد شيئًا من أركان الإسلام، أو سب الله ورسوله، أو كفر ببعض الملائكة...». «المنتقىٰ من جامع العلوم والحكم» (١٩٦).

(٤) هذا الناقض مجمع عليه؛ لأنه يجب علىٰ المسلم أن يكفر من كفَّره اللهُ ورسوله ﷺ، فيجب
=

=

علىٰ المسلم أن يعتقد بقلبه كفرهم عملًا بتكفير الله لهم وتكفير رسوله ﷺ لهم...، فالذي يشك في كفر المشركين عمومًا سواء كانوا من الوثنيين أو من اليهود والنصارىٰ، أو من المنتسبين إلىٰ الإسلام وهم يشركون بالله يجب اعتقاد كفرهم.

فكل من أشرك بالله وعبد معه غيره من الأشجار والأحجار والأصنام والأوثان والقبور والأضرحة؛ فإنه مشرك كافر يجب تكفيره حتىٰ ولو كان يدعي الإسلام، كغلاة الصوفية وغلاة الرافضة والقرامطة وغلاة الديمقراطيين؛ لأن الشرك يبطل الشهادتين ويناقض الإسلام، ويفسد التوحيد.

هذه عقيدة ليس عليها مساومة، فمن لم يكفر المشركين؛ فإنه يكون مرتدًّا كافرًا مثلهم، وكذلك من شك في كفر المشركين، وأشد من ذلك من صحح مذهبهم -أي: مذهب المشركين- فهذا أشد كفرًا. انظر: «شرح الفوزان» (٨٠/ ٨٢).

وقوله: (أو صحح مذهبهم)، **قال الشيخ عبد العزيز الراجحي -غفر الله له-**: «أو صحح مذهبهم»، كمن قال: إن اليهود علىٰ دين صحيح أو النصارىٰ علىٰ دين صحيح أو كمن يقول: من أحب أن يتدين بالإسلام أو باليهودية فله ذلك، فهذا شرك ويكون كفرًا بالإجماع؛ لأنه صحح مذهب المشركين ولم يكفرهم. (ص٣٠ من شرحه)، (شرح الفوزان/ ص ٨٣).

وهكذا من أشاد بحرية الاعتقاد أو وحدة الأديان أو صحح المبدأ الديمقراطي أو الاشتراكي أو القرمطي أو البعثي أو الحداثي؛ فهذا كفر. وقد سبق أن من شروط (لا إله إلا الله) الكفر بالطاغوت.

ويبنىٰ علىٰ تكفير الكافر أحكام كثيرة ذكرها الإمام صالح الفوزان في شرحه (٨٤-٩٢) ملخصها:

١- أنه يجب بغض الكفار ومعاداتهم وعدم موالاتهم.

٢- أن المسلم لا يتولىٰ جنازاتهم ولا يتبعه وإنما توارىٰ جيفته بالتراب عند الحاجة.

٣- لا يرثه المسلم؛ فالمسلم لا يرث الكافر ولا يورثه.

٤- لا يجوز تزويج المسلمة بالكافر.

٥- البراءة منهم والهجرة من بلادهم إلىٰ بلاد المسلمين لمن لا يقدر علىٰ إظهار دينه.

٦- لا يسلم عليهم ابتداءً.

٧- لا يصدرون المجالس ولا يفسح لهم في الطريق.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦].

وأهل الكتاب هم اليهود والنصارىٰ، والمشركون: هم الذين عبدوا مع الله إلهًا ومعبودًا آخر.

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة:١٧، ٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣][(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١][(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠][(٣)].

=

٨- **عدم تمكينهم** من دخول الحرم المكي.

٩- **إخراجهم من** جزيرة العرب.

١٠- **تحرم التشبه بهم.**

١١- **يحرم الثناء عليهم** ومدحهم. اهـ

(١) **هذه الآيات تدل علىٰ كفر اليهود والنصارىٰ وسائر المشركين، وبيان أنهم شر الخليقة؛ لأن البرية هي الخليقة وعلىٰ هذا فيكون الكفار من بني آدم شر الخلائق وإذا كانوا هم شر البرية فلن نتوقع منهم إلا كل شر...** «تفسير جزء عم للعثيمين». (ص٢٨٣-٢٨٤).

(٢) **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-:** «والله ﷻ كفَّر المشركين عبدة الأوثان وكفَّر من لم يؤمن بالرسل أو بعضهم...». (ص٧٩).

ودلت الآية علىٰ أن الكفر يقع فيه من كفر ببعض الشريعة ولو كان يقر بغيرها، وقد بُسطت **هذه المسألة في كشف الشبهات.**

(٣) **سيأتي الكلام علىٰ** النفاق في فصل مستقل.

تنبيه: قاعدة (**من** لم يكفر الكافر فهو كافر)، هذه القاعدة صحيحة في حق المتفق علىٰ كفره

=

الناقض الرابع:

من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت علىٰ حكمه[١].

ويدخل فيه من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام[٢]، أو أن أحكام الإسلام لا يصلح تطبيقها في هذا ....

=

كاليهود والنصارىٰ والمشركين وإبليس... إلخ.

أما من اختلف تكفيره كقاطع الصلاة، وغلاة المبتدعة ونحوهم مما لم يجمع العلماء علىٰ تكفيرهم فهذه القاعدة لا يصح إطلاقها علىٰ هذا المختلف فيه، وإنما يطلقها بعض أهل الأهواء. [وراجع للمسألة «فتاوىٰ العقيدة» للوادعي (ص١٧٥-١٧٦)، «الإتمام بشرح نواقض الإسلام». (ص١٨٥] وغيرها.

(١) هذا الناقض مجمع عليه.

قال العلامة صالح الفوزان: «هذا الناقض يشتمل علىٰ مسألتين:

الأولىٰ: من اعتقد أن هدي غير رسول الله ﷺ أكمل من هديه، وهدي الرسول دينه وطريقته التي يسير عليها في دعوته إلىٰ الله، وفي تعليمه وأخلاقه؛ فإن الرسول ﷺ أكمل الناس هديًا كما قال الرسول ﷺ: «**إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ**» (م٨٦٧)...

ويقول: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» (الترمذي/ ٣٨٩٥)، فلا أحد يساوي الرسول ﷺ في هديه فكيف يكون خيرًا منه؟! فمن زعم أن أحدًا أحسن من الرسول ﷺ هديًا فقد كفر الكفر الأكبر المخرج من الملة.

المسألة الثانية: من اعتقد أن حكم غير رسول الله ﷺ أحسن من حكمه فقد كفر؛ لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله، فحكمه -عليه الصلاة والسلام- صادر عن الله ﷻ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء:١٠٥]

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، فيجب تقبل حكمه بالتسليم والانقياد». «شرح نواقض الإسلام» للفوزان (٩٧-١٠٠).

(٢) لا يجوز الحكم بالقوانين أو غيرها من الأعراف، وكل ما لم ينزل الله به سلطانًا، وقد ذكر المؤلف أدلة كثيرة علىٰ هذا:

=

العصر[١]، أو أن الإسلام كان سببًا في تخلف المسلمين[٢].

أو أن يحصر الإسلام في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرىٰ[٣].

=

فما حكم من حكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ؟

الحكم بغير ما أنزل تعالىٰ كفر بثلاثة شروط:

- ألا يكون جاهلًا بحكم الله تعالىٰ فيه.
- وألا يكون مكرهًا.
- وألا يكون متأولًا.

فإذا انتفت هذه الموانع حكم عليه بالكفر. «فتاوىٰ العقيدة» للوادعي (ص١٨١).

أما من اعتقد أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ، ولكنه حكم بغير ما أنزل الله لهوًىٰ في نفسه أو طمع دنيوي مع اعتقاده أنه مخطئ؛ فهذا لا يكفر الكفر المخرج من الملة، وإنما كفر دون كفر، وهو الكفر العملي وصاحبه مسلم فاسق.

[راجع لهذه المسألة: شرح الفوزان (ص١٠٢-١٠٣)، وكتاب «التحذير من فتنة التكفير» للألباني وابن باز والعثيمين، وفيه نقولات عن السلف].

(١) فالذي يرىٰ أن حكم الشريعة لا يناسب العمل به في هذا الوقت؛ فهذا كفر بالله ﷻ لأن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان إلىٰ أن تقوم الساعة «شرح الفوزان». (ص١٠٠)، وهذا مجمع عليه.

وراجع كتاب: «وجوب تطبيق الشريعة في كل عصر». للسدلان.

(٢) هذا من أقوال الملاحدة كالشيوعيين والعلمانيين ومن تأثر بهم من ملاحدة المسلمين، وقائل هذا كافر كفرًا أكبر لأنه طعن في الدين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]، وسيأتي بيان أن الاستهزاء بالدين كفر في الناقض السادس.

(٣) هذا من أفكار العلمانية والماسونية تحت شعار (الدين لله والوطن للجميع)، وشعار (الدين في المسجد)، وشعار (الدين لا يتدخل في الحياة والسياسة).

قال شيخنا -رحمه الله تعالىٰ-: «نعتقد أن السياسة من الدين، بل لعلها ثلث الدين». اهـ

ففي كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ: الدين والسياسة والمعاملة والأخلاق وكل ما يحتاج الناس إليه إما تفصيلًا أو مجملًا بقواعد عامة يندرج تحتها أمور كثيرة، فمن اعتقد فصل

=

ويدخل في هذا الناقض من يرىٰ أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر[١].

ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة؛ لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعًا[٢].

وكل من استباح ما حرم الله ورسوله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والربا والخمر، والحكم بغير شريعة الله إلىٰ غير ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين[٣].

=

الدين عن السياسة أو المعاملة فهو كافر. (وقد تكلمنا علىٰ هذه المسألة في شرحنا لـ: هذه دعوتنا وعقيدتنا).

(١) هناك من يرىٰ أن الحدود الشرعية التي ذكرها المؤلف ونحوها أحكام قاسية ووحشية لا تناسب هذا الزمان المتطور، أو تخالف حقوق الإنسانية، وما أشبه ذلك من المقالات التي تصدر من الكفار والمنافقين، فإذا قالها من يدعي الإسلام فهي ردة واضحة عن دين الإسلام؛ لأنه اعتراض علىٰ حكم الله واعتبار أن حكم الله قاصر وغير مناسب، فهذه ردة صريحة عن دين الإسلام. «شرح الفوزان». (ص١٠٠-١٠١)، «شرح السياسة الشرعية» للعثيمين (ص٢٧٧).

(٢) **قال العلامة ابن أبي العز -رحمه الله تعالىٰ- في «شرح الطحاوية» (٣٢٣-٣٢٤) تحقيق الألباني**: «فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقُّنه أنه حكم الله؛ فهذا كفر أكبر...». اهـ المراد بواسطة كتاب «التحذير من فتنة التكفير» (ص٩).

وقال العلامة الشنقيطي -رحمه الله **تعالىٰ**-: «إما أن يكون فعل ذلك مستحلًّا له أو قاصدًا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها فهذا كفر». «الأضواء» (٢/ ١٠٤)، وانظر بسط المسألة في «شرح الفوزان». (ص١٠١-١٠٢)، و«شرح الراجحي». (ص٣٦-٣٧).

(٣) **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «والإنسان متىٰ حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدّل الشرع المجمع عليه كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء...». «الفتاوىٰ» (٣/ ٢٦٧).

قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥][١].

الناقض الخامس:

من أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر[٢].

---

(١) **يستفاد من هذه الآيات ما يلي:**

١- أن حكم الله تعالىٰ أحسن الحكم، وكذا حكم رسوله ﷺ، وأن من طلب غير حكمهما فهو مبتغ حكم الجاهلية.

٢- أن من لم يحكم بما أنزل الله تعالىٰ كافر كفرًا أكبر أو أصغر -حسب التفاصيل السابقة- وأنه ظالم فاسق.

٣- أن الدين الإسلامي شمولي لجميع شئون الحياة والعبادات والسياسة فمن اعتقد عدم شموليته كفر.

٤- أن من اعتقد نقص الشريعة أو جواز الحكم بغير ما أنزل الله أنه من المكذبين بآيات الله.

٥- أنه لا إيمان لمن لم يحكِّم شرع الله تعالىٰ في رضاه وغضبه وعسره ويسره.

(٢) هذا يشمل ما جاء في الكتاب والسنة، كالصلاة والصيام وتعدد الزوجات وغير ذلك...

=

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٨-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد:٢٥-٢٨].

الناقض السادس:

من استهزأ بالله أو الرسول أو القرآن أو الدين أو الملائكة أو العلماء من أجل علمهم، أو بأي شعيرة من شعائر الإسلام، كالصلاة والزكاة والصيام والحج والطواف بالكعبة، والوقوف بعرفة أو المساجد والأذان أو اللحية أو السنة النبوية، إلىٰ غير ذلك من شعائر الله والمقدسات الإسلامية فهو كافر(١).

=

فمن أبغض شيئًا من ذلك كفر ولو عمل به كالمنافق ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾، فبغض شيء من الشريعة دليل علىٰ بغض الرسول ﷺ، أو بغض الله ﷻ، أو الاستهزاء بالدين، وهذا كله كفر منافٍ للإيمان ومنافٍ لمحبة الله تعالىٰ ورسوله ودينه.

فالمؤمن يحب الله تعالىٰ ويحب رسوله ﷺ، ويحب ما يحبه الله ورسوله كما سيأتي في بابه، وقد كثر في زماننا من يبغض كثيرًا من السنن كاللحية والجهاد والحدود والدعوة والتعليم...

ويبغض كثيرًا من أدلة التحريم للربا مثلًا أو الزنا أو الخمر والتبرج أو الاختلاط... وهذا ضلال مبين وكفر برب العالمين، ومروق عن الدين، لمن علم أن ذلك ثابت في السنة أو القرآن الكريم.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم اعصمنا من الزلل.

(١) الاستهزاء لغة: السخرية والاستخفاف. «لسان العرب» (١/ ١٨٣).

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الاستهزاء بالله ورسله كفر يخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني علىٰ تعظيم الله تعالىٰ، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من

=

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦][1].

=

ذلك منافٍ لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة». (تفسير سورة التوبة).

وقال العلامة ابن حزم -رحمه الله تعالىٰ-: «صح بالنص أن من استهزأ بالله تعالىٰ بعد بلوغ الحجة إليه فهو كافر...». «الفصل» (٣/ ٢٩٩).

وقال القاضي عياض -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثَّل في بعض الأشياء ببعض ما عظَّم الله من ملكوته، أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف، ولا عامد للإلحاد؛ فإن تكرر هذا منه وعُرف به دل علىٰ تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه، وهذا كفر لا مرية فيه». «الشفا» (٢/ ١٠٩٢).

وقال الإمام ابن قدامة -رحمه الله تعالىٰ-: «من سب الله تعالىٰ كفر سواء كان جادًّا أو مازحًا، وكذلك من استهزأ بالله تعالىٰ أو بآياته أو برسله أو كتبه -وذكر آية التوبة- وينبغي ألا يكتفىٰ من الهازئ بذلك بمجرد الإسلام حتىٰ يؤدب أدبًا يزجره عن ذلك». «المغني» (١٠/ ٦٧)، «نواقض الإيمان» (١١٥-١١٦).

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «البغض من أعمال القلوب والاستهزاء من أقوال اللسان». «شرحه». (ص١٢٨).

وقال العلامة الراجحي -غفر الله له-: «فإذا استهزأ بالصلاة أو الصيام أو الزكاة أو بالمصلين لصلاتهم أو يستهزئ باللحية كراهة لما جاء به الإسلام من الأمر بإعفائها؛ فإنه يكفر...». «شرحه للنواقض» (ص٤١).

وقال: «أما إذا سخر من الشخص لذاته فلا يكفر». (ص٤١-٤٢) ولكنه حرام وكبيرة أيضًا.

(١) **قال شيخ الإسلام في هذه الآية:** «هذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر». «الفتاوىٰ» (١٥/ ٤٨)، «الصارم المسلول» (ص٣١).

وقال ابن العربي -رحمه الله تعالىٰ-: «لا يخلو أن يكون ما قالوه -أي: المنافقون- من ذلك جدًّا أو هزلًا وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأئمة؛ فإن التحقيق

=

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠][1].

=

أخو العلم والحق، والهزل أخو الجهل والباطل». «أحكام القرآن» (٢/ ٩٦٤).

وقوله تعالىٰ: ﴿كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]، الذي قرره شيخ الإسلام أنهم كانوا المؤمنين وليسوا منافقين، ونصره الشيخ الفوزان في شرحه ولكن سياق الآية في المنافقين، ويكون الراجح أن كبارهم من المنافقين وفيهم من غيرهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]، وكيف كان فالاستهزاء كفر وردة.

(١) يستفاد من الآيات السابقة ما يلي:

١- أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء وهذا لا خلاف فيه.

٢- الاستهزاء علامة علىٰ نفاق القلب وإلحاده غالبًا.

٣- وجوب تعظيم الله تعالىٰ ودينه ورسله وما أمر الله تعالىٰ بتعظيمه.

٤- وجوب تعظيم القرآن واحترامه والتسليم لأحكامه.

٥- وجوب احترام كل ما جاء به الإسلام واحترام سنة رسول الله ﷺ.

٦- احترام العلماء من الدين لأنهم حملته وحماته.

٧- من سمع الاستهزاء بالله تعالىٰ أو بدينه ورسله ... ورضي فهو كافر منافق (إنكم إذن مثلهم).

٨- الاستهزاء من صفات المجرمين.

٩- لا يجوز حضور مجالس الشر وأخبثها ما كان فيها إظهار الكفر.

١٠- خطر الاستهزاء علىٰ دين المسلم، فليت من يدعي الإسلام ويصف الدين بالقشور أو

=

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢][(١)].

الناقض السابع:

السحر، ومنه الصرف والعطف[(٢)].

فأما الصرف: فهو عمل سحري يقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه، كصرف الرجل عن محبة زوجته إلىٰ بغضها.

وأما العطف: فهو عمل سحري أيضًا يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه إلىٰ محبته بطرق شيطانية.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

=

يصف إنكار الشرك بالفروع ويسخر من اللحية والسواك، والعلماء، وطلب العلم قوقعة في المساجد... فما أقرب هؤلاء من الكفر.

١١- أن الاستهزاء يكون بالقول وبالإشارة كالغمز ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين:٣٠].

(١) الشاهد من الآيتين أن تعظيم ما عظَّمه اللهُ تعالىٰ دلالة علىٰ التقوىٰ والإيمان، والاستهزاء ضد ذلك كما سبق.

(٢) سيأتي الكلام علىٰ السحر في بابه -إن شاء الله تعالىٰ- بتوسع، والسحر محرم بالإجماع عند جميع الرسل وأتباعهم.

وهذا الناقض قول جمهور العلماء بأنه كفر وهو الصحيح الذي دلت عليه الآيات والأحاديث، وأصل السحر لا يتوصل إليه إلا بعد الكفر بالله تعالىٰ وطاعة الجن وعبادتهم كما دلت عليه الآية التي ذكر المؤلف.

وقد يوجد من يُظهر ما يشبه السحر باستخدام عقاقير أو الفيزياء والزئبق وما أشبه ذلك، ليحتال علىٰ أموال الناس، وهذا حرام إلا أنه خلاف الأصل وغالبًا لا يتمكن من التأثير علىٰ عقل المصاب، وغالب السحر من النوع الأول بدلالة أنك عند رقية المريض يظهر تلبس الجن به، وبهذا التفصيل تكاد أن تجتمع أقوال العلماء عليه.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرقىٰ والتمائم والتِّولة شرك**».

رواه أبو داود رقم (٣٨٨٣)، وحسنه الشيخ مقبل في «الصحيح المسند» (٢/ ١٧-١٨)، وعزاه إلىٰ الحاكم فقط (٤/ ٢١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣٢)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٣٣١)، وكذا صححه الحاكم (٤/ ٢١٧)، ووافقه الذهبي.

والحديث رواه ابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٦٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٥٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠).

الناقض الثامن:

مناصرة الكافرين ومعاونتهم علىٰ المسلمين[1].

---

(١) ذكر الشيخ نوعين من موالاة الكفار والموالاة تشمل ذلك وتشمل أيضًا: محبتهم بالقلب ومدحهم والرضا بدينهم إلىٰ غير ذلك.

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله تعالىٰ-: «معاونة ومساعدة ومظاهرة المشركين علىٰ المسلمين ردة؛ لأن هذا من التولي للكفرة وتولي الكفرة ردة عن الإسلام بنص القرآن، ومحبة المشركين وتفضيلهم كفر وردة ولازم ذلك بغضه للإسلام والمسلمين...». اهـ بتصرف (٥١-٥٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان -رفع الله درجته-: «ومظاهرة الكفار علىٰ المسلمين تحتها أقسام:

القسم الأول: مظاهرتهم ومعاونتهم علىٰ المسلمين معه محبة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال فهذا القسم لا شك أنه كفر أكبر...

القسم الثاني: أن يعاونهم علىٰ المسلمين لا مختارًا وهو لا يحبهم، بل يكرهونه علىٰ ذلك بسبب إقامته بينهم فهذا عليه وعيد شديد ويخشىٰ عليه من الكفر...؛ لأنه ترك الهجرة وهو مستطيع.

القسم الثالث: من يعين الكفار علىٰ المسلمين مختارًا غير مكره مع بغضه لدين الكفار وعدم الرضا به، فهذا لا شك أنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب ويخشىٰ عليه من الكفر.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ(١) إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١](٢).

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩-١٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ١-٢].

=

القسم الرابع: من يعين الكفار علىٰ الكفار الذين لهم عهد عند المسلمين فهذا حرام ولا يجوز لأنه نقض لعهد المسلمين....

القسم الخامس: مودة الكفار ومحبتهم من غير إعانة لهم علىٰ المسلمين، هذا نهىٰ الله عنه ونفىٰ عن صاحبه الإيمان؛ قال الله -جل وعلا-: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]...». اهـ بتصرف (١٥٩-١٦١).

(١) هذه الآية والتي بعدها نهىٰ الله المؤمنين أن يطيعوا الكافرين من المنافقين والمشركين؛ فإنهم إن أطاعوهم لم يردوا لهم إلا الشر والكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران، ثم ذكر سبحانه السبب الأكبر لثبات المؤمنين علىٰ الحق والدين وهو: الاعتصام بالله تعالىٰ مولاهم وناصرهم، وأن من اعتصم بالله تعالىٰ فقد وفق للصراط المستقيم والطريق الآمن القويم، والمؤلف ذكر الآية لبيان أن طاعة الكفار من موالاتهم ومناصرتهم المؤدية إلىٰ الكفر.

(٢) قوله: (منهم) دليل علىٰ كفر من فعل ذلك... «شرح الفوزان» (ص١٥٨).

وقال -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأَخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣][(١)].

الناقض التاسع:

من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسىٰ عليه السلام فقد كفر[(٢)].

---

(١) هذه الآيات من سورة الممتحنة، وسورة الممتحنة كلها في تحريم مودة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إلىٰ المسلم، فكل سورة الممتحنة في موضوع معاداة الكفار وعدم محبتهم. «شرح الفوزان». (ص١٦٢).

ويؤخذ من الآيتين ما يلي:

١- أسباب وجوب معاداة الكفار ومنها: أنهم أعداء الله تعالىٰ، وأعداء عباده المؤمنين، وأنهم كفروا بالدين الحق الذي جاء به الرسل عليهم السلام، أنهم أخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم وأموالهم، وأن موالاتهم تنافي الإيمان والجهاد، وأن مودتهم ضلال عن الحق والصراط المستقيم، لو تمكنوا من المؤمنين لأوسعوا في سبهم وقتلهم، وأنهم يكفرون بالله واليوم الآخر، وأن الله غضب عليهم فكيف ترضون أنتم عنهم؟!

٢- قوله تعالىٰ: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، هذه من تولي الكفار، وقد سبق بيان حكمه، وقد فرق العلماء بين ثلاث مسائل: الموالاة والتولي والاستعانة.

فالتولي أصله من محبة القلب للكفار... وهذا كفر كما سبق.

والموالاة إذا لم تصل إلىٰ حد التولي والمناصرة لهم علىٰ المسلمين فهي ضلال مبين دون الكفر الأكبر.

والاستعانة بالكفار في الحرب فالأصل تحريمها وإنما تجوز لمصلحة ضرورية للمسلمين مع أمن عواقبها. «شرح الراجحي». (ص٤٧)، «نواقض الإيمان». (ص٣٨٤-٣٨٥، ٣٩٠).

٣- يستفاد من الآيات أن ما لم يكن فيه تولٍّ أو موالاة ونحو ذلك فليس بحرام كالمعاملة التجارية والدنيوية التي لا تخالف الكتاب والسنة وما أشبه ذلك.

٤- تحريم التشبه بالكفار؛ لأن ذلك ذريعة إلىٰ محبتهم والتأثر بهم.

(٢) **هذا الناقض يشمل طائفتين:**

الأولىٰ: الذين يقولون بحرية العقيدة ووحدة الأديان.

=

وذلك أن النبي[١] كان يُرسل إلىٰ قومه خاصة، فلا يجب علىٰ كل الناس متابعته، أما نبينا محمد ﷺ؛ فإنه أُرسل إلىٰ الناس كافة، فلا يحل لأحد مخالفته

=

والثانية: الصوفية الذين يرون أن الولي يسوغ له الخروج عن شريعة الإسلام.

أما الطائفة الأولىٰ فغالبهم من أهل النفاق والزندقة وقد تقدم الرد عليهم غير مرة، وأن الدين الإسلام ورسولنا محمدًا ﷺ رسول إلىٰ عامة الجن والإنس، وأن جميع الأديان منسوخة والشركيات مردودة.

وأما الطائفة الصوفية فقد رد عليهم العلماء.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «جعلوا قصة الخضر حجة لهم، وكل هذه مقالات من أعظم الجهالات والضلالات، بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر؛ فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أن رسالة محمد ﷺ لجميع الناس عربهم وعجمهم وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وأنها باقية دائمة إلىٰ يوم القيامة، بل عامة الثقلين الجن والإنس وأنه ليس لأحد من الخلائق الخروج من متابعته ﷺ وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته وطاعته...

ومما يبين الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسىٰ والخَضر علىٰ مخالفة الشريعة، أن موسىٰ عليه السلام لم يكن مبعوثًا إلىٰ الخضر، ولا أوجب الله علىٰ الخَضر متابعته، وذلك أن دعوة موسىٰ كانت خاصة، ... ومَن سوَّغ هذا -الخروج عن الشريعة- أو اعتقده فهو كافر باتفاق المسلمين...». «الفتاوىٰ». (١١/ ٤٢٠-٤٢٦).

وأيضًا الخضر نبي يوحىٰ إليه كما قال تعالىٰ عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]؛ أي: إنما فعلته بوحي الله تعالىٰ. (راجع للتوسع: «مظاهر الانحراف العقدية عند الصوفية». (٢/ ٥١١-٥٢٤).

وممن يدخل في هذا الناقض الفلاسفة وغيرهم ممن لا يقبلون من العقائد إلا ما أثبته العقل، وكذلك من اعتقد فصل الدين عن السياسة وأن مرجع السياسة والدين غير الكتاب والسنة فهؤلاء كفرة ملاحدة، وهكذا من ادعىٰ النبوة أو صدق مدعيها فهو كافر بالإجماع. (راجع شرح الإمام الفوزان ١٨٠-١٨٧).

(١) أي: الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ.

ولا الخروج عن شريعته.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨][1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلىٰ قومه خاصة، وبُعثت إلىٰ الناس عامة**»[2]. رواه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١).

وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

---

(١) دلت هذه الآيات علىٰ عموم رسالة نبينا محمد ﷺ الإنس والجن، وأكدت لذلك بعدة عمومات وهي (العالمين، جميعًا، كافة) فمن ادعىٰ تخصيصها بزمان أو قوم فهو من أكفر الناس.

(٢) هذا الحديث دليل علىٰ اختصاص نبينا محمد ﷺ بخصائص كثيرة علىٰ من سبقه من الأنبياء عليهم السلام إكرامًا له، ومنها -وهو الشاهد هنا- بعثه إلىٰ الإنس جميعًا والجن، فمن لم يؤمن به فقد كفر وهو من أهل النار خالدًا فيها.

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:٨٣][(١)].

وفي الحديث: «**والله لو أن موسىٰ حيًّا لما وسعه إلا اتباعي**»[(٢)].

حسنه الألباني في «الإرواء». (٦/ ٣٤) رقم (١٥٨٩)، وذكر له ثمان طرق، وقد ذكره ابن كثير في تفسير آية (٨١ و٨٢)، ومن سورة آل عمران (٢/ ٧٨) الطبعة المحققة، وضعفه الشيخ مقبل في هذا الموضع.

الناقض العاشر:

الإعراض عن دين الله تعالىٰ لا يتعلمه ولا يعمل به[(٣)]، والمراد بالإعراض الذي

---

(١) سبق شرح هذه الآيات في دروس سابقة فأغنىٰ ذلك عن إعادتها، وساقها المؤلف هنا لبيان أن الله تعالىٰ لا يقبل من أحد دينًا سوىٰ الإسلام، فدين المشركين والكفار الكتابيين، وهكذا دين الحلولية والرافضة الغلاة أصحاب قرآن فاطمة والجفر، ودين غلاة الصوفية أصحاب درجة اليقين الذين يزعمون رفع التكاليف عمن بلغ هذه الدرجة عندهم، وهكذا دين القرامطة كلها أديان مردودة باطلة غير مقبولة.

فدين الله تعالىٰ الحق الكامل هو الإسلام فمن خرج عنه خرج إلىٰ الدين الناقص الباطل أيًّا كان.

(٢) معنىٰ الحديث صحيح كما سبق في كلام شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران:٨١]، وإذا نزل عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان فلن يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ.

(٣) **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «(لا يتعلمه)؛ أي: لا يتعلم الدين رغبة عنه (لا كسلًا أو عدم قدرة)، وهذا يكفر لأنه لا يريد الدين... فالذي يرفض تعلم العلم رغبة عنه يكون كافرًا.

(ولا يعمل به) الذي يرفض العمل بالعلم نهائيًّا يعتبر كافرًا، فلا يتعلمه: هذه طريقة الضالين من النصارىٰ والصوفية وغيرهم، ولا يعمل به: هذه طريقة اليهود ومن نحا نحوهم من كل عالم لا يعمل بعلمه...». (١٩٠-١٩٢) بتصرف.

هو ناقض من نواقض الإسلام، هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي به يكون المرء مسلمًا ولو كان جاهلًا بتفاصيل الدين، لأن العلم بتفاصيل الدين قد لا يقوم به إلا العلماء وطلبة العلم[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣][2].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢][3].

وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه:١٢٤][4].

---

(١) **الإعراض**: معناه الانصراف عن الشيء مع عدم الرغبة فيه، فالمعرض عن الدين لعدم الرغبة فيه كافر، وهذا هو الملحد اللاديني كالشيوعي والاشتراكي والبعثي والعلماني والماسوني والحداثي والدهري، وغيرهم ممن لا يريد الدين ولا العبادة، وغالب هؤلاء لا يؤمنون بالله ولا برسله ولا باليوم الآخر، ومنهم من يكون علىٰ دين باطل ولكنه معرض عن الدين الحق لا يريده لأنه يراه باطلًا، أو يعتقد أنه لا حاجة له فيه، أو أنه مستغنٍ عنه أو غير ذلك من أسباب الإعراض، وهذا كفر أكبر.

(٢) هذه الآية صريحة في أن الإعراض كفر وأنه صفة ملازمة للكافرين، أما المؤمن فمنقاد مستسلم لله تعالىٰ ولكتاب الله تعالىٰ ومتبع لسنة النبي ﷺ، وإن وجد من بعض المسلمين إعراض عن طاعة ما، مع الإيمان بها إما كسلًا أو تهاونًا فهذا ذنب عظيم دون الكفر، فإذا كان معه أصل الإيمان فلا يكفر، وإنما أعرض كسلًا أو تأولًا كأهل البدع. (نواقض الإيمان ص ٣٤٦/ الدرر السنية ٨/ ٢٥٨).

(٣) **قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالىٰ-**: «ما ذكره الله في هذه الآية الكريمة من أن الإعراض عن التذكر بآيات الله من أعظم الظلم». اهـ «أضواء البيان» (٤/ ١٤٢-١٤٣)، وسماه مجرمًا وتوعده بالانتقام منه.

(٤) **قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾ [طه:١٢٤]؛ أي: خالف أمري وما أنزلته علىٰ رسولي ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله...». اهـ وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

=

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١][1].



=

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما من أعرض عن الهدىٰ ودين الحق ولم يرفع به رأسًا بعد معرفته أو مع تمكُّنه من معرفته، فالأدلة القرآنية والآحاديث النبوية دالة علىٰ دخول هؤلاء في الوعيد، قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٣-١٢٤]». «منهاج التأسيس» (ص٢٢٧-٢٢٨).

(١) قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم، وأهل الكتاب وغيرهم كما قال تعالىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، فمن بلغه القرآن فهو نذير له وداعٍ فمن تبعه هُدي ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيامة». اهـ

فهذا الناقض من أدق النواقض وأخطرها فما أكثر المعرضين، وقد ذكر العلامة صالح الفوزان في شرحه كلامًا مهمًّا كثيرًا حول هذا فراجعه هنالك.

حكم الهازل والجاد والخائف والمكره في هذه النواقض(١)

---

(١) يجب عليك أيها المسلم أن تعلم أن التكفير حق لله تعالىٰ فلا يجوز التكفير لمسلم إلا بدليل من الكتاب أو السنة، حتىٰ تجتمع فيه شروط التكفير وتنتفي عنه الموانع، وإلا كان المكفِّر متقولًا علىٰ الله تعالىٰ بلا علم وظالمًا لمن كفره.

قال **شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتىٰ تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة».

وقال: «إن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع...». «الفتاوىٰ» (٢٣/ ٣٢٦)، (١٢/ ٤٦٦)، «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٢٧١).

وشروط التكفير هي:

قال العلامة الإمام ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «فالمعين يحتاج الحكم بتكفيره إلىٰ أمرين:

١- ثبوت أن هذه الخصلة التي قام بها مما يقتضي الكفر.

٢- انطباق شروط التكفير عليه وأهمها العلم بأن هذا مكفر؛ فإن كان جاهلًا فإنه لا يكفر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]... ولابد مع توفر الشروط من عدم الموانع، فلو قام الشخص بما يقتضي الكفر إكراهًا أو ذهولًا لم يكفر لقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

ولقول الرجل الذي وجد دابته في مهلكة: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**» أخطأ من شدة الفرح». اهـ «القول المفيد» (٢/ ٢٧١-٢٨٢).

إذن؛ فشروط التكفير:

الأول: العلم -كما سبق-، وهو قيام الحجة، وضده الجهل.

الثاني: أن يقع منه الكفر مختارًا، وضده: المكره.

الثالث: ألا يكون متأولًا، وضده المتأول.

الرابع: أن يكون بالغًا عاقلًا فخرج الطفل والمجنون والسكران، لقول النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتىٰ يستيقظ، وعن الصغير حتىٰ يبلغ، وعن المجنون حتىٰ =

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف علىٰ ماله وجاهه إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطرًا وأكثر ما يكون وقوعًا فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه(١).

=

يفيق». رواه أحمد (٢٤٦٩٤/ ٤١)، وغيره عن عائشة رضي الله عنها وصححه الشيخان.

ومن خلال هذا العرض يتبين لك موانع التكفير وهي:

١- **الجهل**: وعدم بلوغ الحجة للآيات الكثيرة منها ما سبق، قال شيخ الإسلام: «والكفر لا يقوم إلا بعد البيان». «الفتاوىٰ» (١٢/ ٥٢٤).

٢- **المكره**: وحده أن يحل به ما لا طاقة له علىٰ تحمله، فينطق أو يعمل الكفر مع بغضه بقلبه، وهذا معذور بالإجماع؛ فإن رضيه بقلبه كفر.

٣- **التأويل**: وحده أن يخطئ مع حرصه علىٰ إصابة الحق، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

٤- **النسيان والذهول**: كما دلت عليه الآية السابقة والحديث، أما تعمد الكفر جادًّا أو هازلًا؛ فإنه يكفر. [راجع التكفير وضوابطه للعلامة الرحيلي ص٢٦٣-٢٩٧]، وفيه نقولات كثيرة عن السلف.

(١) **الهازل**: هو المازح.

والجاد: الذي يقصد ويتعمد ما يقول.

فكلاهما مستوٍ في الفعل أو القول، وإن اختلفت النيات، فمن قال كلمة الكفر مختارًا كفر بإجماع العلماء، وذلك للأدلة القرآنية والأحاديث كما سبق في الناقض السادس.

وهكذا المداهن، والمداهنة: هي التنازل عن شيء من الدين لإرضاء الكفار أو غيرهم كمن يسجد للصنم مداهنة لعباده أو يذبح لغير الله تعالىٰ مداهنة لطائفة أو سدنة قبر، أو يتلفظ بالكفر لمصلحة له أو لغيره... هذا كفر وردة.

- وقوله: (والخائف...) الذي يقول كلمة الكفر أو يفعل الكفر خوفًا من الكفار؛ يكفر ولا عذر له في ذلك ما لم يصل إلىٰ حد الإكراه؛ فإذا أكره علىٰ كفر مع عدم رضاه به وطمأنينة قلبه بالإيمان، وقصده دفع الإكراه عن نفسه أو عرضه لا إرضاء الكفار فهذا يعذر... (وانظر: شرح الفوزان ١٩٩-٢٠٠).

دليل ذلك:

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦][1].

ودليل المكره:

قوله تعالىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:١٠٦][2].

راجع لنواقض الإسلام كتاب: «التبيان شرح نواقض الإسلام» تأليف الشيخ سليمان بن ناصر العلوان.

ونواقض الإسلام لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ-[3].



(١) سبق شرحها في الناقض السادس، والشاهد من الآية أن الله تعالىٰ حكم عليهم بالكفر مع قولهم ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فلم يعذرهم الله تعالىٰ ولا رسوله فلا فرق بين الجاد والهازل. «شرح الفوزان». (ص١٩٨-١٩٩).

(٢) **قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-**: «اتفق العلماء علىٰ أنه يجوز أن يوالي المكره علىٰ الكفر إبقاء لمهجته، ويجوز أن يستقل كما كان بلال ﷺ يأبىٰ عليهم وهم يفعلون به الأفاعيل». اهـ

(٣) وشرح النواقض للفوزان والراجحي؛ فهما من أحسن الشروح، لاسيما شرح الإمام الفوزان، فهو مفيد جدًّا.

تعريف الإيمان

الإيمان لغةً: التصديق[1]، كما في فتح الباري (١/ ٤٦).

وشرعًا: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[2].

---

(١) **الإيمان لغة**: مصدر من آمن يؤمن إيمانًا... وهو من الأمن ضد الخوف.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد». «الصارم» (ص٥١٩).

وذكر شيخ الإسلام فروقًا بين التصديق والإيمان تمنع دعوىٰ الترادف بينهما ثم خلص من ذلك إلىٰ أن أولىٰ تفسير لغوي هو الإقرار. «الفتاوىٰ» (٧/ ٢٩٠-٢٩٣، ٥٢٩-٥٣٤).

وانظر كتاب: «زيادة الإيمان ونقصانه» للعلامة عبد الرزاق البدر (ص٣٣-٣٧).

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق هذا في اللغة...». «شرح الواسطية» (٢/ ٢٣٠).

(٢) هذا التعريف مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-: «وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزي واحد من الثلاثة عن الآخر».

وقال العلامة البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: «اتفقت الصحابة والتابعون علىٰ أن الأعمال من الإيمان وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة». اهـ

«شرح السنة» للبغوي (١/ ٣٨)، «الفتاوىٰ» (٧/ ٢٠٩)، «أقوال التابعين في الإيمان والتوحيد» (٣/ ١١٢٢-١١٢٧).

وشرحه: (الإيمان) يشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر والغيبيات وسائر شرائع الدين.

(نطق باللسان) نطق مع اعتقاد القلب لا ينفك أحدهما عن الآخر: كالأذان والذكر وقراءة القرآن والخُطب والتعليم والدعوة... ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية.

وحديث أبي هريرة ﷺ الآتي: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها: قول لا إله إلا الله...**». =

فائدة:

قال ابن أبي العز في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٣٢): «اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافًا كثيرًا.

فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة -رحمهم الله-، وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين: إلىٰ أنه

=

(واعتقاد بالجنان)؛ أي: بالقلب: أي: إقرار القلب وتصديقه وإيقانه وإخلاصه لله تعالىٰ، وإيمانه بأركان الإيمان والإسلام والإحسان، وسائر الشريعة تعبدًا لله تعالىٰ، وبغض الباطل وأهله تعبدًا لله تعالىٰ.

وإيمان القلب يشمل أمرين:

تصديق وإقرار كل ما ورد في الكتاب والسنة.

الثاني: إذعانه وانقياده وتسليمه لأوامر الله تعالىٰ كالرضا بحكم الله تعالىٰ والخشية والإنابة والحب والخوف والتوكل... ونحو ذلك من عبادات القلب.

فالأول: قول القلب، والثاني: عمله. (وانظر: كتاب البدر ص٣٦-٣٨)، «الفتاوىٰ» (٧/ ٦٣٩).

(وعمل بالجوارح والأركان)؛ وهي الأعضاء، وعملها لا يسمىٰ إيمانًا حتىٰ يقترن باعتقاد القلب، مثاله الصلاة: يعتقد بقلبه فرضيتها ويقر بذلك، ويحب القيام بها تعبدًا لله تعالىٰ فهذا إيمان القلب، والعمل: أداؤها كما شرعها الله ﷻ بقراءتها وركوعها وسجودها وشروطها وأركانها...

فهذا العمل من الإيمان، وسيأتي قريبًا بيان أن الأعمال من الإيمان في باب قريب.

والأعمال: تشمل كل عمل شرعه الله ﷻ.

- (يزيد بالطاعة)؛ وهي: فعل ما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ بفعله، وترك ما نهىٰ الله ﷻ ورسوله ﷺ عن فعله، فالقيام بالصلاة طاعة، وترك الخمر طاعة -مثلًا-.

ففعل المأمور وترك المحظور يزيد في الإيمان.

(وينقص بالمعصية)؛ وهي: ترك ما أمر الله ﷻ ورسوله بفعله، وفعل ما نهىٰ الله ﷻ ورسوله ﷺ عن فعله، كترك الصلاة وشرب الخمر -مثلًا-.

وستأتي الأدلة قريبًا في باب مستقل.

تصديق بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان[١].

وذهب كثير من أصحابنا[٢] إلىٰ ما ذكره الطحاوي أنه الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[٣].

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي وإلىٰ هذا ذهب أبو منصور الماتريدي ويروىٰ عن أبي حنيفة[٤].

وذهب الكرامية إلىٰ أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط!

فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسن الصالحي أحد رؤساء القدرية إلىٰ أن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين فإنهم عرفوا صدق موسىٰ وهارون -عليهما الصلاة والسلام- ولم يؤمنوا بهما؛ ولهذا قال موسىٰ لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤].

وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به معادين له.

وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنًا، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

---

(١) قلت: وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

(٢) قلت: يعني الأحناف.

(٣) قلت: هم المرجئة، أرجئوا العمل عن الإيمان.

(٤) وهو قول باطل مخالف لأدلة الكتاب والسنة، وإجماع السلف ومن تبعهم بإحسان.

لــو لا الملامــة أو حــذار مــسبة لوجدتنــي ســمحًا بــذاك مبيــنا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه بل هو عارف به ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر:٣٦].

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر:٣٩].

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

والكفر عند الجهم هو: الجهل بالرب تعالىٰ.

ولا أحد أجهل منه[1] بربه!

فإنه جعله[2] الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته علىٰ نفسه!

وبين هذه المذاهب مذاهب أخر بتفاصيل وقيود أعرضت عن ذكرها اختصارًا».

انتهىٰ كلام ابن أبي العز -رحمه الله تعالىٰ-.

قلت:

والإيمان عند الأشاعرة هو التصديق، كما في فتح المجيد باب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:٦٠][3].

---

(١) يعني: لا أحد أجهل من جهم، وقد كفره عامة علماء السنة؛ لأنه شك في ربه ودينه واتبع طريقة الفلاسفة ورد كثيرًا من أحكام الإسلام، وقد حكىٰ ابن القيم تكفير الجهمية عن أكثر من خمسمائة عالم.

(٢) أي: جعل ربه الوجود المطلق؛ أي: لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان... فهو عدم عندهم. انظر للتوسع: «الفتاوىٰ» (٢/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٣) وقول الأشاعرة أشبه بقول الجهم بن صفوان وبطلان ذلك معلوم -وسيأتي تفصيله في الواسطية-.

وقد بيَّن فساد هذه الأقوال شيخ الإسلام وغيره، وانظر: «زيادة الإيمان ونقصانه» للبدر (ص ٣٤٥-٣٨١). «شرح الواسطية» للعثيمين (٢٣٠-٢٣٧) المجلد الثاني. وغيرهما.

والأشاعرة يرون أن الإيمان لا يتبعض إذا ذهب بعضه ذهب كله، فمن أجل ذلك أخرجوا =

قلت:

ولا شك أن الحق هو قول أهل السنة والجماعة، وهو أن الإيمان:

نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.



=

القول والعمل من الإيمان... [انظر: نقض قواعد الأشاعرة ص٣٦٧].

وهذا مردود بالأدلة السابقة وإجماع السلف.

أركان الإيمان ستة[1]

اعلم أخي المسلم -وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه-، أن رسول الله ﷺ لما سأله جبريل عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

فقال له جبريل عليه السلام: «**صدقت**»[2].

---

(١) **قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «اتفق عليها -أي: أركان الإيمان- الأنبياء والمرسلون وأتباعهم وهي أصل العقيدة التي تنجي من عذاب الله تعالىٰ». (جامع العلوم والحكم/ شرح حديث جبريل).

(٢) (الإيمان بالله تعالىٰ) يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بوجود الله تعالىٰ.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته.

وسيأتي شرح ذلك في دروس مستقلة قريبًا -إن شاء الله تعالىٰ-.

(الإيمان بالملائكة)،وهو يتضمن أربعة أمور أيضًا:

١- الإيمان بوجودهم وأنهم مخلوقون مسخرون لعبادة الله تعالىٰ.

٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم نحو (جبريل-إسرافيل-مالك خازن النار-منكر ونكير... إلخ). ومن لم نعلم اسمه وهم أكثر الملائكة نؤمن بهم إيمانًا مجملًا.

٣- الإيمان بما علمنا من صفاتهم العامة نحو ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾، ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾، وقال ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور**» رواه مسلم. وما أشبه ذلك.

ونؤمن بصفات من وصف الله منهم كجبريل عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

وقوله ﷺ: «**أذن لي أن أحدث عن ملك رجلاه في الأرض السابعة وعنقه منثنٍ تحت العرش**». عن أبي هريرة في «الصحيح المسند» (١٤٣٦).

=

=

وهكذا أعدادهم المذكورة كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

وقال **الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-**: «الملائكة عالم غيبي عابدون لله تعالىٰ وليس لهم من الربوبية والألوهية شيء وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالىٰ». اهـ

٤- الإيمان بما علمنا من أعمالهم كالإيمان بقيام جبريل بالرسالة والوحي إلىٰ الأنبياء وقيام إسرافيل بالنفخ بالصور وملائكة ساجدون وراكعون، وملائكة موكلون بالقطر، وملائكة خزنة النار، وملائكة لقبض الأرواح، وملائكة لكتابة أعمال العباد... (وانظر للتوسع: الجامع الصحيح في أخبار الملائكة لليافعي، وشرح الأصول الثلاثة للعثيمين ص٩٠-٩٤) وغيرها.

(الإيمان بالكتب) والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بأنها كلام الله تعالىٰ منزلة من عنده سبحانه بالحق.

٢- الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وما لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالًا.

٣- تصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن وأخبار بقية الكتب قبل تحريفها وأما وقد حرفت فلا نصدق ولا نكذب شيئًا منها إلا ما دل الدليل علىٰ بطلانه فنعلم أنه مما كتبت أيدي المحرفين -لعنهم الله تعالىٰ- كطعنهم في الرسل وما أشبه ذلك، وغالب ما في التوراة والإنجيل محرف مبدل.

٤- الإيمان أن جميع الكتب السابقة منسوخة، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]؛ أي: حاكمًا عليها وناسخًا لها. فشرع من قبلنا ليس شرعًا لنا في الجملة.

والإيمان بالقرآن الكريم أنه كتاب الله المحفوظ الكريم، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. [راجع شرح الأصول الثلاثة للعثيمين ص٩٤-٩٧]، [شرح الواسطية للفوزان ص١٣].

(الإيمان بالرسل) والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بأن رسالاتهم حق من الله تعالىٰ وأنهم جميعًا -الأنبياء والرسل- صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالىٰ، فمن كذب أو كفر بواحدٍ فقد كفر بالجميع، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وقال سبحانه عن المؤمنين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

=

=

٢- الإيمان بمن علمنا اسمه منهم وهم ستة وعشرون نبيًا ورسولًا (محمد، آدم، نوح، إدريس، إبراهيم، لوط، هود، شعيب، صالح، يعقوب، إسحاق، إسماعيل، يوسف، موسىٰ، هارون، يوشع بن نون، داود، سليمان، أيوب، ذو الكفل، يونس ذو النون، عيسىٰ، يحيىٰ، زكريا، اليسع، الخضر)

وأما من لم نعلم أسماءهم فنؤمن بهم إجمالًا وعددهم مائة وأربعة وعشرون ألفًا.

الرسل منهم ثلثمائة وسبعة عشر كما صح ذلك عن النبي ﷺ، وسائرهم أنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

٣- تصديق ما صح من أخبارهم ودعوتهم وسيرهم.

٤- العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم وسيدهم نبينا محمد ﷺ كما سبق بيانه فيما مضىٰ.

والأنبياء من الإنس لا من الجن ومعصومون معظمون من سبهم كفرهم، ومن تنقص واحدًا منهم خرج من الإسلام. [راجع شرح العلامة العثيمين للأصول الثلاثة ص٩٧-١٠٠] وغيره.

(الإيمان باليوم الآخر) وهو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب، ثم فريق في الجنة وفريق في السعير.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أربعة أمور:

١- الإيمان بالقبر ونعيمه وعذابه، فإن (القبر أول منازل الآخرة) كما صح عن النبي ﷺ من حديث عثمان رضي الله عنه عند أبي داود وغيره.

٢- الإيمان بالبعث من القبور عند النفخ في الصور علىٰ الوصف المذكور في الكتاب والسنة قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

٣- الإيمان بالجزاء والحساب والميزان والصراط وغير ذلك من أحوال القيامة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:٢٥-٢٦]، ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١].

٤- الإيمان بالجنة والنار وأنهما حق، ومخلوقتان لا تبيدان، وأنهما علىٰ الوصف الوارد في الكتاب والسنة، فالجنة دار الموحدين والنار مثوىٰ الكافرين. ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي

=

=

﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١]. [شرح العثيمين للأصول ١٠٠-١٠٦/ شرح الفوزان للأصول ٢١٥-٢١٦/ أيسر الشروح ص٣٢].

(الإيمان بالقدر خيره وشره) القدر: ما قدره الله تعالىٰ علىٰ الخلق وكتبه وعلمه: من خَلْق وخُلُق وعملٍ ونية وإيمان وكفر ونعمة ونقمة... إلخ.

والإيمان به واجب لا يتم الإيمان إلا بذلك والتنقيب علىٰ أسرار القدر ضلال مبين.

والإيمان بالقدر أربع مراتب:

١- **العلم**: أي الإيمان بأن الله تعالىٰ علم كل شيء جملة وتفصيلًا أزلًا وأبدًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٥].

٢- **الكتابة**: أي الإيمان بأن الله تعالىٰ كتب كل شيء كائن في اللوح المحفوظ كبيره وصغيره خيره وشره، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

٣- **المشيئة**: أي الإيمان بأن الله تعالىٰ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما كان وما سيكون فقد شاءه الله تعالىٰ وكتبه في اللوح المحفوظ وعلمه في الأزل، وأنه وقع علىٰ الصفة التي قدرها الله تعالىٰ، وأن ما لم يكن لم يشأه الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩﴾ [الحج:١٨].

٤- **الخلق**: أي الإيمان أن الله تعالىٰ خالق كل شيء، خلق الخلق بذواتهم وصفاتهم وحركاتهم كما قدره في سابق علمه وكتبه في اللوح المحفوظ وشاءه ﷻ، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]؛ أي: والذي تعملون.

- هذه مراتب القدر من جحد شيئًا منها فهو كافر مرتد عن دين الإسلام، لأنه رد ما ورد في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ.

والإيمان بالقدر لا ينافي أن الله تعالىٰ جعل للعبد مشيئة واختيارًا وكسبًا؛ وهي تابعة لمشيئة الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير:٢٨]، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٨-١٠]، والعقاب والثواب يقع علىٰ ما كسبه العبد وعمله.

=

أخرجه البخاري في الإيمان رقم (٥٠)، ومسلم في الإيمان رقم (٩-١٠)، كلاهما عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم أيضًا في الإيمان رقم (٨) عن عمر، وهذا لفظ حديثه.



=

والله تعالىٰ يقدر علىٰ كل عبد ما عمله أنه أهلٌ له، فيهدي من يشاء بفضله لما علمه منهم من الخير ويضل من يشاء بعدله لما يعلمه منهم من الشر.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٣]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠].

وعلىٰ العبد أن يجدَّ في طاعة الله تعالىٰ ويبتعد عن معصيته ولا يحتج بالقدر علىٰ فعل الباطل فتلك طريقة المشركين. (راجع: شرح الأصول للعثيمين ١١١-١١٧، شرح الفوزان للأصول ٢١٧-٢١٨، كتاب القدر للفريابي).

أدلة زيادة الإيمان[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١][2].

---

(١) **الزيادة:** مصدر من زاد يزيد زيدًا وزيادة فازداد، الزيادة علىٰ الشيء من جنسه.

وأهل السنة مجمعون علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص خلافًا للمرجئة والخوارج.

قال يحيىٰ القطان -رحمه الله تعالىٰ-: «ما أدركت أحدًا من أصحابنا إلا علىٰ سنتنا في الإيمان ويقولون: الإيمان يزيد وينقص.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالىٰ-: أجمع أهل الفقه والحديث علىٰ أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية...». «التمهيد» (٩/ ٢٣٨)، «مسائل الإمام أحمد» (٢/ ١٦٢).

والأقوال عن السلف كثيرة جدًا، وأما الأدلة ففي الكتاب والسنة من صريح الأدلة أكثر من خمسين دليلًا، وقد جمع الخير الكثير من ذلك العلامة عبد الرزاق العباد -رفع الله درجته- في كتابه «زيادة الإيمان ونقصانه».

(٢) ورد التصريح بزيادة الإيمان في كتاب الله تعالىٰ في هذه المواضع الستة، وهي واضحة ظاهرة =

وعن جندب بن عبد الله ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا. حديث صحيح رواه ابن ماجه رقم (٦١)[1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله**

=

في صحة معتقد أهل السنة وبطلان معتقد من خالفهم من أهل البدعة.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «والزيادة قد نطق بها القرآن في عدة آيات كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، وهذه زيادة إذا تليت عليهم الآيات وهذا أمر يجده المؤمن إذا تليت عليه الآيات زاد في قلبه بفهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الإيمان ما لم يكن، ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته، وهذه زيادة الإيمان.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فهذه الزيادة...

ازدادوا يقينًا وتوكلًا علىٰ الله وثباتًا علىٰ الجهاد وتوحيدًا بألا يخافون المخلوق، بل يخافون الخالق وحده...

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق أن الله أنزلها، بل زادتهم إيمانًا بحسب مقتضاها فإن كانت أمرًا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة وإن كانت نهيًا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه..

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

فجعل السكينة موجبة لزيادة الإيمان والسكينة طمأنينة في القلب غير علم القلب وتصديقه...». (الإيمان ص٢١٥-٢١٦).

(١) قوله: (فتيان حزاورة)؛ أي: شباب أقوياء، قاربوا البلوغ أو في أول بلوغهم.

(تعلمنا الإيمان) التوحيد والعمل بالإسلام، والحديث صريح علىٰ أن تعلم القرآن يزيد الإيمان وينميه ويثبته كما دلت عليه أيضًا آية التوبة والأنفال وغيرهما، وهذا الحديث حجة لأهل السنة في زيادة الإيمان.

من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر اللهُ وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان». رواه مسلم رقم (٢٦٦٤)[1].

وانظر كتاب: «زيادة الإيمان ونقصانه» لعبد الرزاق بن عبد المحسن العباد.



(١) قوله: (المؤمن القوي) في عزيمته وإقباله على الله تعالى وبذله في سبيل الله تعالى، والضعيف عكسه.

وقوله: (في كلٍّ خير) في القوي والضعيف خير كل واحدٍ بحسبه لاشتراكهما في الإيمان والتوحيد والطاعة، ثم دل المؤمن على الحرص على الدين والطاعات وعدم الاستسلام للضعف والعجز، بل يجاهد نفسه فإن حصل تقصير بعد ذلك، أو قُدر عليك شيء أعاقك عن خير في دينك أو دنياك فلا تجزع وتقول: لو... بل سلِّم لله تعالى وقل: قدر الله وما شاء فعل.

قال السعدي -رحمه الله تعالى-: «وهذا الحديث من أدلة السلف على أن الإيمان يزيد وينقص...»: «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٣٣).

وقد ذكر الشيخ عبد الرزاق البدر عشرين حديثًا (٨٣-١١٨) في كتاب (زيادة الإيمان ونقصانه).

من أدلة نقصان الإيمان[1]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». أخرجه البخاري رقم (٩)، ومسلم رقم (٣٥)[2].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». أخرجه مسلم رقم (٤٩)[3].

---

(١) النقصان مصدر نَقَصَ يَنْقُص نَقْصًا ونُقْصانًا، يراد به خلاف الزيادة أو الخسران في الحظ.
واعلم أن الأدلة السابقة علىٰ زيادة الإيمان تدل علىٰ نقصه والعكس؛ لأن الزيادة تكون فوق أنقص منها، وما جاز فيه الزيادة جاز فيه النقص.
وقال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن كل زيادة قابلة للنقص». (الفتح ١/ ٤٧)، كتاب البدر (٥١-٥٣).

(٢) احتج بهذا الحديث جمع من السلف علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه، ففي هذا الحديث أن الإيمان الشرعي له أعلىٰ وله أدنىٰ وشعب، وهذه الشعب ليست علىٰ درجة واحدة فمنها ما يزول بزوالها إجماعًا كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزوالها إجماعًا كترك إماطة الأذىٰ عن الطريق، والناس في قيامهم بهذه الشعب بعضهم أكمل من بعض فمنهم المحسن ومنهم المسيء... وهذا الحديث من أوضح الأدلة علىٰ زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهله فيه... (زيادة الإيمان ونقصانه ٨٧-٩٠).

(٣) بيَّن النبي ﷺ في هذا الحديث مراتب إنكار الإيمان، والمؤمنون متفاضلون في القيام بهذه المراتب؛ فبعضهم يزاد إيمانه حتىٰ ينكر المنكر بيده وبعضهم يضعف إيمانه فلا ينكر إلا بقلبه.
فالحديث صريح في زيادة الإيمان ونقصه لاسيما مع التصريح بالضعف (وذلك أضعف الإيمان)، والحديث دليل علىٰ أن الإيمان قول وعمل ونية. (زيادة الإيمان ونقصه ١٠٢-١٠٥).
تنبيه: إنكار المنكر له ضوابط شرعية فلابد من مراعاتها فما كل منكر يكون لجميع الناس تغييره باليد، فإقامة الحدود من تغيير المنكر وهي راجعة إلىٰ السلطان دون الرعية، فلابد من مراعاة الضوابط الشرعية.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**». رواه مسلم رقم (٢٦٦٤)[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب**[2] **الرجل الحازم من إحداكن**».

قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟

قال: «**أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟**».

قلن: بلىٰ.

قال: «**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟**».

قلن: بلىٰ.

قال: «**فذلك من نقصان دينها**»[3]. أخرجه البخاري رقم (٢٩٨)، ومسلم رقم (٧٩ و ٨٠)، ورواه مسلم أيضًا عن ابن عمر وأبي هريرة رقم (٧٩ و ٨٠).

---

(١) سبق شرحه آنفًا، والشاهد قوله: (المؤمن الضعيف)؛ أي: في إيمانه وعزيمته.

(٢) اللب؛ أي: العقل كما في رواية أخرىٰ، و(الحازم) في دينه ورأيه، فما دونه من باب أولىٰ أن يفتن.

(٣) هذا الحديث حجة علىٰ أن الإيمان كما أنه ينقص بالمعصية فإنه ينقص بترك الطاعة، وترك الطاعة الواجبة معصية، والمراد أنه ينقص بترك الطاعة ولو كانت نافلة كما يزداد بفعلها.

ودل الحديث علىٰ أن النقص قسمان:

ما لا يأثم صاحبه لأنه قد قدر عليه ذلك بلا سبب منه كترك الحائض الصيام والصلاة، وكترك الأعمىٰ الجهاد ونحو ذلك.

والثاني: نقص يأثم صاحبه؛ لأنه تسبب في نقصه كمن ترك واجبًا بلا عذر أو فعل معصية.

وقد بوب الإمام النووي لهذا الحديث: باب نقص الإيمان بنقص الطاعات... اهـ وهذا فهم دقيق منه -رحمه الله تعالىٰ-.

تنبيه: أدلة زيادة الإيمان هي أيضًا أدلة نقصانه، فإنه قبل أن يزيد كان ناقصًا، فهذه الآيات الدالات علىٰ زيادة الإيمان منطوقها يدل علىٰ زيادة الإيمان ومفهومها يدل علىٰ نقصانه[1].

فائدة: كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤][2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أن رسول الله ﷺ أعطىٰ رهطًا، وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «**أو مسلمًا**»، فسكتُّ قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال: «**أو مسلمًا**»، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا سعد، إني لأعطي الرجل، وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله في النار**»[3]. رواه البخاري رقم (٢٧)، ومسلم رقم (١٥٠).

وانظر تفسير ابن كثير عند تفسير سورتي الحجرات والذاريات.

فائدة أخرىٰ: الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا؛ أي: إذا ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل معه الإسلام، وإذا ذكرا

---

(١) سبق ذكر هذه الفائدة آنفًا.

(٢) سبق بيان ذلك عند ذكر الآية في باب الإسلام فأغنىٰ عن الإعادة هنا. وانظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام (ص٦-٧) (الفتاوىٰ ٧/ ١٤).

(٣) **قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «وكذلك قول النبي ﷺ لسعد لما قال: (لم تعط فلانًا وهو مؤمن)، فقال النبي ﷺ (أو مسلمًا) يشير إلىٰ أنه لم يتحقق مقام الإيمان فإنما هو مقام الإسلام الظاهر، ولا ريب أنه متىٰ ضعف الإيمان الباطن لزم منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرة أيضًا». «جامع العلوم والحكم» (ص٢٧).

وقد بوب أبو داود علىٰ هذا الحديث، باب: زيادة الإيمان ونقصانه (٤/ ٢٢٠).

ومعنىٰ قوله: (إني لأعطي...) يعطي ضعفاء الإيمان ليتألفهم علىٰ الدين. «الفتاوىٰ» (٧/ ٤٧٤).

معًا يفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ويفسر الإيمان بأعمال القلب.

راجع كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية(١).

فائدة ثالثة: المؤمنون قسمان:

١- سابقون، وهم المقربون.

٢- أصحاب اليمين، وهم الأبرار(٢).

---

(١) اختلف أهل العلم في هذه المسألة أقوال فذهب بعضهم إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد، وجمهور العلماء علىٰ القول الذي اختاره شيخنا المؤلف.

وقد ناقش المسألة ابن الصلاح وقال في آخره: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان.

وقال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: «في حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان جعل الإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد وجعل الإسلام اسمًا لما ظهر من الأعمال... والتصديق والعمل يتناولهما أسم الإيمان والإسلام جميعًا يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]». [راجع للمزيد رسالة: توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان] وتوسع شيخ الإسلام في كتاب الإيمان في أوله (١-٤٠) فراجعه.

وفي حديث وفد عبد القيس فسر الإيمان بالأعمال الظاهرة، وفي حديث الشُّعب كذلك.

قال ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، فإذا قرن بينهما دل أحدهما علىٰ بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر علىٰ الباقي...». [وانظر كتاب: الإيمان عند السلف ١/ ١٠٢-١٢٥].

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:١٠-١١]. إلىٰ قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧].

فالسابقون إلىٰ الخيرات في الدنيا هم المقربون عند الله تعالىٰ، ومنهم الأبرار وهم الذين يسارعون في أعمال البر والطاعات ويجتنبون أعمال السوء والسيئات. فالبار: من أحسن في عبادة ربه ومعاملة خلقه.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما المقربون فهم نوعان: أبرار ومقربون.

وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم أهل اليمين وهم المقتصدون والأبرار والمقربون، وأما الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق، وإن كان مآله إلىٰ أصحاب اليمين...». اهـ من تفسيره =

من أدلة دخول الأعمال في مسمى الإيمان(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أي: صلاتكم. فسمىٰ

=

لقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢]. (٣/ ٤٥٠).

وعلىٰ هذا فالمؤمنون ثلاثة أقسام كما في الآية، وكون الشيخ لم يذكر إلا قسمين يحمل علىٰ أن مراده المؤمنون الذين إيمانهم قوي. وترك الظالم لنفسه لأن إيمانه ضعيف، والله أعلم.

(١) سبق أن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وأن المرجئة زعموا أن العمل ليس من الإيمان، وقولهم مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال ابن بطة -رحمه الله تعالىٰ-: «فقد أخبر الله تعالىٰ في كتابه في آي كثيرة أن الإيمان لا يكون إلا بالعمل وأداء الفرائض بالقلوب والجوارح، ومما أعلمنا الله تعالىٰ أن الإيمان هو العمل وأن العمل هو الإيمان ما قاله في سورة البقرة ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، فذكرت الآية أوصاف الإيمان من القول والعمل والإخلاص...». اهـ بتصرف (٢/ ٧٧١/ الإبانة).

وقال سهل التستري -رحمه الله تعالىٰ-: «الإيمان قول ونية وعمل وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة». «الفتاوىٰ» (٧/ ١٧١).

تنبيه هام: العمل من الإيمان، ولا يجوز أن يقال إنه شرط صحة أو شرط كمال!

قال الإمام صالح الفوزان -رفع الله درجته-: «الذي يقول هذا -الأعمال شرط كمال...- ما فهم الإيمان ولا فهم العقيدة وقوله: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ثم يقول: العمل شرط في كمال الإيمان وفي صحته، هذا تناقض، معلوم أن الشرط يكون خارج المشروط والعمل داخل في الإيمان عند أهل السنة لا خارج عنه فهذا تناقض منه،... فالعمل هو من الإيمان وجزء منه وليس هو شرطًا من شروط صحة الإيمان أو شرط كمال...». «مسائل في الإيمان» للفوزان (ص١٦).

وقال نحو هذا العلامة عبد العزيز الراجحي -غفر الله له- «أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر» (ص ١١)، وسيأتي نقل المؤلف عن اللجنة الدائمة.

الصلاة إيمانًا.

وانظر: صحيح البخاري (١/ ٢٣)، باب: الصلاة من الإيمان.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **هل تدرون ما الإيمان بالله؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**». رواه البخاري رقم (٥٣)، ومسلم رقم (١٧)[1].

فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء رقم (٢١٤٣٦) وتاريخ ١٤٢١/٤/٨هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد: فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام، من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم (٥٤١١) وتاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٠هـ ورقم (١٠٢٦) وتاريخ ٧/ ٢ / ١٤٢١هـ، ورقم (١٠١٦) وتاريخ ٧/ ٢/ ١٤٢١هـ، ورقم (١٣٩٥) وتاريخ ٨/ ٣/ ١٤٢١هـ، ورقم

---

(١) ﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾ في الآية معناه: صلاتكم إلى بيت المقدس وتصديقكم لرسول الله ﷺ فيما أمركم به، والصلاة عمل وهي من الإيمان.

وأما حديث أبي هريرة في الشعب فالشاهد منه «**إماطة الأذى عن الطريق**»، فهو عمل من الإيمان ومن شعب الإيمان كما سبق بيانه.

وأما حديث ابن عباس ﷺ فهو صريح في أن الأقوال والأعمال كالصلاة والزكاة والصيام من الإيمان والأدلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

(١٦٥٠) وتاريخ ١٧/ ٣/ ١٤٢١هـ، ورقم (١٨٩٣) وتاريخ ٢٥/ ٣/ ١٤٢١هـ، ورقم (٢١٠٦) وتاريخ ٧/ ٤/ ١٤٢١هـ.

وقد سأل المستفتون **أسئلة كثيرة مضمونها: ظهرت** في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرىٰ **لترويجها عدد كثير من** الكُتَّاب، يعتمدون علىٰ نقولات مبتورة من كلام **شيخ الإسلام ابن تيمية، مما** سبب ارتباكًا عند كثير من الناس في مسمىٰ الإيمان، **حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون** هذه الفكرة أن يُخرجوا العمل عن مسمىٰ الإيمان، **ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال**.

وذلك مما يسهِّل علىٰ الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم، ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات، ولو لم يعملوا بشرائع الدين بناء علىٰ هذا المذهب، ولا شك أن هذا المذهب له خطورته علىٰ المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة.

فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب وآثاره السيئة، وبيان الحق المبني علىٰ الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام، حتىٰ يكون المسلم علىٰ بصيرة من دينه.

وفقكم الله وسدَّد خُطاكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمىٰ الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرًا قط، ولزم علىٰ ذلك الضلال لوازم باطلة، منها:

حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل

وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، وأن هذا يفتح بابًا لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله سبحانه، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم علىٰ دين الله والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون.

ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديمًا وحديثًا ببيان بطلان هذا المذهب والرد علىٰ أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة بابًا خاصًا في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: «ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية».

وقال في كتاب «الإيمان»: «ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسلف اشتد نكيرهم علىٰ المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان».

ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوىٰ الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا علىٰ رأيهم وعلىٰ ما تأولوه بفهمهم لِلُّغة، وهذه طريقة أهل البدع». انتهىٰ .

ومن الأدلة علىٰ أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلىٰ زيادته ونقصانه بها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:١-٩].

وقوله الرسول ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب «الإيمان» أيضًا**: «وأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه علىٰ الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل علىٰ عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له».

وقال أيضا: «بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنىٰ الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنبًا كافرًا، ويعلم أنه لو قدر أن قومًا قالوا للنبي ﷺ: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نَصدُقُ الحديث ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم، ولا نفعل شيئًا من الخير

الذي أمرت به.

ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم، بل ونقتلك أيضًا ونقاتلك مع أعدائك.

هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة، ويرجىٰ لكم ألا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك». انتهىٰ.

وقال أيضًا: «فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوىٰ وبلفظ الدين كما تقدم؛ فإن النبي ﷺ بين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق.

فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوىٰ، وكذلك الدين أو دين الإسلام.

وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية :﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية».

إلىٰ أن قال: «والمقصود هنا: أنه لم يثبت المدح إلا علىٰ إيمان معه العمل، لا علىٰ إيمان خال عن عمل».

فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان، ومن نقل عنه غير ذلك فهو كاذب عليه.

وأما ما جاء في الحديث أن قومًا يدخلون الجنة لم يعملوا خيرًا قط، فليس هو عامًّا لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه، وإنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العمل، أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة، وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.

هذا واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك، فإنها تنهىٰ وتحذر من الجدال في أصول العقيدة؛ لما يترتب علىٰ ذلك من المحاذير العظيمة، وتوصي بالرجوع في ذلك إلىٰ

كتب السلف الصالح وأئمة الدين المبنية علىٰ الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلىٰ الكتب المخالفة لذلك، وإلىٰ الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة.

وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة ونسبوه ظلمًا إلىٰ أهل السنة والجماعة، ولبَّسوا بذلك علىٰ الناس، وعززوه عدوانًا بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول وعدم رده إلىٰ المحكم من كلامهم، وإنَّا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلىٰ رشدهم، ولا يصدعوا الصف بهذا المذهب الضال، واللجنة أيضًا تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو



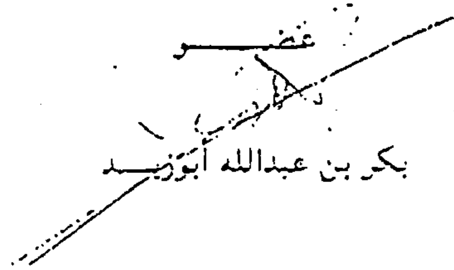
عبدالله بن عبدالرحمن الغديان

الرئيس



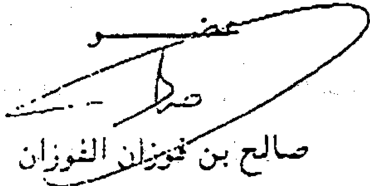
عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

عضو



بكر بن عبدالله أبوزيد

عضو



صالح بن فوزان الفوزان

الإحسان ركن واحد[١]

ثم اعلم أن رسول الله ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٢]. أخرجه البخاري في الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم في الإيمان أيضًا، رقم (٩ و١٠) كلاهما عن أبي هريرة.

وأخرجه مسلم أيضًا في الإيمان عن عمر، رقم (٨).

قال الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -يرحمه الله- كما في مجموع فتاواه (٣/ ٢١٦-٢١٩): «الإحسان ضد الإساءة، وهو أن يبذل الإنسان المعروف ويكف الأذىٰ، فيبذل المعروف لعباد الله في ماله وعلمه وجاهه وبدنه.

فأما المال:

فأن ينفق ويتصدق ويزكي، وأفضل أنواع الإحسان بالمال الزكاة؛ لأن الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، ولا يتم إسلام المرء إلا بها، وهي أحب النفقات

---

(١) الإحسان في اللغة: إتقان الشيء وإتمامه.

واصطلاحًا قسمان: إحسان في عبادة الله تعالىٰ كما في الحديث، وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان:٢٢].

والثاني: إحسان إلىٰ الخلق كما فصَّله الشيخ ابن العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-، وعُرف بقولهم: كف الأذىٰ وبذل الندىٰ وطلاقة الوجه. [وانظر: جامع العلوم والحكم عند شرح حديث جبريل].

(٢) قال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «الإحسان بين العبد وربه ما توفر فيه الإخلاص لله ﷻ والمتابعة للرسول ﷺ، وقد بين النبي ﷺ أن الإحسان علىٰ مرتبتين، واحدة أعلىٰ من الأخرىٰ:

الأولىٰ: تعبد الله كأنك تراه من كمال اليقين وكمال الإخلاص...

المرتبة الثانية: أن تعبده علىٰ طريقة المراقبة...». (شرح الأصول الثلاثة ٢٢٢-٢٢٣).

والإحسان أعلىٰ مراتب الدين، ولذلك قالوا: كل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم، ولا عكس.

إلىٰ الله ﷻ، ويلي ذلك ما يجب علىٰ الإنسان من نفقة لزوجته، وأمه، وأبيه، وذريته، وإخوانه، وبني إخوانه، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وخالاته إلىٰ آخر هذا.

ثم الصدقة علىٰ المساكين وغيرهم ممن هم أهل للصدقة كطلاب العلم مثلًا.

وأما بذل المعروف في الجاه: فهو أن الناس مراتب، منهم من له جاه عند ذي سلطان فيبذل الإنسان جاهه، يأتيه رجل فيطلب منه الشفاعة إلىٰ ذي سلطان يشفع له عنده، إما بدفع ضرر عنه أو جلب خير له.

وأما بعلمه: فأن يبذل علمه لعباد الله، تعليمًا في الحلقات والمجالس العامة والخاصة، حتىٰ لو كنت في مجلس قهوة فإن الخير والإحسان أن تعلم الناس، ولو كنت في مجلس عام فمن الخير أن تعلم الناس.

ولكن استعمل الحكمة في هذا الباب، فلا تثقل علىٰ الناس حيث كلما جلست مجلسًا جعلت تعظهم وتتحدث إليهم؛ لأن النبي ﷺ كان يتخولهم بالموعظة ولا يكثر، لأن النفوس تسأم وتمل فإذا ملَّت كلَّت وضعفت، وربما تكره الخير لكثرة من يقوم ويتكلم.

وأما الإحسان إلىٰ الناس في البدن: فقد قال النبي ﷺ: **«وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة»**.

فهذا رجل تعينه تحمل متاعه معه، أو تدله علىٰ طريق أو ما أشبه ذلك، فكل ذلك من الإحسان، هذا بالنسبة للإحسان إلىٰ عباد الله.

وأما بالنسبة للإحسان في عبادة الله:

فأن تعبد الله كأنك تراه كما قال النبي ﷺ، وهذه العبادة؛ أي: عبادة الإنسان ربه كأنه يراه عبادة طلب وشوق، وعبادة الطلب والشوق يجد الإنسان من نفسه حاثًّا عليها لأنه يطلب هذا الذي يحبه، فهو يعبده كأنه يراه فيقصده وينيب إليه ويتقرب إليه سبحانه وتعالى.

فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه عبادة الرهب والخوف، ولهذا كانت هذه

المرتبة الثانية في الإحسان.

إذا لم تكن تعبد الله ﷻ كأنك تراه وتطلبه وتحث النفس للوصول إليه، فاعبده كأنه هو الذي يراك فتعبده عبادة خائف منه، هارب من عذابه وعقابه.

وهذه الدرجة عند أهل العبادة أدنىٰ من الدرجة الأولىٰ، وعبادة الله تعالىٰ هي كما قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية علىٰ هذين الأمرين:

١- غاية الحب. ٢- غاية الذل.

ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والرهب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله ﷻ ، وإذا كان الإنسان يعبد الله علىٰ هذا الوجه فإنه سوف يكون مخلصًا لله ﷻ لا يريد بعبادته رياءً ولا سمعةً ولا مدحًا عند الناس، وسواءً اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا الكل عنده سواء وهو محسن العبادة علىٰ كل حال...». انتهىٰ.

قلت: والخلاصة:

أن الإحسان ضد الإساءة.

وهو قسمان:

١- إحسان إلىٰ الخلق. ٢- إحسان في عبادة الخالق.

فأما الأول وهو الإحسان إلىٰ الخلق؛ فإنه يكون في أربعة أمور:

١- المال. ٢- الجاه.

٣- العلم. ٤- البدن.

وأما الثاني وهو الإحسان في عبادة الخالق فله مرتبتان:

١- أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه عبادة الطالب لرحمته وغفرانه.

٢- فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه عبادة الهارب من عذابه ونيرانه.

تعريف التوحيد

التوحيد لغة: مصدر وحَّد يوحِّدُ؛ أي: جعل الشيءَ واحدًا.

وشرعًا هو: إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وحكمه[(١)].

انظر مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز (١/ ٣٤)[(٢)].

اعلم أخي المسلم -وفقني الله وإياك- أن الإنسان لا يكون من أهل التوحيد الخالص إلا إذا أفرد الله بجميع أنواع العبادات[(٣)].

قال الله تعالىٰ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود:١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا

---

(١) قال الإمام ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «والتوحيد مصدر وحَّد يوحد توحيدًا؛ يعني: وحد الله؛ أي: اعتقده واحدًا لا شريك له في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته ولا في ألوهيته وعبادته ﷻ، فهو واحد -جل وعلا- وإن لم يوحده الناس، وإنما سمي إفراد الله بالعبادة توحيدًا؛ لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحد الله ﷻ واعتقده واحدًا؛ فعامله علىٰ ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه، ودعوته وحده، والإيمان بأنه مدبر الأمور، وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه...». اهـ (١/ ٣٤/ فتاواه).
وقول المؤلف (وحكمه) سيأتي الكلام عليه في باب مستقل، وإنما أردت أن أنبه أن ذلك داخل في توحيد الألوهية والربوبية فتحكيم الشريعة داخل في العبادة وتوحيد الألوهية، وأيضًا داخل في الربوبية باعتبار أنه لا حكم إلا لله تعالىٰ ولا تشريع إلا من الله تعالىٰ.
﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام:٥٧]، ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورىٰ:١٣] الآية.
وسيأتي بيانه في بابه [وانظر: الأجوبة المفيدة للفوزان ص١١٨].

(٢) وانظر: (فتاوىٰ شيخ الإسلام) (٣/ ٧٤)، فقد عرفه بنحو هذا فقال: «ألا يشرك شيء من الأشياء فيما هو من خصائصه». اهـ

(٣) سيأتي هذا في باب العبادة بأوسع منه هنا -إن شاء الله تعالىٰ-، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة هو توحيد الألوهية، وهو أجلُّ ما أرسلت من أجله الرسل، وسيعاد شرحه في باب قريب.

ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ [هود:٢٥-٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأحقاف:٢١] (١).

ولا يكون الإنسان من المتبعين لرسول الله ﷺ اتباعًا صادقًا إلا إذا أفرد رسول الله ﷺ بالمتابعة، فكما أننا لا نبعد إلا الله فكذلك لا نتبع إلا رسول الله ﷺ (٢).

---

(١) الشاهد من هذه الآيات قوله تعالىٰ: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحقاف:٢١].

قال العلامة ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «فهذه الآيات المحكمات وما جاء في معناها من كتاب الله كلها تدل علىٰ وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وأن ذلك لله وحده، وأن ذلك أصل الدين وأساس الملة، كما تدل علىٰ أن ذلك هو الحكمة في خلق الجن والإنس وإرسال الرسل وإنزال الكتب...». (فتاواه ١/ ٦٨).

وقال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-: «فيجب صرف العبادة بجميع أنواعها لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئًا لغير الله كمن دعا غير الله أو ذبح لغير الله أو نذر لغير الله أو استعان أو استغاث بميت أو غائب أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، فقد أشرك الشرك الأكبر، وأذنب الذنب الذي لا يُغفر إلا بالتوبة...». (الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد ص٣٧).

فمن ادعىٰ أنه من أهل التوحيد الخالص، وهو يقع في شيء من الشركيات فقد خدعه الشيطان ولبّس عليه، فيجب إفراد الله تعالىٰ بجميع أنواع العبادة ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا ﴾ [النساء:٣٦]، وهو معنىٰ (لا إله إلا الله).

(٢) وهذا سيكرر في باب قريب -إن شاء الله تعالىٰ-، وقد تقدم شرح هذه الآيات والموضوع عند شرح (شهادة أن محمدًا رسول الله)، ومن المعلوم أن إفراد رسول الله ﷺ بالمتابعة من الإيمان، والإسلام وتمام الاستسلام لله تعالىٰ، ولهذا من لم ير متابعة الرسول ﷺ فليس بمؤمن، ولا مسلم، كما هو حال اليهود والنصارىٰ وغلاة الصوفية...

وأما من كان مؤمنًا بنبينا محمد ﷺ، وبوجوب متابعته وطاعته من المسلمين، لكن جره هواه إلىٰ المخالفة له، فهذا هو المبتدع؛ لأنه اتبع طريقًا غير طريق رسول الله ﷺ، والله ﷻ لا يقبل العبادة إلا إذا كانت خالصة لوجه الله تعالىٰ، وكانت علىٰ الوجه الذي شرعه تعالىٰ كما بلغه نبيه ﷺ [كما تقدم في باب: الإحسان].

وبهذا تعلم خطر البدع والاستحسانات والآراء والأفكار المخالفة لهدي محمد ﷺ.

قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].



أدلة التوحيد[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤][2].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

---

(١) هذه الأدلة التي هي بلفظ (وحده، يوحدوا، وحد، يوحد، أحد)، ونحوها مما وردت به الأدلة... وما ذكره المؤلف -رفع الله درجته- أراد الاستدلال به علىٰ التوحيد، وسيذكر في باب قريب أن القرآن كله توحيد.

وهذا حجة لمذهب أهل السنة ومنهجهم في الدعوة إلىٰ التوحيد وتأليف الكتب باسم التوحيد، وقد ضج كثير من أعداء التوحيد من ذلك كما ذكر الله تعالىٰ عن أسلافهم الذين تشمئز قلوبهم ويزداد نفورهم عند الدعوة إلىٰ التوحيد.

(٢) هذه السورة العظيمة التي تعدل ثلث القرآن وكلها توحيد لله تعالىٰ، وقد شرحها العلماء بشرح عظيم، وأوضحوا ما فيها من علم جليل.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن سورة الإخلاص من كمال التوحيد العلمي الاعتقادي وإثبات الأحدية لله المستلزمة نفي كل شركة عنه وإثبات الصمدية المستلزمة لإثبات كل كمال له مع كون الخلائق تصمد إليه في حوائجها؛ أي: تقصده الخليقة وتتوجه إليه علويها وسفليها، ونفي الوالد والولد والكفء عنه المتضمن لنفي الأصل والفرع والنظير والمماثل...». «زاد المعاد» (٤/ ١٨٠)، و«بدائع التفسير» (٥/ ٣٦٧).

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿قُلْ﴾ قولًا جازمًا معتقدًا له عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الأحد المنفرد بالكمال الذي له الأسماء الحسنىٰ والصفات الكاملة والأفعال المقدسة الذي لا نظير له ولا مثيل، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أي: المقصود في جميع الحوائج، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه ولا في أفعاله -تبارك وتعالىٰ-». اهـ بتصرف.

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢][(١)].

الشاهد من الآيات: أَحَدٌ، وَوَحْدَهُ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ...**»[(٢)].

---

(١) هذه الآيات تبين حال أعداء التوحيد ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ﴾، داعيًا إلىٰ التوحيد ناهيًا عن الشرك به ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ من شدة بغضهم له ومحبتهم لما هم عليه من الباطل.

وذكر الله تعالىٰ من أوصاف هؤلاء المشركين ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ﴾، لما فيها من الكفر وبغض التوحيد، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾، من الآلهة الباطلة والأنداد، ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ بذلك فرحًا بذكر معبوداتهم لكون الشرك موافقًا لأهوائهم.

وهذا منْ انتكاسهم العظيم، وأي جهل وضلال أعظم ممن اختار الكفر بالله تعالىٰ والإيمان بالطاغوت.

﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾؛ أي: هو المتفرد بالحكم والتقدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، نسأل الله تعالىٰ أن يشرح صدورنا للتوحيد والسنة.

(٢) الشاهد من الحديث «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله...**». فذكر التوحيد بلفظه، وقدمه علىٰ سائر الأركان، وهذا الحديث عظيم جدًّا وأصل في فقه الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وكان بعث معاذ في العام التاسع في آخره وقيل في العاشر، وقوله: «**تأتي قومًا من أهل الكتاب**»؛ أي: اليهود والنصارىٰ لأنهم كانوا أكثر أهل اليمن، وكان يوجد مشركون إلا أنهم قلة، وإنما نبهه إلىٰ هذا ليأخذ الأهبة لمناظرتهم بالحجة ونحو ذلك.

وقوله: «**إلىٰ أن يوحدوا الله**»، وفي رواية: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، هذا دليل علىٰ أن التوحيد لا يتم حتىٰ يكون العبد موحدًا لله متبعًا للرسول ﷺ، كما قال شيخ الإسلام: من كان أكمل اتباعًا كان أكمل توحيدًا.

وفيه دليل علىٰ أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه هو أول واجب؛ فلهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام.

=

أخرجه البخاري في التوحيد رقم (٦٩٣٧)، واللفظ له، ومسلم في الإيمان الرقم الخاص (٣٠-٣١).

ورواه مسلم رقم (١٩) عن معاذ بن جبل.

وعن طارق بن أشيم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من وحَّد الله وكفر بما يعبد من دونه، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله ﷻ**»[١].

أخرجه مسلم في الإيمان رقم (٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج**»[٢].

أخرجه البخاري رقم (٨)، ومسلم في الإيمان رقم (١٦)، واللفظ له.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام بن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وأن عمرًا سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك**»[٣].

=

وفيه: البُداءة بالأهم فالأهم، وتقديم التوحيد على غيره في الدعوة، لأن من قَبِلَ التوحيد قَبِلَ سائر الشريعة.

[وفيه فوائد كثيرة، انظر: تيسير العزيز الحميد (١٢٤-١٣٨/ وغيره من الشروح)] [شرح كشف الشبهات لابن باز (ص٢٢-٢٤)].

(١) هذا الحديث هو دليل الشرط الثامن من شروط [لا إله إلا الله]، وقد سبق بيان معناه هنالك. والشاهد منه (من وحد الله)، وفي الحديث أنه علق عصمة المال والدم بالإتيان بالتوحيد والتزم أحكامه وترك الشرك وأهله وقد أجمع العلماء على ذلك. «تيسير العزيز الحميد» (ص١٤٦-١٤٨).

(٢) سبق في باب أركان الإسلام والشاهد منه (أن يوحدوا الله).

(٣) هذا الحديث دليل على أنه لا ينفع مع الشرك عمل كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

=

رواه الإمام أحمد (٢/ ١٨٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٨٤).

قلت: بل هو حسن.

قلت: في هذه الأدلة رد على الجهال الذين ينكرون التوحيد[1].



=

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «وآخر الرسل محمد ﷺ أرسله الله إلىٰ أناس يتعبدون ويحجُّون ويتصدقون ولكنهم يجعلون وسائط بينهم وبين الله... وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء هو الذي أحل دماءهم وأموالهم...». اهـ بتصرف «كشف الشبهات» (٦، ١٢)، فالمشركون كانت لهم عبادات لكنها مخلوطة بالشرك فلم تنفعهم ولم تنجهم من عذاب الله تعالىٰ.

(١) أمثال الصوفية والرافضة والشيعة، والإخوان المسلمين وغيرهم ممن يزهد في نشر التوحيد وتعليمه ويعدون ذلك قشورًا... نسأل الله السلامة.

أقسام التوحيد أربعة[1]

اعلم أخي المسلم -ثبتني الله وإياك على الحق- أن التوحيد ينقسم إلى أربعة أقسام، و هي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد الألوهية.

٣- توحيد الأسماء والصفات[2].

٤- توحيد المتابعة.

وهذه الأقسام الأربعة كلها موجودة في سورة الفاتحة[3].

---

(١) المشهور عن السلف تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وقد جاء عن بعضهم تقسيمه إلى قسمين هما: توحيد المرسِل -وهو الله تعالى- ويشمل أنواعه الثلاثة، وتوحيد المرسَل -وهو محمد ﷺ- بالمتابعة، وسيأتي نقل اتفاق الرسل على ذلك -في كلام البدر-.

(٢) **قال الشيخ عبد الرزاق العباد -رفع الله درجته-**: «أما تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات... فهذه عقيدة المسلمين قاطبة المؤمنين بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ». القول السديد (ص١٦).

وقال ابن بطة -رحمه الله تعالى-: «...وذلك أن الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه...». «الإبانة» (٦٩٣-٦٩٤)، [بواسطة القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد ص٣٢].

وقد ذكر مؤلفه نقولات كثيرة عن السلف فراجعه.

(٣) **قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-**: «اشتملت هذه السورة على أنواع التوحيد الثلاثة التي

فقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١].

فيها توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

فيها توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٣-٤].

فيهما أيضًا توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

فيها توحيد الألوهية.

وقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

فيهما توحيد الألوهية وتوحيد المتابعة.

راجع: شرح العقيدة الطحاوية (ص٨٩)، والجامع الفريد (ص٢٧٦).

=

اتفقت عليها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-؛ توحيد في الربوبية، وتوحيد في الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات...». اهـ بتصرف «بدائع التفسير» (١/ ١٣٢).

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فهذه السورة قد تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وتوحيد الإلهية يؤخذ من لفظ (الله)ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وتوحيد الأسماء والصفات وقد دل عليه لفظ (الحمد)...». اهـ

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنىٰ وهي (الله) (الرب) (الرحمن)، فاسم (الله) متضمن لصفات الألوهية، واسم(الرب) متضمن لصفات الربوبية، واسم (الرحمن) متضمن لصفات الإحسان والجود والبر...».

(ثم شرح الفاتحة بكلام كثير كما في بدائع التفسير ص١٠٩) وغيرها. وانظر «مدارج السالكين» (٣/ ٤٤٩-٤٥٠).

الأول: توحيد الربوبية(١)

توحيد الربوبية هو: إفراد الله في أفعاله.

ومعناه أن الله هو المتفرد بالخلق والأمر والملك والتدبير والموجد لهذه الكائنات من العدم إلىٰ الوجود بدون شريك ولا معين.

فهو الخالق وهو الآمر وهو المالك وهو المدبر وحده لا شريك له.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٢)﴾ [الفاتحة:٢] في ستة مواضع في

---

(١) توحيد الربوبية: نسبة إلىٰ الرب -جل وعلا-، وقد دل علىٰ هذا النوع من التوحيد الكتاب والسنة والعقل والفطر.

وفي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد

وعامة الأمم تؤمن بربوبية الله تعالىٰ جملة إلا شواذ من الناس كالدهرية، كما قال تعالىٰ عنهم ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، قال تعالىٰ بعد ذلك: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

فلا علم ولا عقل ولا فطرة عند هؤلاء، وهكذا الشيوعية ومن وافقهم سلكوا ذلك المسلك مكابرة وإلحادًا في الظاهر وإلا فهم مقرون في بواطنهم بذلك كما قال تعالىٰ عن فرعون ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقد حاججهم الله تعالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

ولما كان غالب الأمم وقعوا في شرك الألوهية جرهم ذلك إلىٰ الشرك في بعض الربوبية: كالاستسقاء بالنجوم ونسبة النفع والضر إلىٰ غير الله تعالىٰ وطلب الولد من الصنم أو القبر، ونسبة الحوادث إلىٰ الدهر، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون إلىٰ الأقطاب كما تزعم الصوفية، وتعليق الحروز والتمائم بدعوىٰ أنها تنفع وتضر مع الله أو من دون الله...

وغير ذلك من الشركيات.

(وانظر: شرح الأصول الثلاثة للعثيمين ٨٤)، (الإرشاد للفوزان ٣٠-٣٥، ١٤٥-١٥٧) (عقيدة التوحيد ٢٤-٢٧)، (نقض عقائد الأشاعرة ص٢٤٥).

(٢) قال العلامة محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فإذا قيل لك من ربك؟ =

القرآن وهي كما يلي:

١- الفاتحة: ٢.
٢- الأنعام: ٤٥.
٣- يونس: ١٠.
٤- الصافات: ١٨٢.
٥- الزمر: ٧٥.
٦- غافر: ٦٥.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤](١).

وقال تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ(٢)﴾ [الفاتحة:٤].

=

فقل: ربي الله الذي رباني وربىٰ جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وكل ما سوىٰ الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم». (الأصول الثلاثة).

وقال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «ومعنىٰ (رب العالمين)؛ أي: خالقهم ورازقهم ومالكهم ومُصلحهم ومربيهم بنعمه وإرساله رسله وإنزال كتبه ومجازيهم علىٰ أعمالهم.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: فإن الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم وجزاء محسنهم بإحسانه ومسيئهم بإساءته». اهـ «عقيدة التوحيد» (ص٢٧).

(١) يخبر تعالىٰ عن صفات ربوبيته، وأنه خلق هذا العالم سمواته وأرضه، وما بين ذلك في ستة أيام ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ارتفع عليه كما يليق بجلاله.

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا ﴿حَثِيثًا﴾ سريعًا، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، له الملك والخلق، وله الأمر المتضمن للشرائع.

فالخلق يتضمن أحكامه الكونية، والأمر يتضمن أحكامه الدينية الشرعية ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]؛ أي: عظم وتعالىٰ وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، وهو الله المعبود الحق والرب العظيم لهذا العالم المستحق للعبادة وحده لا شريك له. اهـ من تفسير ابن كثير، وتفسير السعدي.

(٢) لأن الرب هو المالك المدبر، كما سبق في الدرس الماضي.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ (١)﴾ [الناس:١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢)﴾ [يونس:٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٣)﴾ [المؤمنون:٨٨-٨٩].

قلت: ولم ينكر هذا القسم أحد إلا فرعون والنمرود والدهرية قديمًا والشيوعية حديثًا، والمنكر له يعتبر كافرًا ملحدًا(٤).

---

(١) ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾: ألجأ وأعتصم ﴿بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس:١-٢]، ربهم ومالكهم المتصرف فيهم.

(٢) هذه الآيات فيها صفات الرب ﷻ وأنه يدبر العالم العلوي والسفلي، وأنه متفرد بذلك وأن الأمر ينزل من عنده ويعرج إليه في هذه المسافة الطويلة في لحظة لكمال قدرته وعظيم ربوبيته.

(٣) وفي هذه الآيات أيضًا صفات الرب ﷻ وأنه المالك لكل شيء، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ عباده من الشر ويدفعه عنهم كما يشاء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ ولا يقدر أحد أن يدفع ما قدره من مقدورات من خير وشر، ﴿سَيَقُولُونَ﴾ اعتراف بربوبية الله، إلا أن هذا لا يدخلهم الإسلام لأنهم أشركوا في الألوهية. (تفسير السعدي) بتصرف وزيادة.

﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾: أين تذهب عقولكم حيث عبدتم غير ربكم المالك المدبر الرازق لكم، وهذا إلزام لهم.

فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فمن عرف أن الله تعالىٰ خالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له.

فائدة: الربوبية والألوهية إذا اجتمعا في موضع افترقا في المعنىٰ، وإذا ذكر كل واحد في موضع شمل الآخر. [انظر: الإرشاد للفوزان ص٤١-٤٣] [الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ٣/ ٩٧-٩٨].

(٤) قال العلامة الشنقيطي -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد دل استقراء القرآن العظيم علىٰ أن توحيد الله ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

=

الثاني: توحيد الألوهية[1]

توحيد الألوهية: هو إفراد الله في أفعال العباد[2].

=

الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧].

وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، تجاهلُ عارفٍ أنه عبد مربوب بدليل قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢].

وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله...». «أضواء البيان» (٣/ ٤١٠)، «القول السديد» (٢٢).

(١) توحيد الألوهية نسبة إلىٰ (الإله) ﷻ من جهة؛ لأنه معبود بحق وحده لا شريك له، ومن جهة نسبة إلىٰ التأله وهو التعبد لأنك مطالب بعبادة الله وحده لا شريك له. «الإرشاد» (ص٣٥).

قال الإمام ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «توحيد الله بالعبادة وهو معنىٰ لا إله إلا الله؛ فإن معناها: لا معبود بحق إلا الله وحده ﷻ... وهو الأساس العظيم لدعوة الرسل... وهو الذي أنكره المشركون الأولون وينكره المشركون اليوم، ولا يؤمنون به، بل عبدوا مع الله سواه فعبدوا الأحجار وعبدوا الأصنام، وعبدوا الأولياء، والصالحين، واستغاثوا بهم ونذروا لهم، وذبحوا لهم إلىٰ غير هذا مما يفعله عُباد القبور وأشباههم...

فلابد من تحقيق هذا النوع من التوحيد وإفراد الله بالعبادة ونفي الإشراك به ﷻ والاستقامة علىٰ ذلك، والدعوة إليه والموالاة فيه والمعاداة عليه، وبسبب الجهل بهذا النوع وعدم البصيرة فيه يقع الناس في الشرك ويحسبون أنهم مهتدون كما قال -جل وعلا-: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠]». «الفتاوىٰ» (١/ ٣٨-٤١).

(٢) توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة، هذا أوضح في المقصود.

وقد قال الشيخ صالح الفوزان **-حفظه الله تعالىٰ-:** «وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالىٰ بأفعال العباد التي يفعلونها علىٰ وجه التقرب المشروع...». «عقيدة التوحيد» (ص٤٦)، =

ومعناه صرف جميع أنواع العبادات: من ذبح، ونذر، ودعاء، وتوكل، وخوف، ورجاء، وإنابة، ورغبة، ورهبة، وخشية وغير ذلك من أنواع العبادات لله وحده لا شريك له(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

أي: ليوحدوني وآمرهم وأنهاهم.

وهذا هو معنىٰ: (أشهد أن لا إله إلا الله).

قلت:

والذين أنكروا هذا القسم هم المشركون قديمًا والقبوريون حديثًا.

=

«الإرشاد» (ص٣٥).

فخرج بذلك ما يفعلونه من عادات وخرج ما يفعلونه علىٰ وجه التقرب الشركي أو البدعي، فظهر بذلك أهمية تقييد أفعال العباد (بالعبادة، أو التقرب المشروع).

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٦٣]؛ أي: معبودكم الحق واحد لا معبود بحق إلا هو الرحمن الرحيم. (وانظر: قواعد في الألوهية ص٣٩).

(١) العبادة حق محض لله ﷻ فصرفه لغير الله تعالىٰ شرك أكبر؛ إذ العبادة خاصة بالله تعالىٰ كما هو صريح في الآيات التي ذكر المؤلف، فإن الله لا يرضىٰ أن يُعْبَد معه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا وليٌّ ولا صالح، لا حيٌّ ولا ميت ولا غير ذلك، قال تعالىٰ فيمن يعبدون عيسىٰ عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ [المائدة:٧٢]. (قواعد في الألوهية ص٣٩)، (الإرشاد للفوزان ص٣٧)، (فتاوىٰ ابن باز ١/ ٦٩)، (تجريد التوحيد ص٤٨-٤٩).

الثالث: توحيد الأسماء والصفات

توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما سمىٰ به نفسه أو سماه رسوله ﷺ، أو وصف به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل[1].

---

(١) هذا الذي ذكره الشيخ -رفع الله درجته-؛ هو معتقد أهل السنة والجماعة، أجمعوا عليه، وعليه أدلة كثيرة صنف العلماء فيها مصنفات كثيرة مشهورة، وابتدأ شيخنا الوادعي -رحمه الله تعالىٰ- بها في كتابه العظيم (هذه دعوتنا وعقيدتنا) فقال: «نؤمن بالله وبأسمائه وصفاته كما وردت في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل». اهـ

وذكرها شيخ الإسلام في أول العقيدة الواسطية فقال: «... فهذا اعتقاد الفرقة الناجية إلىٰ قيام الساعة أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]». اهـ المراد.

وقد ألف السلف: المزني والحميدي وابن حنبل والدارمي وابن خزيمة والدارقطني والطحاوي وغيرهم مؤلفات في بيان هذا المعتقد، ونقل ابن عبد البر الإجماع عليه. «التمهيد» (٧/ ١٤٥)، «عقيدة السلف» للصابوني (ص٧٥-٧٦).

وأسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية علىٰ ما ورد في الكتاب والسنة، بإجماع أهل الحق، ولا يقال فيها بالرأي كما سيأتي.

وقوله: (من غير تكييف...) إلخ. شرحها العلامة ابن عثيمين في الواسطية فقال: «(تكييف) هو أن تذكر كيفية الصفة، أهل السنة لا يكيفون صفات الله، لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

فإذا قال لك الجهمي: إن الله ينزل إلىٰ السماء الدنيا كيف ينزل؟ فقل: إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبر كيف ينزل، وهذه قاعدة مفيدة...

(ولا تمثيل) فأهل السنة يتبرءون من تمثيل الله ﷻ بخلقه، لا في ذاته ولا في صفاته، والتمثيل ذكر =

كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١)﴾ [الشورىٰ:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢)﴾ [الأعراف:١٨٠].

= مماثل للشيء، وأهل السنة يثبتون الصفات لله ﷻ بدون تمثيل لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]...

(ولا تحريف) التحريف التغيير، وهو إما لفظي وإما معنوي، وهو الذي وقع فيه كثير من الناس مثاله قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

فإذا قال قائل: معنىٰ [استوىٰ] استولىٰ فهذا تحريف...

(ولا تعطيل) المراد بالتعطيل: إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات فأهل السنة لا يعطلون أسماء الله تعالىٰ أو صفاته...». «الواسطية» (١/ ٨٦-١٠٥) بتصرف. ط: مكتبة شمس.

(١) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾؛ نفي للمماثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إثبات للصفات، فأثبت الصفات ونفىٰ المماثلة، فدل علىٰ أن إثبات الصفات لا يلزم منه تمثيل ولا يجوز فيه تعطيل بحجة نفي التمثيل.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: ليس كمثله شيء من مخلوقاته لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنىٰ وصفاته صفات كمال وعظمة وأفعاله أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه...

وهذه الآية وأمثالها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات وفيها رد علىٰ المشبهة في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾،وعلىٰ المعطلة في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾». اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «الأسماء الحسنىٰ المعروفة هي التي يدعىٰ بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها...». «الأصفهانية» (ص٥)، فما لم يرد في الكتاب والسنة فلا يقال إنه من أسماء الله تعالىٰ.

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أسماء الله كلها حسنىٰ؛ أي: بالغة في الحسن غايته وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها =

وإنما نثبت له كل اسم وصفة وردا في الكتاب أو السنة الثابتة علىٰ الوجه الذي يليق بجلال ربنا، فنؤمن بأنه يسمع ويبصر ويتكلم متىٰ شاء، وبما شاء وأنه مستوٍ علىٰ عرشه استواء يليق به كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥](١).

قاعدة: أسماء الله وصفاته توقيفية:

أي: لا نسمي ربنا إلا بما سمىٰ به نفسه أو سماه رسوله ﷺ، ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ(٢).

فائدة: أسماء الله وصفاته تنقسم إلىٰ قسمين:

١- ما لا يطيق إلا علىٰ الله وحده، مثل: الله، الرحمن، الرب -بالألف واللام في الرب-.

=

بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا». (القواعد المثلىٰ/ القاعدة الأولىٰ).

وقال: «الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

١- أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات.

٢- أن يجعلها دالة علىٰ صفات تشابه صفات المخلوقين.

٣- أن يسمىٰ الله تعالىٰ بما لم يسم به نفسه ولا سماه رسوله.

٤- أن يشتق من أسمائه أسماء للمعبودات الباطلة كالعزىٰ من العزيز...». (القاعدة السابعة/ من القواعد المثلىٰ)

(١) أهل السنة يؤمنون بأن لصفات الله تعالىٰ كيفية لا نعلمها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ولكنهم يؤمنون أنها كما يليق بجلاله وعظمته وكماله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾. [وانظر: ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة ١/ ٢٠٧-٢٠٩].

(٢) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر:٥٥]، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء:٣٦]، فالعقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالىٰ من الأسماء والصفات، فوجب الوقوف في ذلك علىٰ النص.

[راجع القاعدة الخامسة للأسماء من القواعد المثلىٰ].

٢- ما يجوز إطلاقه على غير الله مثل: رحيم، ملك، عزيز، كريم[(١)].

فائدة أخرى:

أنكر المشركون بعض أسماء الله مثل الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

وأما الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية والإباضية فقد غيروا وحرفوا في أسماء الله وصفاته، كل فرقة بحسبها[(٢)].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٥][(٣)].

---

(١) **انظر الكلام على ذلك** للشيخ ابن عثيمين واللجنة الدائمة في (المحلى في شرح القواعد المثلى ص ١٥٠-١٥٦).

(٢) **مذاهب الناس في أسماء** الله تعالى وصفاته مذهبان:

الأول: المذهب الحق وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقد سبق.

الثاني: مذهب أهل الباطل وهم أقسام:

١- **المعطلة الجهمية** الذين جحدوا أسماء الله وصفاته جملة وغالب هؤلاء زنادقة.

٢- **المعتزلة يثبتون** الأسماء ويعطلون الصفات.

٣- الأشاعرة يثبتون الأسماء ويعطلون الصفات إلا سبع.

٤- والماتريدية والكلابية كالأشاعرة إلا أنهم يثبتون عشرين صفة وقيل غير ذلك، وهم - أي: الأشاعرة والماتريدية- يثبتون هذه الصفات بما مؤداه التعطيل عند فحص أقوالهم.

٥- الإباضية أشبه في باب الصفات بالمعتزلة:

فاحمد إلهك أيها السني إذ ... عافاك من تحريف ذي بهتان

(٣) **أورد المؤلف هذه الآية تحذيرًا من طرق الضلال والتي يزعم كثير من أهلها أنهم أهل هدى** وحق، فإلى الله المرجع، ثم يتبين للجميع أن الحق مع من تمسك بالكتاب والسنة وأن هذه الفرق على ضلال.

الرابع: توحيد المتابعة[1]

توحيد المتابعة: هو أن نفرد رسول الله ﷺ في الاتباع، فلا نتبع إلَّا إياه اتباعًا صادقًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وهذا هو معنىٰ: (شهادة أن محمدًا رسول الله)[2].

---

(١) توحيد المتابعة، سمي توحيدًا لأن الله ﷻ بعث خاتم الأنبياء، رسولًا واحدًا وفرض علىٰ جميع المكلفين أن يتبعوه ويتركوا ما سوىٰ ذلك من الملل والنِّحَل، فمن من لم يؤمن برسالته وشموليتها كان مشركًا غير موحد، ولو ادعىٰ أنه مؤمن بالله ورسله، كما سبق في باب (محمد رسول الله)، وفي (نواقض الإسلام) فراجعه.

(٢) سبق توضيح الاتباع وشرح الآيات، وسيأتي من نقولات المؤلف ما يغني عن الشرح.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير آية النساء: «﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: أي: ومن يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ ﷺ ويعانده فيما جاء به ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾، بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم، ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾؛ أي: نتركه وما اختاره لنفسه ونخذله فلا نوفقه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه فجزاؤه من الله عدلًا أن يبقيه في ضلاله حائرًا، ويزداد ضلالًا إلىٰ ضلاله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠]، وقوله: ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾؛ أي: نعذبه فيها عذابًا أليمًا وساءت مصيرًا...». اهـ

قال شارح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٠) بتحقيق الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولًا، أو نحمله شبهةً أو شكًّا، أو نقدم عليه آراء الرجال وزُبالة أذهانهم، فنوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحد المرسِل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، توحيد المرسِل، وتوحيد متابعة الرسول.

فلا نحاكم إلىٰ غيره ولا نرضىٰ بحكم غيره ولا نوقف تنفيذ أمره وتصديق خبره علىٰ عرضه علىٰ قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرَّفه عن مواضعه، وسمىٰ تحريفه تأويلًا وحملًا.

فقال: نؤوله ونحمله، فلأن يلقىٰ العبد ربه بكل ذنب ما خلا الإشراك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتىٰ يعرضه علىٰ رأي فلان وكلامه ومذهبه؟!

بل كان الفرض المبادرة إلىٰ امتثاله من غير التفات إلىٰ سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل يستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل نهدر الأقيسة، ونتلقىٰ نصوصه، ولا نحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولًا نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول! ولا يوقف قبول قوله علىٰ موافقة فلان دون فلان كائنًا من كان». اهـ

قلت: لقد أزعج هذا النوع من أقسام التوحيد -وهو توحيد المتابعة للرسول ﷺ- أزعج المبتدعة والمتحزبة بجميع أشكالهم وأنواعهم، ولم يفرح به إلا أهل الحق وهم أهل السنة والجماعة، وهم حزب الله المفلحون -إن شاء الله-.

أما المبتدعة والمتحزبة على الباطل فقد أقلقهم وأزعجهم أيما إزعاج؛ ذلك لأنه يفقدهم التبعية والتحكم على رقاب الناس وممتلكاتهم.

ويجعل الناس لا يتبعون إلا رسول الله ﷺ، وأما غير رسول الله ﷺ فلا يُتَّبَعُ إلا فيما يوافق الكتاب والسنة، فلا طاعة مطلقة بدون أي شرط ولا قيد إلا لله ورسوله ﷺ، وأما غير ذلك فهي طاعة مقيدة في حدود الكتاب والسنة.

وقد قرظ على كتاب القول المفيد سبعة من العلماء، وكلهم مقرون بتوحيد المتابعة ولم ينكره أحد منهم، بل منهم من أكد عليه في تقريظه، وهو الشيخ أحمد بن أحمد سلامة -رحمه الله تعالى-، ولما رأيت اعتراض الحزبيين على توحيد المتابعة:

- سألت عنه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي -حفظه الله تعالى- فأكد من شأنه وقال: أثبت ولا تبالِ بهم.

- ثم سألت عنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -يرحمه الله تعالى- حين التقيت به فأكد من شأنه، وقال بأنه ممن يدعو إليه.

- وقد أخبرني من كان مجالسًا للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن كتاب القول المقيد قرئ على سماحة الشيخ فأعجب به وأمر بطبعه.

ولما ألف الشيخ إبراهيم بن إبراهيم قريبي كتابه «اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب»؛ نص عليه واعتبره قسمًا رابعًا للتوحيد كما في صفحة ١٩، ٣٠.

ولأخ فاضل مؤلف خاص بعنوان «الدفاع عن توحيد المتابعة».

- وقد نص عليه الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني مؤسس الجامعة الأثرية ببيشاور في رسالته الدكتوراه العالمية «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١/ ١٠٤-١٠٦) مقدمة للجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

نوقشت هذه الرسالة ليلة الثلاثاء ٢٠/ ١٢/ ١٤١٤هـ.

وأجاب الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالى- عن سؤال يتعلق بأقسام التوحيد وأنواعه، فقال:

«هذا مأخوذ من الاستقراء، لأن العلماء لما استقرءوا ما جاءت به النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ظهر لهم هذا، وزاد بعضهم نوعًا رابعًا هو توحيد المتابعة، وهذا كله بالاستقراء.

فلا شك أن من تدبر القرآن الكريم وجد فيه آيات تأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وهذا هو توحيد الألوهية، ووجد آيات تدل على أن الله هو الخلاق وأنه الرزاق وأنه مدبر الأمور، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقرَّ به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام.

كما يجد آيات أخرى تدل على أن له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنه لا شبيه له، ولا كفو له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات الذي أنكره المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والمشبهة، ومن سلك سبيلهم.

ويجد آيات تدل على وجوب اتباع الرسول ﷺ ورفض ما خالف شرعه، وهذا هو توحيد المتابعة، فهذا التقسيم قد عُلم بالاستقراء وتتبع الآيات ودراسة السُّنة، ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨][(١)].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

---

(١) هذه الآيات فيها توحيد الألوهية.

وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١](١).

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص١-٤](٢).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤](٣).

والآيات فيما ذكر من التقسيم كثيرة.

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه المتفق علىٰ صحته: «**حق الله علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**»(٤).

وقوله ﷺ: «**من مات وهو يدعو لله ندًّا دخل النار**». رواه البخاري في صحيحه(٥).

وقوله ﷺ لجبريل لما سأله عن الإسلام قال: «**أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة**». الحديث متفق عليه(٦).

---

(١) هذه الآية والتي قبلها فيها توحيد الربوبية.

(٢) هذه الآيات فيها توحيد الأسماء والصفات.

(٣) هذه الآيات فيها توحيد المتابعة والطاعة المطلقة لله تعالىٰ ولرسول الله ﷺ، وأنه لا هداية لأحد من هذه الأمة إلا بطاعته ﷺ واتباعه.

(٤) (خ٢٨٥٦) (م٣٠).

(٥) (خ٤٤٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) (خ٥٠/ ٤٧٧٧) (م٩) هذه الأحاديث فيها توحيد الألوهية.

وقوله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله**». متفق على صحته[١].

وقوله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قيل: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**». رواه البخاري في صحيحه[٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإله هو المعبود المطاع؛ فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع».

وقال: «فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته.

فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد، فالفساد لازم له في علومه وأعماله». فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، باب فضل التوحيد.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين جميعًا من حكام ومحكومين للفقه في دينه والثبات عليه والنصح لله ولعباده، والحذر مما يخالف ذلك، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مجموع الفتاوى (١/ ٨٤-٨٧) جمع الطيار وأحمد بن عبد العزيز بن باز.

وقال أيضًا عن أقسام التوحيد:

«وبما ذكرنا من كتاب الله ﷻ ومن كلام رسوله محمد -عليه أفضل الصلاة وأزكى

---

(١) (خ٢٩٥٧) (م١٨٣٥).

(٢) (خ٧٢٨٠)، هذان الحديثان فيهما توحيد المتابعة.

التسليم-، ومن واقع العالم يتضح أن التوحيد أقسام، وقد عرف ذلك أهل العلم بالاستقراء لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

فهو أقسام ثلاثة: توحيد الربوبية: وهو الإيمان بأن الله ﷻ واحد في أفعاله، وخلقه وتدبيره لعباده، وأنه المتصرف **في عباده كما شاء** ﷻ، **بعلمه** وقدرته -جل وعلا-.

والثاني: توحيد الأسماء والصفات: وأنه ﷻ **موصوف** بالأسماء الحسنىٰ والصفات العلا، وأنه كامل في **ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله** -جل وعلا-، وأنه لا شبيه له ولا نظير له، ولا ندَّ له ﷻ.

والثالث: توحيد العبادة: وأنه يستحق ﷻ **أن يعبد** وحده لا شريك له، دون ما سواه -جل وعلا-.

وإن شئت قلت: توحيد الله ﷻ هو الإيمان بأنه رب الجميع وخالق الجميع، ورازق الجميع، وأنه لا شريك له في جميع أفعاله ﷻ، لا شريك له في خلقه ورزقه للعباد، لا شريك له في تدبير الأمور، وهو المالك لكل شيء -جل وعلا- كما قال ﷻ: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ [المائدة:١٢٠].

فهو المالك لكل شيء، والمتصرف في كل شيء -جل وعلا-، له الأمر كله، وله الخلق كله، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وهو الموصوف بصفات الكمال والمسمىٰ بالأسماء الحسنىٰ، فلا شبيه له من خلقه في شيء، بل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المستحق أن يُعبد ويُخص بالعبادة من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والصلاة والصَّوْم والذبح والنذر وغير ذلك.

هذا كله داخل في مسمىٰ التوحيد، توحيد الله ﷻ توحيد الأنبياء والمرسلين، وهو التوحيد الذي جاء به خاتمهم وسيدهم وإمامهم نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-.

ويمكن أن نأتي بعبارة أخرىٰ فنقول: توحيد الله الذي جاءت به الرسل جميعهم ينقسم إلىٰ قسمين: توحيد في المعرفة والإثبات، فمعناه الإيمان بأسماء الله وصفاته وذاته

-جل وعلا-، وخلقه للعباد ورزقه لهم، وتدبيره لشئونهم سبحانه وتعالى.

هذا هو التوحيد في المعرفة والإثبات: أن تؤمن وتصدق بأن الله سبحانه واحد في ربوبيته، وواحد في أسمائه وصفاته وتدبيره لعباده، وهو الخالق لهم والرازق لهم والموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقص والعيب لا شريك له في ذلك، ولا شبيه له، ولا ندَّ له -جل وعلا-.

والقسم الثاني توحيد القصد والطلب: وهو إفراد الله سبحانه في قصدك وطلبك وصلاتك وصومك، وسائر عباداتك، لا تقصد بها إلا وجهه -جل وعلا-، وهكذا صدقاتك، وسائر أعمالك التي تتقرب بها، لا تقصد بها إلا وجهه -جل وعلا-، فلا تدعو إلا إياه، ولا تنذر إلا له، ولا تتقرب بأنواع القربات إلا له سبحانه، ولا تطلب شفاء المرضىٰ والنصر علىٰ الأعداء إلا منه عز وجل، توحده في كل ذلك.

فهذه أنواع التوحيد لك أن تعبر عنها بنوعين، ولك أن تعبر عنها بثلاثة أنواع، ولك أن تعبر عنها بنوع واحد كما تقدم فيما ذكرنا آنفا.

ولا مشاحة في الاصطلاح والتعبير، وإنما المقصود أن نعرف ما هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب، ووقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم، وهو توحيد العبادة». اهـ

مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، جمع محمد بن سعد الشويعر (٢/ ٦٨-٧١).

* * *

القرآن كله توحيد

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-:

«... كلُّ سورةٍ في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلىٰ عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته.

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبىٰ من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[1].

كما في فتح المجيد (ص١٧-١٨)، وهو منقول من مدارج السالكين (٣/ ٤٦٨-٤٦٩)، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٨٩).



(١) وقد مثَّل -رحمه الله تعالىٰ- بسورة الفاتحة وغيرها. انظر: «بدائع التفسير» (ص١٣٢، ١٦٦). كما سبق قبل أبواب شرح أقسام التوحيد فيها.

أقسام الدُّور وأقسام أهلها

الدور ثلاث:

١- دار الدنيا.

٢- دار البرزخ.

٣- دار الآخرة[١].

---

(١) (الحياة الدنيا) اسم لما بين سقوط الولد إلىٰ وقت موته.

(الدنيا) اسم لهذه الحياة، وقيل لها دنيا: لبعدها عن الآخرة، كذا في اللسان لابن منظور.

وقيل: لدناءتها وحقارتها بجانب الآخرة،وقيل: لدنو زوالها، وكل ذلك صحيح في حال هذه الدنيا.

وقد وردت أدلة كثيرة في ذكر الدنيا منها قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾، قبل خلقكم: ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في هذه الدنيا، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ إلىٰ دار البرزخ، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]، إلىٰ دار الآخرة.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ إلىٰ الدنيا ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بالموت إلىٰ دار البرزخ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ [طه:٥٥] إلىٰ دار الآخرة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

والدنيا دار امتحان وابتلاء، قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

فالدنيا للعاقل دار عمل بالطاعات وتوحيد لرب الأرض والسموات، واستعداد للقاء الله تعالىٰ.

(دار البرزخ) **البرزخ لغة**: الحاجز بين الشيئين. ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾؛ أي: حاجز، والبرزخ في الشرع: ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلىٰ البعث.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، ويدخل في الإيمان بالبرزخ الإيمانُ بعذاب القبر ونعيمه، كما ورد في حديث البراء بن عازب في عذاب القبر ونعيمه وأدلة كثيرة (انظر: الروح لابن القيم ص٧٣)، (أحاديث حياة البرزخ في الكتب التسعة ص٣٢-٥٠).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «مذهب سائر المسلمين، بل وسائر الملل إثبات =

والناس ينقسمون في هذه الدور الثلاث إلىٰ ثلاثة أقسام، وكل قسم ينقسم إلىٰ أقسام وهم:

١- مؤمنون، وهم قسمان. ٢- منافقون، وهم قسمان.

٣- كافرون، وهم قسمان.

المؤمنون قسمان:

١- سابقون، وهم القربون. ٢- أصحاب اليمين، وهم الأبرار[1].

انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠).

تنبيه: الأدلة علىٰ ما ذكرته في (أقسام الدور وأقسام أهلها)كثيرة معلومة.

تنبيه آخر: سيأتي الكلام علىٰ أقسام المنافقين والكافرين.

=

القيامة الكبرىٰ، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلىٰ يوم القيامة، هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع...». (الفتاوىٰ ٤/ ٢٨٤).

قوله: (دار الآخرة) يوم القيامة من بعث الناس من قبورهم إلىٰ دخول الجنة والنار واستقرار أهل كل واحدة فيها.

وسميت الآخرة؛ لأنه لا دار بعدها.

وقيل: لتأخرها عن الدنيا، وكلاهما صحيح، واليوم الآخر أخص من الدار الآخرة، فيراد به يوم البعث والحساب.

والإيمان بالآخرة يشمل الإيمان بالبعث والحساب والميزان، والجنة والنار، كما سبق في أركان الإيمان.

دار جزاء وحساب قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧].

ومن أدلة الدار الآخرة: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٧٧]، والأدلة في هذا كثيرة مشهورة.

(١) سبق شرحه في آخر باب الإيمان فأغنىٰ عن الإعادة.

خطر الشرك بالله(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ

---

(١) الشرك لغة: من المشاركة، تقول: شاركته في الأمر؛ أي: جعلته شريكًا.

وقال الأزهري: «الشرك بمعنىٰ: الشريك وهو بمعنىٰ النصيب وجمعه أشراك...». «تهذيب اللغة» (١٠/ ١٧)، «اللسان» (مادة: شرك)، «الشرك في القديم والحديث» (ص١١٥-١١٧).

تعريف الشرك شرعًا: فقد تعدد تعريفه في كلام العلماء والمؤدىٰ متقارب فأجمع التعاريف هي:

١- **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «أصل الشرك أن تعدل بالله تعالىٰ مخلوقاته في بعض ما يستحقه...». «الاستقامة» (١/ ٣٤٤).

فكما أن التوحيد: إفراد الله تعالىٰ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فالشرك نقيضه: إشراك غير الله فيما يختص به سبحانه من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات. (وسيأتي بيانه في أنواع الشرك).

٢- **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «الشرك هو جعل شريك لله تعالىٰ في ربوبيته وإلهيته». «عقيدة التوحيد» (٩٢).

٣- **قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-**: «وضد التوحيد الشرك، وهو نوعان: شرك أكبر وأصغر.

فالشرك الأكبر: هو ما يتضمن صرف العبادة لغير الله أو بعضها، أو يتضمن جحد شيء مما أوجب الله من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، أو يتضمن جحد شيء مما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو يتضمن طاعة المخلوق في معصية الخالق علىٰ وجه الاستحلال لذلك...

والشرك الأصغر: وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركًا لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر». «الفتاوىٰ» (١/ ٤٣-٤٤).

٤- **وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «فمن أشرك مخلوقًا في شيء من الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه قول لا إله إلا الله، ونقصًا في توحيده...». «كلمة الإخلاص» (٢٣-٢٥).

٥- **قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ-**: «إن الشرك هو دعاء غير الله في الأشياء التي تختص به...». «الدر النضيد» (ص٣٤). وانظر: «معارج القبول» (٢/ ٤٨٣)، «فتاوىٰ اللجنة الدائمة» (١/ ٥١٦)، «القول السديد» (ص٢٤).

بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣٠-٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦][1].

---

(١) عقد المؤلف هذا الباب لبيان خطر الشرك بالله تعالىٰ.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الشرك لما كان أظلم الظلم وأقبح القبائح وأنكر المنكرات كان أبغض الأشياء إلىٰ الله وأكرهها له، وأشد مقتًا لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه علىٰ ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حَرمه، وحرم ذبائحهم ومناكحهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه وتعالى، ولملائكته، ورسله، وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبناءهم...

وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية وتنقص لعظمة الإلهية وسوء ظن برب العالمين». اهـ «إغاثة اللهفان» (١/ ٦٠).

وقد تضمنت الآيات بيان خطر الشرك من جهات:

=

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٤، يونس:١٠٥، القصص:٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم:٣١](١).

والآيات في هذا الباب كثيرة، وأما الأحاديث فمنها:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**». أخرجه مسلم رقم (٩٣).

٢- عنه أيضًا رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن لقي الله لا يشرك به**

=

١- أن الله تعالىٰ لا يغفر لمن مات مشركًا بالله تعالىٰ، وأن مأواه النار.

٢- أن المشرك مفترٍ علىٰ الله تعالىٰ، كاذب في دعواه الشريك لله تعالىٰ، وصرف العبادة لغيره سبحانه.

٣- أن من وقع في الشرك فقد ضل عن الحق ضلالًا بعيدًا يهوي به في النار.

٤- أن عبادة غير الله تعالىٰ شرك وكفر، فالله لا يرضىٰ أن يعبد معه نبي مرسل ولا ملك مقرب.

٥- أن دعوة الأنبياء جميعًا واحدة في الدعوة إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك.

٦- أن الله تعالىٰ حرم علىٰ من مات مشركًا الجنة، وتوعده بالنار خالدًا فيها وبئس القرار.

٧- أن المشرك ظالم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها الصحيح فصرفها لغير الله تعالىٰ.

٨- أن المشرك لا ناصر له يوم القيامة من عذاب الله تعالىٰ.

٩- من سقط في الشرك فهو كمن سقط من السماء فتقطع وتمزق وسقط في مكان بعيد، والمشرك سقط إلىٰ النار.

١٠- أن أظلم الظلم الشرك.

١١- أن الشرك محبط للعمل، وأن صاحبه خاسر في الدنيا والآخرة إن مات عليه.

(١) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ﴾، وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة: إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله، وحمل البدن بمقتضىٰ ما في القلب، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، لكون الشرك مضادًّا للإنابة التي روحها الإخلاص من كل وجه...». اهـ

شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النارَ». أخرجه مسلم أيضًا رقم (٩٣)[١].

٣- عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشرك بالله شيئًا وإن قطعت وحرقت...**»[٢]. رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٨)، وابن ماجه رقم (٣٠٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٣٣٩) وحسنه في صحيح الأدب

---

(١) قال الإمام صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «هذا خبر من الرسول ﷺ أن من مات علىٰ الشرك فهو من أهل النار ولا يغفر له، ولاحظوا كلمة (شيئًا)؛ فإنها تعم الشرك كله، ما أشرك مع الله من نبي أو وليٍّ، أو ملك؛ لأن الشرك لا يقبله الله أبدًا...

فهذا فيه الخوف من الشرك وأن الإنسان قد يختم له بالشرك فيكون من أهل النار، ولو كان من أهل التوحيد قبل، وعارفًا به ومستقيمًا لكن يخاف علىٰ نفسه من أن يموت مشركًا فيكون من أهل النار...».

وقال: «وفيه فضل التوحيد، وأن من مات عليه دخل الجنة، وهذا وعد من الله ﷻ، والله لا يخلف وعده، حتىٰ ولو كان عنده ذنوب دون الشرك فقد يغفرها الله له، ويدخله الجنة من غير عذاب، وقد يعذبه الله بها ثم يدخله الجنة، فمآل الموحد إلىٰ الجنة إما ابتداءً وإما في النهاية». «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١/ ١٣١-١٣٢).

(٢) هذا الحديث دليل علىٰ تحريم الشرك وبيان ضرره وأنه أشد ضررًا من التقطيع والتعذيب، وقد قال تعالىٰ عن قوم موسىٰ حيث هددهم فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف. ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه:٧٢].

وقال تعالىٰ عن صبر من حرق في الأخدود المؤمنين: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ [البروج:٥-٧]. الآيات.

وفي حديث صهيب في قصة الغلام مع الساحر أن الكفار حرقوا النار في الأخاديد وقذفوا المؤمنين فيها ولم يصدهم عن دينهم، وفي حديث خباب: «**لقد كان الرجل ممن كان قبلكم ينشر بالمنشار حتىٰ يصير قطعتين ما يرده ذلك عن دينه**». رواه البخاري.

قال العلامة السعدي في تفسير الآية: «﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾، مما أوعدتنا به من القطع والصلب والعذاب، ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾؛ أي: إنما توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا، ينقضي ويزول ولا يضرنا، بخلاف عذاب الله لمن استمر علىٰ كفره؛ فإنه دائم عظيم». اهـ، فلا تشرك ولا تكفر واعرف نواقض الإسلام وأنواع الشرك حتىٰ لا تقع فيها.

المفرد رقم (١٤)، وصححه في الإرواء (٧/ ٨٩-٩١) بشواهده.

والصواب أنه حسن من أجل شهر بن حوشب؛ فإنه مختلف فيه، والصواب تحسين حديثه.

٤- عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**».

قلنا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وكان متكئًا فجلس فقال: «**ألا وقول الزور!**». فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت. رواه البخاري (٢٥١١، ٥٩١٨)، ومسلم (٨٧).

٥- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**». رواه البخاري (٢٦١٥)، ومسلم (٨٩)[١].



---

(١) هذان الحديثان فيهما بيان لقبح الشرك، وأنه أعظم الذنوب علىٰ الإطلاق، وقوله: (الموبقات)؛ أي: المهلكات، وعطف السحر علىٰ الشرك من عطف الخاص علىٰ العام؛ فالسحر من أقبح الكفر والشرك.

وهذا الحديث لا يدل علىٰ انحصار الكبائر فيما ذكر فيه، إنما ذكر أعظمها جُرمًا وأكثرها فسادًا وضررًا.

ففي الشرك هدم ما بين العبد وربه، وفي بقيتها هدم لما بين العباد من حقوق وواجبات.

وانظر: «شرح النووي لمسلم» (١/ ٢/ ٢٦٩)، ط. المعرفة.

أقسام الشرك كثيرة ذكرت منها (١٥) نوعًا وهي[1]:

١ - شرك في الربوبية[2]:

---

(١) الشرك ينقسم إلىٰ قسمين أكبر وأصغر، وهذا مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، وذهبت الخوارج وغيرهم إلىٰ أنه شرك أكبر علىٰ مذهبهم المعروف في تكفير أصحاب الكبائر مطلقًا لورد لفظ شرك أو ظلم أو كفر في بعض الآيات والأحاديث وسيأتي الرد عليهم في بابه.

وبعضهم يقسمه إلىٰ أكبر وأصغر وخفي، والخفي داخل فيما سبق، ورجح الشيخ ابن باز في فتاواه أنه قسمان: أكبر وأصغر (١/ ٤٣) (الفوزان في الإرشاد ص٨٥)، (العثيمين في شرح الأصول الثلاثة ص٤٢) (مدارج السالكين ١/ ٣٣٩).

- وقسمه بعض العلماء إلىٰ: شرك في الألوهية وشرك في الربوبية -ومنه الشرك في الأسماء والصفات-.

انظر: «الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (١/ ٩١-٩٤)، (ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة ١/ ٣٩١-٣٩٢).

- وقسمه البعض إلىٰ قسمين: ظاهر وخفي، فالظاهر: يتمثل في الأعمال والأقوال، والخفي: يكون في القلب... «إعانة المستفيد» (١/ ١٢٩).

وكل هذه التقاسيم صحيحة لا ينافي بعضها بعضًا كما سنوضحه لك عند شرح أنواع الشرك.

(٢) **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «أما النوع الثاني: فالشرك في الربوبية؛ فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل، فمن شهد أن المعطي، أو المانع، أو الضار، أو النافع، أو المعز، أو المذل غيره فقد أشرك بربوبيته». «الفتاوىٰ» (١/ ٩٢).

وقال: «فأما الأول -الشرك في الربوبية-، فهو إثبات فاعل مستقل غير الله كمن يجعل الحيوان مستقلًا بإحداث فعله، ويجعل الكواكب أو الأجسام الطبيعية، أو الملائكة أو غير ذلك مستقلًا بشيء من الأحداث، فهؤلاء حقيقة قولهم: تعطيل الحوادث عن الفاعل». «درء التعارض» (٧/ ٣٩٠).

وقال المقريزي -رحمه الله تعالىٰ-: «الشرك بالله تعالىٰ في الربوبية: كشرك من جعل معه =

=

خالقًا آخر، كالمجوس، وغيرهم الذين يقولون: بأن للعالم ربين: أحدهما: خالق الخير، والآخر: خالق الشر.

وكالفلاسفة الذين يقولون: بأن مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس، وهذا أشر من شرك عباد الأصنام، والمجوس، والنصارىٰ، وهو أخبث شرك في العالم؛ إذ يتضمن من التعطيل وجحد الإلهية والربوبية واستناد الخلق إلىٰ غيره سبحانه؛ ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم، وشرك القدرية مختصر من هذا الباب، ولهذا شبههم الصحابة بالمجوس...». «تجريد التوحيد» (ص٦٤-٦٥).

وقسمه -أي: شرك الربوبية- بعضهم إلىٰ: شرك التعطيل وشرك التمثيل.

فشرك التعطيل: وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣]، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك.

وأصل الشرك وقاعدته التي يرجع إليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: تعطيل المصنوع عن صانعه.

الثاني: تعطيل الصانع عن كماله الثابت له.

الثالث: تعطيل حقيقة التوحيد... ومن هذا الشرك شرك أهل الوحدة -غلاة الصوفية الذين يقولون إن الخالق اتحد مع المخلوق-، ومن شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم، وأبديته، ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات.

وشرك التمثيل وهو شرك من جعل مع الله إلهًا آخر: كالنصارىٰ في المسيح، واليهود في عزير، والمجوس، والقدرية المجوسية... «الجواب الكافي» (١٥٠-٥٢)، ط. دار الجيل.

وخلاصة شرك الربوبية فيما يلي: كل من أشرك مع غيره في خصائص الربوبية أو أنكر شيئًا منها، أو شبهه بغيره، أو شبه غيره به يعد مشركًا بالله في ربوبيته. «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١٤٢).

أقسامه: ينقسم الشرك في الربوبية إلىٰ: كبير وأكبر.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ينقسم إلىٰ كبير وأكبر وليس شيء منه مغفور». «الجواب الكافي» (ص١٥٣).

وقد رد الله تعالىٰ علىٰ هؤلاء المشركين في الربوبية فقال سبحانه: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١].

=

وذلك كأن يعتقد شخص أن غير الله يخلق أو يرزق أو يحيي أو يميت، إلىٰ غير ذلك من صفات الربوبية.

٢- شرك في الألوهية[1]:

=

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:١٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج:٧٣]، ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧].

ومع هذا التحدي المتكرر لم يدَّعِ أحدٌ أنه خلق شيئًا فضلًا عن إثبات ذلك، فتعين أن الله سبحانه هو الخالق وحده لا شريك له... «عقيدة التوحيد» (ص٣٦-٣٧)، «الطحاوية» (١/ ٢٦-٢٧)، «الفتاوىٰ» (٧/ ٦٣٨).

(١) **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-**: «الشرك شركان: شرك يتعلق بذاتِ المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله...». «الجواب الكافي» (ص١٥٠-١٥١).

وقال في «المدارج» (١/ ٧٤): «وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية.

فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب علىٰ أهل الإشراك، وهو شرك عُباد الأصنام، وعُباد الملائكة، وعُباد الجن، وعُباد المشايخ الأحياء منهم والأموات الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر:٣]، ويشفعوا لنا عند الله، وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة...

والكتب الإلهية كلها من أولها إلىٰ آخرها تبطل هذا المذهب وترده، وتقبِّح أهله، وتنص علىٰ أنهم أعداء الله...». اهـ بتصرف.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله تعالىٰ-: «الشرك وهو دعوة غير الله مع الله». «الأصول الثلاثة».

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «يجب صرف العبادة لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئًا لغير الله كمن دعا غير الله، أو ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو استعان أو استغاث بميت أو غائب، أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فقد أشرك الشرك الأكبر، وأذنب الذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة سواء صرف هذا النوع من العبادة لصنم أو

=

=

لشجر أو لحجر، أو لنبي من الأنبياء، أو وليٍّ من الأولياء حيٍّ أوميت، كما يفعل اليوم عند الأضرحة المبنية عند القبور؛ فإن الله لا يرضىٰ أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا ولي، ولا غيرهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]». «الإرشاد» (٣٧-٣٨).

وخلاصة ذلك: أن الألوهية: إفراد الله بالعبادة، والشرك فيها: جعل لله تعالىٰ شريكًا في عبادته.

والعبادة التي من صرفها أو صرف شيئًا منها وقع في الشرك هي: ما ثبت في الكتاب والسنة أنها عبادة لله تعالىٰ، فصرفها لغير الله تعالىٰ علىٰ وجه التعبد شرك [وسيأتي شرح مفهوم العبادة في بابه، وقد أخرها المؤلف وكان حقها التقديم كما في الطبعة الصغيرة].

- وأردنا بهذا القيد (علىٰ وجه التعبد) إخراج المباحات.

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في شرح «كتاب التوحيد» (١/ ٣٢٢/ ابن الجوزي) عند قول المصنف -النجدي- في النذر: (إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه لغير الله شرك)، قال الشيخ: «هذه قاعدة في توحيد العبادة: فأي فعل كان عبادة فصرفه لغيره شرك». اهـ

فضابط الشرك في الألوهية: صرف العبادة أو بعضها لغير الله تعالىٰ.

- إلىٰ كم ينقسم الشرك في الألوهية؟ ينقسم إلىٰ أصغر وأكبر، وعليه عامة أهل السنة.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا الشرك ينقسم إلىٰ مغفور وإلىٰ غير مغفور، وأكبر وأصغر...». «الجواب الكافي» (ص١٥٣).

وقال الإمام ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما توحيد الألوهية: فالشرك فيه تارة يوجب الكفر والخروج من الملة والخلود في النار، ومنه ما هو أصغر كالحلف بغير الله، وقول القائل: ما شاء الله وشئت، والنذر لغير الله وخشية غير الله ورجائه والتوكل عليه والذل له...». «فضل علم السلف علىٰ الخلف» (ص١٠٢)، [قال أبو عبد الله: وفي النذر وما بعده خلاف سيأتي في بابه إن شاء الله تعالىٰ].

- **وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة وهو نوعان: شرك أكبر جلي وشرك أصغر خفي.

فأما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندًّا يدعوه كما يدعو الله أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقىٰ مع صاحبه من التوحيد

=

وذلك كأن يصرف شخص نوعًا من أنواع العبادات لغير الله كائنًا من كان، كالذبح والنذر والدعاء والحلف وغير ذلك.

٣- شرك في الأسماء والصفات[1]:

=

شيء، وهذا المشرك الذي حرم الله عليه الجنة ومأواه النار...

وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلىٰ الشرك، كالغلو في المخلوق ولا يبلغ رتبة العبادة، كالحلف بغير الله ويسير الرياء». اهـ باب الخوف من الشرك من «القول السديد» (٢٩-٣٠).

والحد الفاصل بين الأكبر والأصغر: أن كل ما ثبت أنه عبادة محضة لله تعالىٰ فصرفه لغير الله شرك أكبر، كالذبح والصلاة والحج، وغير ذلك.

ويشمل الظاهر والباطن، النيات، والأقوال، والأعمال.

وما كان دون مرتبة العبادة كالحلف بالأمانة، وقول ما شاء الله وشئت، أو طرأ علىٰ العبادة ولم يكن في أصلها كيسير الرياء ونحو ذلك فهو شرك أصغر.

(١) الشرك في الأسماء والصفات داخل في الشرك في الربوبية كما سبق آنفًا شرحه.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن هذا شرك من عطَّل أسماء الرب تعالىٰ، وأوصافه، وأفعاله من غلاة الجهمية، والقرامطة، فلم يثبتوا له اسمًا ولا صفة، بل جعلوا المخلوق أكمل منه: إذ كمال الذات بأسمائها وصفاتها». «الجواب الكافي» (ص١٥١).

وقد سماه ابن القيم بشرك التعطيل والتمثيل.

فالتعطيل كما سبق.

وشرك التمثيل كشرك المجوس، والنصارىٰ، واليهود، والممثلة وغيرهم. «الجواب الكافي» (١٥١-١٥٢).

قال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «إنكار الأسماء والصفات كفر لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]». «إعانة المستفيد» (٢/ ١٩٥).

وقال العلامة صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-: «تعظيم الأسماء والصفات من كمال التوحيد وجحد الأسماء والصفات منافٍ لأصل التوحيد، فالذي يجحد اسمًا سمىٰ الله به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ وثبت ذلك عنه، وتيقنه؛ فإنه يكون كافرًا بالله لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾». «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٤٣٥).

=

وذلك كأن يصف شخص بعض خلق الله ببعض الصفات الخاصة بالله تعالىٰ.

=

وخلاصة هذا الباب: أن الشرك في الأسماء والصفات يكون بالتسوية بين الله وخلقه في شيء من الأسماء والصفات، فيسميه بأسماء الله تعالىٰ الخاصة به، أو يصفه بصفات الله تعالىٰ، كما تفعل الممثلة الذين مثلوا الخالق بالمخلوق، أو العكس، كقول اليهود ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، وقول النصارىٰ: المسيح هو الله.

ويكون الشرك أيضًا بتعطيل وجحد أسماء الله تعالىٰ وصفاته، كما فعل فرعون، والجهمية، وغيرهم، فمن ادعىٰ علم الغيب أو أنه يحيي الموتىٰ، أو يخلق، أو أنه مستوٍ علىٰ العرش، أو أنه رفع عيسىٰ، أو أنزل المطر، وغير ذلك مما اختص الله به نفسه؛ فهو مشرك.

وانظر: «المفيد في مهمات التوحيد» (١٥٦-١٦٠)، «فتاوىٰ اللجنة» (١/ ٥١٦).

إلىٰ كم ينقسم الشرك في الأسماء والصفات؟

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «إنكار الأسماء والصفات كفر، لكنه كفر فيه تفصيل، قد يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، وقد يكون كفرًا أصغر لا يخرج من الملة، لكنه ضلال، وهذا بحسب حال النافي للأسماء والصفات، هل هو مقلد أم غير مقلد؟ هل هو متأول أم غير متأول؟». «إعانة المستفيد» (٢/ ١٩٥-١٩٦).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «الإنكار نوعان:

الأول: إنكار تكذيب؛ وهذا كفر بلا شك، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة مثل أن يقول: ليس لله يد، أو: إن الله لم يستوِ علىٰ عرشه، أو: ليس له عين فهو كافر بإجماع المسلمين؛ لأن تكذيب خبر الله ورسوله كفر مخرج عن الملة بالإجماع.

الثاني: إنكار تأويل، وهو ألا ينكرها، ولكن يتأولها إلىٰ معنىٰ يخالف ظاهرها، وهذا نوعان:

الأول: أن يكون للتأويل مسوغ في اللغة العربية، فهذا لا يوجب الكفر.

الثاني: ألا يكون له مسوغ في اللغة العربية، فهذا حكمه الكفر؛ لأنه في الحقيقة تكذيبًا مثل أن يقول: المراد بقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ تجري بأرضنا فهذا كفر...». «القول المفيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٢٩١).

- وقد جاءت الأدلة الكثيرة التي ترد علىٰ من أشرك بالتعطيل أو التمثيل في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، وسيأتي بسطه في لمعة الاعتقاد والواسطية والطحاوية.

وانظر: «عقيدة التوحيد» (٨٠-٨٣).

كعلم الغيب مثلًا، إلىٰ غير ذلك من صفات ربنا سبحانه الخاصة به.

٤- شرك أكبر[1]:

وهو أن يعتقد إنسانٌ أن غيرَ اللهِ يخلقُ أو يرزق أو يُحيي أو يميت أو يعلمُ الغيبَ، أو يتصرف في الكون، أو أن يصرف إنسانٌ نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، كالركوع والسجود والذبح والنذر والدعاء إلىٰ غير ذلك، وهو مخرج من الملة.

---

(١) من خلال الشرح للشرك في الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات تبين: أن الشرك الأكبر هو: الشرك في الربوبية والعبادة وجحد الأسماء والصفات أو تمثيلها.
وأن الشرك الأصغر هو: ما أطلق عليه الشرع لفظ الشرك ولا يبلغ درجة الشرك الأكبر، ويظهر ذلك عند الجمع بين الأدلة، وذكر أنواعه، وسيأتي مزيد تفصيل بعد هذا.
قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «الشرك نوعان أكبر وأصغر، فالأكبر: لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو أن يتخذ من دون الله ندًّا يحبه كحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، مع اعترافهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة، كما هو حال أكثر مشركي العالم...». «المدارج» (١/ ٣٤٨).
وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله...». «عقيدة التوحيد» (ص٩٥).
وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «الشرك الأكبر هو كل شرك أطلقه الشارع، وكان متضمنًا لخروج الإنسان عن دينه». «شرح الأصول الثلاثة» (ص٤٢).
وقال العلامة حافظ حكمي -رحمه الله تعالىٰ-:

والشرك نوعان فشرك أكبر ... به خلود النار إذ لا يغفر
وهو اتخاذ العبد غيرَ الله ... ندًّا به مسوِّيًا مضاهي

«المعارج» (٢/ ٤٧٥، ٤٨٣).
وقال علماء اللجنة الدائمة -غفر الله لهم-: «الشرك الأكبر أن يجعل لله ندًّا إما في أسمائه وصفاته، وإما في العبادة، وإما في أن يجعل لله ندًّا في التشريع...». «فتاوىٰ اللجنة» (١/ ٥١٦/ دار المعارف).

٥- شرك أصغر[1]:

---

(١) الشرك الأصغر هو كل شرك لا يصل إلىٰ درجة الشرك الأكبر وبينهما فروق:

١- الأكبر مخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة.

٢- الأكبر لا يغفره الله تعالىٰ وصاحبه مخلد في النار؛ والأصغر لا يخلد صاحبه في النار.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال؛ والأصغر يحبط العمل الذي خالطه فقط.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر لا يبيح ذلك.

وانظر: «عقيدة التوحيد» (ص٩٩).

وقد اختلف العلماء في حد الشرك الأصغر:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما الشرك الأصغر ف: كيسير الرياء، والتصنع للخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل علىٰ الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا...

وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده...». «المدارج» (١/ ٣٥٢)، وسيأتي ذكر هذه الألفاظ في أبواب.

وهذا مصيرٌ من ابن القيم إلىٰ التمثيل للشرك الأصغر لا جعل حدًّا له، وكذا في التيسير وفتح المجيد، وقرة عيون الموحدين.

- وكذلك صنع ابن رجب (ابن رجب وأثره في توضيح العقيدة ١/ ٣٩١-٣٩٢).

وسبق كلام الشيخ ابن باز في باب: (خطر الشرك).

- **وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-**: «الشرك الأصغر: هو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة». «الأصول الثلاثة» (ص٤٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما الشرك الأصغر: فهو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلىٰ الشرك الأكبر، كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة: كالحلف بغير الله، وكيسير الرياء، ونحو ذلك». «القول السديد» (ص٢٤).

- **وقال البريكان -حفظه الله تعالىٰ-**: «هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل، أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل هو الرياء، والشرك في أقوال اللسان: هو الألفاظ التي فيها معنىٰ التسوية بين الله وغيره كقول: ما شاء وشئت...». «المدخل لدراسات العقيدة» (١٢٦-١٢٧).

=

=

وقال علماء اللجنة الدائمة -غفر الله لهم-: «وأما الشرك الأصغر: فكل ما نهىٰ عنه الشرع مما هو ذريعة إلىٰ الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا: كالحلف بغير الله تعالىٰ، ومثل قول بعضهم: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت...». «الفتاوىٰ» (١/ ٥١٧)، «عقيدة التوحيد» (٩٦).

وزادَ الريسُ في كتابه «نواقض الإسلام» (ص١٠٨): «وما كان في معناه كظن الشيء سببًا وليس بسبب». اهـ

وقال العلامة صالح آل الشيخ -غفر الله له-: «الشرك الأصغر: ما حكم عليه الشارع بأنه شرك وليس فيه تنديد كامل يلحقه بالشرك الأكبر، وعبر عنه بعض العلماء بقوله: ما كان وسيلة إلىٰ الشرك الأكبر...».

وقال: «فإذا كان التنديد بجعل العبادة لغير الله صار التنديد شركًا أكبر، وإذا كان التنديد بجعل غير الله -جل وعلا- ندًّا لله في عمل ولم يبلغ ذلك الشرك الأكبر؛ فإنه يكون تنديدًا أصغر وهو المسمىٰ بالشرك الأصغر...». «التمهيد شرح كتاب التوحيد» (ص٩-١٠).

وخلاصة ما سبق: أن الشرك الأصغر: هو كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع لفظ الشرك، أو وصف الشرك، أو ما في معناه مما فيه تسوية غير الله تعالىٰ بالله، تسوية قاصرة لا تصل إلىٰ الشرك الأكبر.

ويُعرف كونها شركًا بنص الشرع، أو مناقضتها التوحيد في اللفظ أو العمل، ويُعلم كونها شركًا أصغرَ بالنظر في الأدلة والجمع بينها، فالحلف بغير الله تعالىٰ شرك أصغر، فقد حلف عمر ﷺ بأبيه فنهاه الرسول ﷺ ولم يحكم عليه بالشرك.

وهكذا الرجل الذي قال: ما شاء الله وشئت يا رسول الله. فغضب النبيُّ وقال: «**أجعلتني لله ندًّا، قل: ما شاء الله وحده**». ولم يذكر أنه كفر بذلك.

حكم الشرك الأصغر: أنه أكبر كبائر الذنوب -بعد الشرك الأكبر- وأنه مناقض لكمال التوحيد، منقص له، ومبطل ثواب العمل الذي خالطه...

واتفق العلماء علىٰ أنه غير مخرج من الملة. «اللجنة الدائمة» (١/ ٥١٨)، «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١٧٤-١٧٦)، «المفيد في مهمات التوحيد» (ص١٧٩).

حكم من وقع في الشرك الأصغر هل يغفر له إن مات قبل أن يتوب منه؟

اختلف العلماء علىٰ قولين:

=

وهو كثير مثل الحلف بغير الله من غير تعظيم، وقول: ما شاء الله وفلان، ومنه الرياء والسمعة، وهو غير مخرج من الملة، ولكن تجب التوبة منه، وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك الأكبر.

عن جندب بن عبد الله بن سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سمَّعَ، سمَّعَ اللهُ به، ومن يرائي، يرائي الله به**». رواه البخاري رقم (٦١٣٤)، ومسلم رقم (٢٩٨٧).

تنبيه: الرياء يكون من الشرك الأكبر إذا لم يعمل العبد العمل إلا من أجل الناس، ويكون من الشرك الأصغر إذا عمل العمل لله ولكن طرأ عليه الرياء.

راجع فتاوىٰ اللجنة الدائمة المجلد الأول.

=

الأول: لا يغفر، بل يعذب صاحبه بقدره ثم مآله إلىٰ الجنة، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، قالوا: وهذا يعم الأكبر والأصغر، وانتصر لهذا القول شيخ الإسلام وغيره. «الرد علىٰ البكري» (ص١٤٦)، «مجموع الرسائل» (٥/ ٤٧٤)، «الإلمام بشرح نواقض الإسلام» (ص١٠٩-١١٠).

وجمهور العلماء أن صاحبه تحت المشيئة؛ لأن الله تعالىٰ حكم علىٰ المشرك بالخلود في النار وبإجماع أن الأصغر لا يدخل في ذلك، فكذلك في الآية التي استدلوا بها، وعموم الأدلة التي تبين أن المسلم العاصي تحت المشيئة... وهذا القول هو الأقرب عملًا بجميع الأدلة ورجحه ابن القيم. «اللجنة الدائمة» (١/ ٥١٨)، «الشرك في القديم والحديث» (١/ ١٧٦).

وأنواع الشرك الأصغر ثلاثة:

١- قولية: كالحلف بغير الله تعالىٰ، وقول ما شاء الله وشئت، عملت كذا والباقي علىٰ الله وعليك...

٢- فعلية: لبس الحلقة والخيط كسبب لدفع البلاء، أو دفع العين، وهكذا لبس الحروز والتمائم، والذهاب إلىٰ المشعوذ.

٣- خفي: كالرياء اليسير، والسمعة، والعمل للدنيا، ونحو ذلك.

وبعض هذه الشركيات قد تعظم في قلب صاحبه حتىٰ تخرج من الإسلام كما سيكرر بيانه في بابه. «عقيدة التوحيد» (ص٩٦-٩٧)، «المفيد» (١٨٠-٢٠٩).

٦- شرك خفي[(١)]:

وهو أن يعمل الرجل لمكان الرجل، وهو الرياء أيضًا، وهو كما علمت غير مخرج من الملة ولكن تجب التوبة منه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الشرك الخفي أن يعمل الرجلُ لمكان الرجل**». رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وابن صاعد وابن عدي والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٢٩).

والشرك الخفي قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر بحسب نوع الشرك الذي وقع فيه الإنسان. انظر: مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن باز (١/ ٤٦-٤٧) جمع الشويعر.

وإن شئت فقل:

٧- شرك اعتقادي[(٢)]:

---

(١) **الشرك قسمان**: ظاهر علىٰ اللسان والجوارح من أقوال وأفعال: كالذبح لغير الله تعالىٰ، والاستغاثة بغيره.

وقسم خفي في القلوب: كالمحبة الشركية، والخوف الشركي، والنفاق، وغير ذلك.

وسيأتي ذكر هذه الأقسام في دروس مستقلة.

ومن خلال هذا التقسيم تعلم أن الشرك الخفي منه الشرك الأكبر، ومنه الشرك الأصغر.

«عقيدة التوحيد» (٩٦-٩٧)، «فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٤٦).

(٢) **الشرك الاعتقادي**: هو الشرك الأكبر المتعلق بالقلوب: كاعتقاد خالق غير الله تعالىٰ، أواعتقاد آلهة حقة غير الله تعالىٰ، أو اعتقاد جواز صرف العبادة لغير الله تعالىٰ، واعتقاد النفع والضر من دون الله تعالىٰ في مخلوق وما أشبه ذلك.

وقد بيَّن العلماء أن من صرف ذلك لغير الله تعالىٰ فقد أشرك.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وبالجملة فالقيام والركوع والسجود حق للواحد الأحد المعبود، خالق السموات والأرض، وما كان حقًّا خالصًا لله لم يكن لغيره نصيب... فالعبادة كلها لله وحده لا شريك له». «الفتاوىٰ» (٢٧/ ٩٣)، «الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١١٢٤-١١٣٠)، «المدارج» (١/ ٣٥٢).

=

وهو الشرك الأكبر المخرج من الملة -والعياذ بالله-، وهو أن يعتقد إنسان أن غير الله يخلق، أو يرزق أو يُحيي، أو يميت، أو يعلم الغيب، أو يتصرف في الكون، أو أن يصرف إنسان نوعًا من أنواع العبادة لغير الله، كالركوع، والسجود، والذبح، والنذر، والدعاء إلىٰ غير ذلك.

٨- شرك عملي[1]:

وهو كل عمل حكم عليه الشرع الإسلامي بالشرك، كالذبح لغير الله، والنذر لغير الله وغير ذلك، وهو أكبر وأصغر بحسب نوعه.

فالذبح لغير الله شرك أكبر وتعليق الحروز إن اعتقد فيها الضر والنفع من دون الله فهو أكبر، وإن اعتقدها سببًا فهو أصغر.

انظر: كتاب التوحيد للفوزان (ص١٢).

٩- شرك لفظي[2]:

=

ولعل وجه إدخالها في الشرك؛ الاعتقاد أنها متعلقة بالقلب، بمعنىٰ أن فيها: (التعظيم لغير الله تعالىٰ بأعمال العبادات الظاهرة علىٰ وجه الذل والخضوع والحب لغير الله...).

والشرك الاعتقادي يشمل: الشرك في علم الغيب، والشرك في التصرف والاختيار، والشرك في الدعاء والاستغاثة، والشرك في العبادة... انظر: «جهود علماء الحنفية» (ص٣٩٥/ ج١).

(١) **الشرك العملي**: ما تعلق بأعمال الجوارح كالذبح لغير الله تعالىٰ والسجود والصيام والحج لغير الله تعالىٰ، وهكذا التمسح بأتربة الموتىٰ مع اعتقاد نفعها، والسحر، وتعليق الحروز، والتمائم، وما في معناها وغير ذلك.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره، والطواف بغير بيته، وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود، وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها...». «الجواب الكافي» (ص١٥٤).

(٢) **الشرك اللفظي**: ما تعلق بالأقوال، ومنه ما هو أكبر: كدعاء غير الله تعالىٰ والاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ، وكالحلف بغير الله تعالىٰ مع تعظيمه كتعظيم الله تعالىٰ، وما أشبه ذلك؛ فإن لم يعظمه فشرك أصغر.

=

وهو كل لفظ حكم عليه الشرع الإسلامي بالشرك، كالحلف بغير الله وكقول بعض الناس: ما لي إلا الله وأنت، وتوكلت علىٰ الله وعليك، ولولا الله وفلان لكان كذا وكذا، إلىٰ غير ذلك من الألفاظ الشركية.

والشرك اللفظي قد يكون أكبر، وقد يكون أصغر بحسب نوعه.

١٠ - شرك التشريع والحاكمية[١]:

وهو أن ينبذ الإنسان الكتاب والسنة أو بعض أحكامهما ويأخذ بآراء الرجال وقوانين البشر.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ:٢١].

=

- والشرك الأصغر كما مثَّل المؤلف. (وانظر: كتاب بعض أنواع الشرك الأصغر للمعتق).
وقد سبق التمثيل والبيان قريبًا.
(وانظر: الجواب الكافي ص١٥٦).

(١) قد سبق شيء من الكلام علىٰ هذا عند شرح نواقض الإسلام، وأيضًا المؤلف سيذكر بابًا مستقلًّا بذلك وسنتوسع هنالك.
والشرك في التشريع علىٰ قسمين:
الأول: أن يُشرع الإنسان أحكامًا من عند نفسه ويقدمها علىٰ شرع الله تعالىٰ، أو يعتقد أفضليتها وإن لم يقدمها، أو يستورد القوانين والأعراف ونحوها ويترك أحكام الكتاب والسنة.
وهذا شرك كما في الأدلة التي ذكرها المؤلف؛ لأن التشريع من اختصاص الرب ﷻ.
الثاني: أن يتحاكم إلىٰ غير الكتاب والسنة أو يرىٰ جواز ذلك وهذا شرك؛ لأن التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة في كل شيء عبادة لله تعالىٰ، وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك.
والأول: شرك أكبر لأنه متعلق بالربوبية، والثاني: منها الأكبر ومنه الأصغر، كما سبق تفصيله في شرح النواقض.
وهو متعلق بالألوهية، والله المستعان.
وقوله: (الحاكمية)، انظر: للكلام علىٰ هذا اللفظ «إعانة المستفيد» (٢/ ١٨٨/ ط. العاصمة).

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠].

انظر: وجوب الحكم بما أنزل الله (ص ١٥٨) من هذا الكتاب.

١١- شرك المحبة[1]:

وهو أن يحب الإنسان غير الله كحبه لله أو أشد.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٦٥].

وانظر: أقسام المحبة (ص١١٤).

١٢- شرك الخوف والخشية:

وسيأتي الكلام عليه في أقسام الخوف -إن شاء الله-، فراجعه (ص ١١٠).

١٣- شرك القصد والإرادة[2]:

---

(١) المحبة عبادة وصرفها لغير الله تعالىٰ شرك كما سيأتي تفصيله في بابه.

(٢) قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما الشرك في الإرادات والنيات، فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله تعالىٰ، ونوىٰ شيئًا غير التقرب إليه
=

وهو أن يريد الإنسان بعمله غير الله، ويقصد به غير وجه الله، فهذا شرك القصد والإرادة.

=

وطلب الجزاء منه سبحانه فقد أشرك وإرادته.

والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته...». «الجواب الكافي» (ص١٥٧).

وهذا الشرك يشمل: الرياء والسمعة وحب الشهرة وإرادة الإنسان بعمله الدنيا؛ كالتعلم لنيل الدنيا، أو المنصب، أو المال، وكالجهاد لأجل المغنم والهجرة لأجل الزواج ونحو ذلك.

والميزان في ذلك قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**».

والفرق بين الرياء والسمعة وبين إرادة الدنيا بالعمل:

أن الرياء: طلب للمدح والثناء؛ وإرادة الدنيا: طلب للمال أو الجاه ونحو ذلك. «تيسير العزيز الحميد» (ص٢٧٣)، «الشرك الأصغر» للمعتق (ص٣١).

ما حكم عمل هذا الصنف؟ فيه مسائل:

الأولىٰ: أن يكون الرياء وإرادة الدنيا هو الأصل في فعل العمل، وليس لله فيه نصيب، فهذا باطل مردود بلا خلاف كعمل المنافقين وغيرهم، وهذا لا يصدر من مؤمن؛ أن يقوم بعبادة يقصد بها غير الله تعالىٰ في أمره كله، وهذا شرك أكبر.

الثانية: أن يعمل لله تعالىٰ ويشاركه الرياء... في أصل العبادة، ويستمر عليه فيها فعبادته مردودة باطلة كما في حديث أبي هريرة، وهكذا العمل للدنيا يأخذ نفس الحكم.

الثالثة: أن يكون الرياء طارئًا ثم يدفعه، فهذا هو الإخلاص، والجهاد لإخلاص العمل لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

الرابعة: أن يطرأ عليه الرياء أثناء العبادة ولا يدفعه، فإذا كانت العبادة متصلة كالصلاة فعبادته باطلة، وإن كانت تقبل التقسيم كأن يرائي في صلاة الضحىٰ ولا يرائي في صلاة الظهر، أو يتصدق بمائة ريال مع الرياء وبمائة من غير رياء، فكل عمل بحسب النية متىٰ صلحت النية صلح العمل، ومتىٰ فسدت أفسدت العمل.

وللعلماء في هذه المسألة مذاهب.

وانظر: «عقيدة ابن رجب» (١/ ٣٩٨-٤٠٣)، «إعانة المستفيد» (٢/ ١٢٠-١٢٣)، «المفيد» (ص١٨٠-١٨٨)، «الشرك الأصغر» للمعتق (ص١٥-٣٥)، وغيرها.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه**». رواه مسلم رقم (٢٩٨٥)[(٢)].

---

(١) **قال ابن القيم** -رحمه الله تعالىٰ-: «فهذا هو العمل المقبول الذي لا يقبل الله من الأعمال سواه، وهو أن يكون موافقًا لسنة رسول الله ﷺ مرادًا به وجه الله... والعلم هو الدليل علىٰ الإخلاص وهو الدليل علىٰ المتابعة...». «مفتاح دار السعادة» (ص٩٠)، «بدائع التفسير» (٣/ ١٢٩-١٣٠).

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، وهو الموافق للشرع من واجب ومستحب ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾؛ أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالىٰ، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا **ذلك فإنه خاسر في** دنياه وأخراه...». اهـ

وقال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-: «فإن اختل الشرط الأول -الإخلاص- صار **العمل حابطًا لما** دخله من الشرك.

وإن اختل الشرط الثاني -المتابعة- صار بدعًا، ومحدثات ومخالفات فهو مردود باطل لقوله ﷺ: «**من عمل عملًا أشرك** معي فيه غيري تركته وشركه»...». اهـ «إعانة المستفيد» (٢/ ١٢٦).

(٢) **قال العلامة ابن عثيمين** -رحمه الله تعالىٰ-: «(قال الله تعالىٰ) النبي ﷺ يرويه عن ربه **ويسمىٰ هذا النوع بالحديث القدسي.**

وقوله: (**أغنىٰ**)؛ **اسم تفضيل؛ يعني: إذا كان بعض الشركاء يستغني عن شركته مع غيره فالله أغنىٰ الشركاء عن المشاركة، فالله لا يقبل عملًا له فيه شريك أبدًا ولا يقبل إلا العمل الخالص له وحده.**

وقوله: (عملًا) **نكرة في سياق الشرط فتعم أي عمل من صلاة وصيام وحج وجهاد وغيرها.**

وقوله: (تركته وشركه)؛ **أي: لم أثبه علىٰ عمله الذي أشرك فيه، فالمراد (بشركه) عمله...».** **اهـ بتصرف «القول المفيد» (٢/ ٢٣١-٢٣٢).**

وقال العلامة صالح الفوزان: «قوله: (تركته وشركه) دليل علىٰ أن الشرك يحبط العمل سواء **كان أكبر أو أصغر**». «إعانة المستفيد» (٢/ ١٢٩).

١٤- شرك الطاعة[١]:

وهو أن يطيع العبد شخصًا في تحليل حرام أو تحريم حلال.

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١][٢].

---

(١) شرك الطاعة هو أن يتخذ العبد مطاعًا غير الله ﷻ، ويجعل له الطاعة المطلقة كطاعة الله تعالىٰ أو أعظم، ووجه كونه شركًا ما يلي:

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن الرب ﷻ هو الذي يطاع الطاعة المطلقة فلا يعصىٰ، بحيث تكون الطاعات كلها تبعًا لطاعته فإذا **اتخذ العبد العلماء والأمراء أو غيرهم** علىٰ هذا الوجه، و**جعل طاعتهم هي الأصل، وطاعة الله تعالىٰ ورسوله تبعًا لها، فقد اتخذهم** أربابًا من دون الله **يتألههم...**». **«القول السديد» (ص١٣١-١٣٢).**

وقال الشيخ سليمان **آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «لما كانت الطاعة من أنواع العبادة، بل** هي العبادة: فإنها طاعة **الله بامتثال ما أمر به علىٰ ألسنة رسله، نبه المصنف علىٰ اختصاص الخالق** -تبارك وتعالىٰ- بها **وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله،** وإلا فلا تجب طاعة **أحدٍ من الخلق استقلالًا». «التيسير» (٢/ ٩٤٤/ ط. دار الصميعي).**

وقال الشيخ صالح **الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم** الله أو تحريم ما أحل **الله شرك؛ فإن كان الذي أطاعهم يعلم أنهم خالفوا أمر الله في ذلك،** وتعمد طاعتهم، واستباح هذا؛ **فهذا شرك أكبر يخرج من الملة، وإن كان الذي أطاعهم يعتقد** أن هذا حرام ولكنه **أطاعهم لهوىٰ في نفسه مع اعتراف بالمعصية فهذا شرك أصغر...».** «إعانة المستفيد» **(٢/ ١٤٤-١٤٥).**

وخلاصة هذا: أن من **استحل طاعة المخلوق في معصية الخالق، أو اعتقد أنها أنفع له ونحو** ذلك؛ فهذا شرك أكبر.

ومن لم يستحل ذلك ولم يعتقد ما سبق ونحوه، **وإنما جره إلىٰ تقديم طاعة المخلوق علىٰ** طاعة الخالق الهوىٰ **والمصالح؛ فهذا شرك أصغر وفسق...**

(٢) **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من** دون الله حيث أطاعوهم **في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون علىٰ وجهين:**

أحدهما: أن يعلموا **أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم علىٰ التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم** الله

=

١٥- شرك الدعوة[1]:

قال تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:١٤][2].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

=

وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل؛ فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركًا -مشركًا: خبر كان- مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**».». «الفتاوىٰ» (٧/ ٧٠)، وانظر: «تفسير السعدي».

(١) **قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «الشرك الأكبر... و هو أربعة أنواع:

الأول: شرك الدعوة، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:٦٥]». «الدرر السنية» (٢/ ٦٩)، وانظر (٢/ ٨٣-٨٤).

(٢) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «أي: لله وحده ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ وهي عبادته وحده لا شريك له، وإخلاص دعاء العبادة، ودعاء المسألة له تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله. ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم﴾؛ أي: لمن يدعوها ويعبدها بشيء قليل ولا كثير، ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده، ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ فلا يصل إليه.

وكذلك الكفار يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤] لبطلان ما يدعون من دون الله...». اهـ بتصرف.

والمراد بهذا النوع الشرك في الدعاء، وسيأتي في باب مستقل.

فائدة: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٧) بتحقيق الفقي: «والشرك أنواع كثيرة لا يحصيها إلا الله، ولو ذهبنا نذكر أنواعه لاتسع الكلام أعظم اتساع، ولعل الله أن يساعد بوضع كتاب فيه، وفي أقسامه، وأسبابه، ومبادئه، ومضرته، وما يندفع به[1]».

وراجع كتاب جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (١/ ٣٩٥-٣٩٦).



(١) ثم لا نعلمه -رحمه الله تعالىٰ- ألفه ولا نعلم كتابًا في هذا الباب جامعًا وافيًا، وإن وُجِدت مؤلفات طيبة كثيرة، والله المستعان.

ملخص الشرك

ينقسم الشرك إلىٰ قسمين: **أكبر وأصغر**.

فالأكبر مخرج من الملة، والأصغر غير مخرج من الملة ولكنه أكبر من الكبائر.

فمن الشرك الأكبر: الذبح لغير الله، والنذر لغير الله، ودعاء غير الله، والسجود لغير الله، إلىٰ غير ذلك.

ومن الشرك الأصغر: الرياء والسمعة والحلف بغير الله من غير تعظيم، وقول: ما لي إلا الله وأنت، وواثق في الله وفيك إلىٰ غير ذلك.

تنبيه: الرياء يكون من الشرك الأكبر إذا لم يعمل العبد العمل إلا من أجل الناس، ويكون من الشرك الأصغر إذا عمل العمل لله ولكن طرأ عليه الرياء.

راجع فتاوىٰ اللجنة الدائمة، المجلد الأول.



ملخص الكفر[1]

---

(١) الكفر لغة: الستر والتغطية. «معجم مقاييس اللغة» (٥/ ١٩١)، (اللسان مادة: كفر)، «التكفير وضوابطه» للرحيلي (ص٥٥-٥٦).

شرعًا: قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن الكفر عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدًا أو كبرًا، أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد المكذب حسدًا مع استيقان صدق الرسل». «الفتاوىٰ» (١٢/ ٢٣٥)، «عقيدة التوحيد» (ص١٠٠).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «الكفر جحد ما علم أن الرسول ﷺ جاء به سواء كان من المسائل التي يسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ما جاء به الرسول ﷺ بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر في دِق الدين وجِله». «مختصر الصواعق» (ص٦٢٠).

وقال ابن حزم -رحمه الله تعالىٰ- في تعريف الكفر: «جحد الربوبية أو جحد نبوة نبي من الأنبياء أو جحد شيء مما أتىٰ به رسول الله ﷺ مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عَمَلُ شيء قام البرهان بأن عمله كفر». «الفِصَل» (٣/ ٢٥٣).

وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله تعالىٰ-: «الكافر علىٰ الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية أو النبوة أو الشريعة أو ثلاثتها». «المفردات» (ص٧١٥).

وقال السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «حد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده هو: جحد ما جاء به الرسول ﷺ أو جحد بعضه». «الإرشاد إلىٰ معرفة الأحكام» (ص٢٠٣-٢٠٤).

وقال ابن فارس -رحمه الله تعالىٰ-: «والكفر ضد الإيمان، سمي كفرًا؛ لأنه تغطية للحق...». «مقاييس اللغة» (٥/ ١٩١).

وقال حافظ الحكمي -رحمه الله تعالىٰ-: «الكفر أصله الجحود والعناد المستلزم للاستكبار والعناد والعصيان». «أعلام السنة المنشورة» (ص١٧٥).

وقال علماء اللجنة الدائمة -غفر الله لهم-: «الردة هي الكفر بعد الإسلام، وتكون بالقول والفعل، والاعتقاد، والشك؛ فمن أشرك بالله، أو جحد ربوبيته أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو بعض كتبه، أو رسله، أو سب الله أو رسوله، أو جحد شيئًا من المحرمات المجمع علىٰ تحريمها، أو استحله، أو استحل وجوب ركن من أركان الإسلام الخمسة، أو شك في =

الكفر قسمان:

١- أكبر.

٢- أصغر[1].

=

وجوب ذلك، أو في صدق محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء، أو شك في البعث، أو سجد لصنم، أو كوكب ونحوه، فقد كفر وارتد عن الإسلام...». «فتاوىٰ اللجنة» (٢/ ٣).

وقال السبكي -رحمه الله تعالىٰ-: «(الكفر): حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الألوهية أو الوحدانية أو الرسالة، أو قول أو فعل حكم الشرع بأنه كفر وإن لم يكن جحدًا». «فتاوىٰ السبكي» (٢/ ٥٨٦).

وعرفه آخر بقوله: جحد ما لا يتم الإسلام بدونه. «المفيد في مهمات التوحيد» (ص٢٤٧).

وقال البربهاري -رحمه الله تعالىٰ- في الكفر: «هو أن يجحد شيئًا مما أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص، أو ينكر شيئًا مما قال ﷻ، أو شيئًا مما تكلم به رسول الله ﷺ». «شرح السنة» (ص٤٦).

وتعريف شيخ الإسلام أجمعها، والله أعلم.

مسألة: في الفرق بين الشرك والكفر؟

ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنهما بمعنىٰ واحد... وذهب آخرون إلىٰ أن الكفر أعم؛ لأن المشرك معترف بوجود الله تعالىٰ وأشرك معه غيره، والكافر قد يعترف كأهل الكتاب، وقد يجحده كالمجوس والدهرية.

قال العلامة الرحيلي: «وهذا هو الراجح». اهـ

قال أبو عبد الله: «وهما مع ذلك إن اجتمعا في موضع افترقا في المعنىٰ، كما ذكرنا، وإن افترقا اجتمعا، بمعنىٰ: شمل أحدهما الآخر، فاجتماعهما كقوله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ [البينة:١]، فأهل الكتاب جحدوا نبوة محمد رسول الله ﷺ، والمشركون (هم العرب وغيرهم) الذين عبدوا آلهة من دون الله تعالىٰ.

ومثال افتراقهما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء:٤٨]، فلا يغفر للمشرك ولا للكافر وهذا بإجماع الأمة». وانظر: «التكفير وضوابطه» للرحيلي (٨١-٨٤)، «قواعد الألوهية» للريس (١٨-٢٠) وغيرها.

(١) اتفق أهل السنة علىٰ أن الكفر كفران: كفر أكبر وكفر أصغر.

=

=

وورد هذا التقسيم ضمن أدلة كثيرة **في الكتاب والسنة، وأقوال السلف**، من ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن**». قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان**». **متفق عليه**.

وبوب عليه البخاري بهذه الترجمة: **باب كفران العشير وكفر** دون كفر. «التكفير وضوابطه» للرحيلي (ص٩١-٩٣)، **وغيره، والذين لا يرون هذا التقسيم** هم الخوارج ومن وافقهم.

وقال ابن القيم -**رحمه الله تعالىٰ**-: «**والكفر نوعان: كفر أكبر**، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود **في النار**، **والأصغر موجب لاستحقاق** الوعيد دون الخلود...». «المدارج» (١/ ٣٤٤).

فالكفر الأكبر: قال **العلامة إبراهيم الرحيلي -حفظه الله تعالىٰ**-: «كفر أكبر مخرج من الملة وهو مضاد لأصل الإيمان وموجب للخلود في النار...

وكفر أصغر: وهو يضاد كمال الإيمان الواجب، ويضاد الشكر الذي هو العمل بالطاعة، وهو موجب لاستحقاق الوعيد ولا يخرج من الدين». «التكفير» للرحيلي (ص٩٣).

وقال العلامة عبد العزيز الريس -حفظه الله تعالىٰ-: «هو كل ما حكمت الشريعة عليه بأنه كفر مخرج من الملة كالتكذيب بالدين والإعراض التام **ونحو ذلك**.

والكفر الأصغر: كل ما أطلقت الشريعة عليه كفرًا ولم يصل إلىٰ حد الكفر الأكبر وفي معناه...». «قواعد في توحيد الألوهية» (ص٢١-٢٤).

وقال العلامة صالح الفوزان -غفر الله له-: «كفر أكبر يخرج من الملة وهو خمسة أقسام...

وكفر أصغر لا يخرج من الملة وهو الكفر العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرًا، وهي لا تصل إلىٰ حد الكفر الأكبر...». «عقيدة التوحيد» (ص١٠١).

وقال العلامة حافظ حكمي -رحمه الله تعالىٰ-: «الكفر كفران: كفر أكبر يخرج من الإيمان بالكلية وهو الكفر الاعتقادي المنافي لقول القلب وعمله أو لأحدهما؛وكفر أصغر ينافي كمال الإيمان و لا ينافي مطلقه، وهو الكفر العملي الذي لا يناقض قول القلب وعمله ولا يستلزم ذلك...

وهو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان علىٰ عامله...

ولم نعرف الكفر الأصغر بالعملي مطلقًا، بل بالعملي المحض الذي لم يستلزم الاعتقاد، ولم يناقض قول القلب ولا عمله». «أعلام السنة» (١٧٦-١٨٢).

=

وإن شئت فقل:

١- مخرج من الملة. ٢- غير مخرج من الملة[1].

فأما الكفر الأكبر وهو المخرج من الملة، فأقسامٌ هي:

١- كفر التكذيب. ٢- كفر الإلحاد.

٣- كفر الجحود. ٤- كفر الشرك.

٥- كفر الإنكار. ٦- كفر الشك.

٧- كفر الاستهزاء والسخرية. ٨- كفر الإعراض.

=

وعرف بعضهم الكفر الأكبر: جحد ما لا يتم الإسلام بدونه.

أو جحد ما لا يتم كمال الإسلام بدونه (المفيد ص٢٤٧) وهو تعريف قاصر غير منضبط.

وقال ابن الأثير -رحمه الله تعالىٰ-: «والكفر صنفان: أحدهما: الكفر بأصل الإيمان وهو ضده.

والآخر: الكفر بفرع من فروع الإسلام فلا يخرج من أصل الإيمان». «النهاية» (٤/ ١٨٦)، وهذا غير منضبط أيضًا.

الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

١- الكفر الأكبر مخرج من الملة ويحبط الأعمال؛ والأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، ولكنه ينقصه ويعرض صاحبه للوعيد.

٢- الكفر الأكبر يخلد صاحبه في النار؛ والأصغر لا يخلد فيها وصاحبه تحت المشيئة.

٣- الكفر الأكبر يبيح الدم والمال، والأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤- الكفر الأكبر يوجب البراءة الكاملة من صاحبه فلا يجوز لمؤمن موالاته ونحو ذلك؛ والأصغر صاحبه مسلم يحب ويبغض علىٰ قدر ما عنده من خير وشر.

وعند التأمل تجد أن هذه هي عين الفروق بين الشرك الأكبر، والشرك الأصغر.

وانظر: «عقيدة التوحيد» (ص١٠٣-١٠٤)، «قواعد في الألوهية» (ص٢٤)، «المدخل لدراسة العقيدة» للبريكان (ص١٢٥، ١٥٤).

(١) انظر: كتاب الرحيلي «ضوابط التكفير» (ص٩٣)، و«المفيد» (ص٩٣)، و«المدارج» (١/ ٣٤٤) وغيرها.

٩- كفر الإباء والاستكبار. ١٠- كفر النفاق.

١١- كفر العناد. ١٢- كفر الزندقة.

انظر «شرح الطحاوية» (ص٣٤٢).

١٣- كفر الموالاة لأعداء الإسلام.

١٤- كفر الردة.

١٥- كفر المنجمين والسحرة. انظر «مدارج السالكين». (١/ ٣٣٧).

١٦- كفر من يصدق المنجمين والكهان. انظر فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ٤١٢)، طبع إدارة البحوث[1].

---

(١) اختلف العلماء في تعداد أنواع الكفر، فقيل: أربعة، وقيل: خمسة، وقيل: تسعة، وقيل أكثر من ذلك...

والذي سار عليه ابن القيم وابن عبد الوهاب، والفوزان وغيرهم أنها خمسة، وهي: كفر التكذيب والإنكار، وكفر استكبار وإباء، وكفر شك، وكفر إعراض، وكفر نفاق.

وزاد بعضهم: كفر جحود.

وعلىٰ هذا (فكفر الجهل، والعناد، والإلحاد، والاستهزاء، وكفر الشرك، والزندقة، والموالاة، والسحرة، والتصديق للكهان...) ترجع إلىٰ ما سبق. وسنعرفها كلها مع الشرح - إن شاء الله تعالىٰ -:

١- **كفر التكذيب:**

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «هو اعتقاد كذب الرسل...». اهـ

فالتكذيب هنا مرجعه إلىٰ الجهل (والقلب) وعدم معرفة صدق الرسل عليهم السلام، وهذا قليل في الكفار؛ فإن الله تعالىٰ قد أيد رسله بالبراهين الدالة علىٰ صدقهم.

ولو كذب بعد معرفته صدق الرسل؛ فإنه كفر تكذيب واستكبار وعناد (بالقلب واللسان).

وقال **شيخ الإسلام** -رحمه الله تعالىٰ-: «الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به». اهـ.

سواء كذبه في رسالته جملة أو في بعض ما جاء به فكله كفر. «درء التعارض» (١/ ٢٤٢)، «المدارج» (١/ ٣٤٦)، «التعريفات الاعتقادية» (ص٢٧٧)، (الرحيلي ص٩٧).

والدليل علىٰ ما سبق: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِي
=

=

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

٢- **كفر الإلحاد**: الإلحاد لغة الميل، ومنه قيل: لَحْد؛ لأنه مائل في القبر.

فكفر الإلحاد: هو الميل عن الدين الحق إلىٰ الأديان الباطلة، وقد يراد به: الميل عن الدين مطلقًا وإنكار الخالق سبحانه، كالدهرية والشيوعية وفرعون والنمرود ونحوهم -وهذا هو مراد المؤلف-، وهو راجع إلىٰ كفر الجحود والتكذيب.

فإن أنكر بلسانه مع معرفة قلبه كفرعون فهو كفر الجحود، وإن جهل بقلبه وجحد بلسانه فهو كفر التكذيب.

والدليل علىٰ كفر الإلحاد قوله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾، إلىٰ قوله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وقال تعالىٰ عن فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل:١٤]، وقال تعالىٰ عن الدهرية: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾، إلىٰ قوله: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية:٢٤-٣٠]. الآيات «التكفير وضوابطه» (ص٩٩)، وانظر: كفر الجحود.

٣- **كفر الجحود:**

قال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: «هو أن يعرف الله بقلبه ولا يعترف بلسانه». «التفسير» (١/ ٤٨).

وأجمع من هذا: «أن يعرف الحق بقلبه ويجحده بلسانه وجوارحه». «المفيد» (ص٢٥١).

قال الله تعالىٰ عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل:١٤].

وقال تعالىٰ عن اليهود: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩].

فإن كان الجحود كجحود فرعون فهو جحود مطلق، وهو كفر الإلحاد، وإن كان كجحود اليهود لرسالة نبينا ﷺ فهو جحود مقيد، وهو كفر الاستكبار، ويدخل في هذا من جحد شيئًا مما جاء في الكتاب والسنة بعد معرفته؛ فهو كفر كمن يجحد تحريم الخمر.

وانظر: «التعريفات الاعتقادية» (ص٢٧٨)، «التكفير وضوابطه» (ص٩٨-٩٩).

٤- **كفر الشرك**: أن يجعل لله ندًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وقد سبق بيانه في باب الشرك، قال الله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ

=

=

ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

٥- كفر الإنكار:

قال السمعاني -رحمه الله تعالىٰ-: «فكفر الإنكار هو ألا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به». «تفسير السمعاني» (١/ ٤٦)، ونحوه عن البغوي (١/ ٤٨)، وزاد (وكفر به).

وقال الراغب -رحمه الله تعالىٰ-: «وسبب الإنكار باللسان هو الإنكار بالقلب». «المفردات» (٨٢٣)، وهو كفر التكذيب كما سبق أو بمعناه.

وسماه ابن عابدين -رحمه الله تعالىٰ-: (كفر جهل)، وقال: «كفر جهل وهو ألا يعرف الله ولا رسوله، ولا يعترف به». «منح ذي الجلال في إصلاح علم الحال» (ص١٤٦)، «التعريفات» (ص٢٧٧)، «التكفير وضوابطه» (ص٩٦-٩٧)؛ فإن أنكر بلسانه مع معرفة قلبه فكفر الجحود.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ [الجاثية:٢٤].

٦- كفر الشك:

قال الليث -رحمه الله تعالىٰ-: «الشك ضد اليقين». (نقله الأزهري تهذيب اللغة ٢/ ١٩١٤).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه -أي: الرسول-، ولا يكذبه، بل يشك في أمره...». «المدارج» (ص٣٤٧/ ج١).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أهل الحديث وجمهور الفقهاء... وغيرهم متفقون علىٰ أن من لم يؤمن بعد قيام الحجة عليه بالرسالة فهو كافر سواء كان مكذبًا أو مرتابًا أو معرضًا أو مستكبرًا أو مترددًا، أو غير ذلك». «الفتاوىٰ» (٢٠/ ٨٦-٨٧).

وقال العلامة الرحيلي -غفر الله له-: «وكفر الشك يكون بالشك في شيء مما يجب الإيمان به، وإن لم يصحب ذلك الشك في أصل الرسالة؛ ولذا حكم العلماء بكفر من شك في شيء من أحكام الكتاب والسنة وأخبارهما...». «التكفير» (ص١٠٤).

والدليل علىٰ كفر الشك: قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف:٣٥-٣٧].

فسماه كافرًا لشكه، والأدلة كثيرة.

=

=

وانظر: «الدرر السنية» (٢/ ٧١)، «عقيدة التوحيد» (ص١٠١)، «التعريفات» (ص٢٧٨).

٧- **كفر الاستهزاء والسخرية**: وهو داخل في كفر النفاق وكفر الردة، وقد سبق في نواقض الإسلام مفصلًا.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وانظر: «التعريفات الاعتقادية» (ص٣٦-٣٧)، وشروح كتاب التوحيد (باب: من هزل بشيء فيه ذكر الله).

٨- **كفر الإعراض**:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «الكفر البسيط وهو الإعراض عما جاء به الرسول، وترك الإيمان به، وإن لم يعتقد تكذيبه...». «الفتاوىٰ» (١٠/ ٧٦٦).

وقال: «والكفر أعم من التكذيب، فكل من كذب الرسول كافر وليس كل كافر مكذبًا، بل من يعلم صدقه ويقر به وهو مع ذلك يبغضه أو يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته». «التسعينية» (ص١٦٦).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه، ولا يعاديه، ولا يصغي إلىٰ ما جاء به ألبتة». «المدارج» (١/ ٣٤٧).

وقال في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٩٤): «وكفر إعراض محض لا ينظر فيما جاء به الرسول ولا يحبه ولا يبغضه...». اهـ المراد.

وانظر: «الفوائد» (ص١٥٦)، و«التعريفات» (ص٢٧٦)، و«التكفير وضوابطه» (ص١٠٣).

وقد سبق في باب: نواقض الإسلام الكلام علىٰ الإعراض.

والدليل علىٰ كفر الإعراض قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

«الدرر السنية» (٢/ ٧١)، «عقيدة التوحيد» (ص٦٠، ١٠١).

٩- **كفر الإباء والاستكبار**:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف

=

=

صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباءً واستكبارًا، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]». «المدارج» (١/ ٣٤٦).

وكفر غالب اليهود والمشركين من هذا النوع، وهو كفر أبي طالب حيث عرف الحق ولم يتبعه كبرًا.

وهو كفر العناد كما سيأتي وأشبه بكفر الجحود.

والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة:٨٩]، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]. والأدلة كثيرة.

وقد يكون مع هذا الكفر عداوة وهو الغالب، وقد لا تكو ن معه عداوة كأبي طالب.

١٠- كفر النفاق:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «فهو أن يظهر بلسانه الإيمان وينطوي بقلبه على التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر، وسيأتي بيان أقسامه -إن شاء الله تعالى-». «المدارج» (١/ ٣٤٧).

وقال البغوي -رحمه الله تعالى-: «وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب». «التفسير» (١/ ٤٨).

وانظر: «التكفير وضوابطه» (ص١٠١)، و«التعريفات» (ص٢٨٠-٢٨١)، «تفسير السمعاني» (١/ ٤٦).

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

وسيعاد الكلام عليه في بابه بتوسع.

١١- كفر العناد:

قال أبو المظفر السمعاني -رحمه الله تعالى-: «وكفر العناد هو أن يعرف الله تعالى بقلبه ويعترف بلسانه، ولكن لا يتدين به، ولا يتخذه دينًا ككفر أبي طالب، فإنه عرف الله ورسوله

=

=

بقلبه وأقر بلسانه». اهـ؛ يعني: ولم يؤمن. «تفسير السمعاني» (١/ ٤٦)، ونحوه عن البغوي (١/ ٦٤).

وذكر ابن الأثير نحوه وزاد: «ولا يَدين به حسدًا وبغيًا ككفر أبي جهل وأضرابه». «النهاية» (ص٨٠٦).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والأصل الثاني أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة، وعدم إرادتها، وعدم العمل بها وبموجبها.

والثاني: العناد لها بعد قيامها، وترك إرادتها وموجبها.

فالأول كفر إعراض، والثاني كفر عناد». «طريق الهجرتين» (٤١٤)، «التعريفات» (ص٢٧٩)، «التكفير وضوابطه» (٩٩-١٠٠)، وهو بمعنىٰ كفر الاستكبار والإباء.

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر:١٦-١٧]، الآيات إلىٰ قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، نزلت في الوليد لما عرف الحق ثم تكبر عن قبوله حمية لقومه.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق:٢٤-٢٦]، ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود:٥٩].

١٢- كفر الزندقة:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «فلفظ الزنديق لا يوجد في كلام النبي ﷺ، كما لا يوجد في القرآن، وهو لفظ أعجمي، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق...

والمراد به عندهم: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، وإن كان مع ذلك يصلي ويصوم... وما في القرآن والسنة من ذكر المنافقين يتناول مثل هذا بإجماع المسلمين». «بغية المرتاد» (ص٣٣٨).

وقال: «ومن الناس من يقول الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمىٰ الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة، ونقلة مقالات الناس...». «الفتاوىٰ» (٧/ ٤٧١، ٤٧٢).

وقال ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا لا يلزم منه اتحاد الزنديق والمنافق، بل كل زنديق منافق من غير عكس». «الفتح» (١٢/ ٢٨٣)، «التعريفات» (ص١٩٢-١٩٣)، وانظر: «أيسر الشروح» (ص١٠٨).

فالزنديق غالبًا من ارتد بعد إسلامه، والمنافق أعم من ذلك.

=

=

١٣- كفر الموالاة لأعداء الإسلام: تقدم في نواقض الإسلام (مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين).

والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

وانظر: «عقيدة التوحيد» (ص٦٠)، وراجع شرح النواقض.

١٤- كفر الردة: الردة لغة الرجوع، واصطلاحًا: الكفر بعد الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وتكون بالقول والفعل والاعتقاد والشك كما تقدم في نواقض الإسلام.

وانظر: «التعريفات» (ص١٧٩)، (المجلد العاشر من الدرر السنية)، «عقيدة التوحيد» (ص ١١٥-١١٧).

١٥- كفر المنجمين والسحرة: سبق أن من نواقض الإسلام السحر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة:١٠٢].

فالساحر لا يصل إلىٰ تعلم السحر حتىٰ يكفر ويرتكب الشرك والإلحاد ويستحل المحرمات كما سيأتي في بابه.

والمنجم: وهو الذي يدعي علم الغيب عن طريق النظر في النجوم وهو كافر، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل:٦٥]، وأدلة أخرىٰ ستأتي في بابه مفصلًا.

١٦- كفر من يصدق المنجمين والكهان: من صدقهم بأنهم يعلمون الغيب فقد كفر؛ لأنه تكذيب بالقرآن وشرك في الأسماء والصفات، وسيأتي في باب مستقل -إن شاء الله تعالىٰ-، وإن لم يعتقد ذلك فهو كفر أصغر.

فصل:

والكفر يكون بالاعتقاد، كمن يعتقد خالقًا غير الله تعالىٰ أو يعتقد تحليل حرام أو تحريم حلال أو غير ذلك من العقائد الكفرية، ويكون الكفر بالقول كسب الله ورسوله، ويكون بالفعل كالسجود للصنم، والذبح لغير الله تعالىٰ تقربًا، ويكون بالشك كما سبق في كفر الشك.

وانظر: المسألة بتوسع في كتاب «الاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول والفعل والاعتقاد»، فقد ذكر أقوالًا كثيرة ومراجع كافية.

وانظر: «عقيدة التوحيد» (١١٦-١١٧).

وأما الكفر الأصغر وهو غير مخرج من الملة فأقسام منها:

١- كفر النعمة. ٢- كفر الأخوة.

٣- كفر العشرة. ٤- كفر الطعن في الأنساب.

٥- كفر النياحة على الميت. ٦- كفر الرغبة عن الأب[1].

---

(١) الكفر الأصغر كما سبق هو ما ورد النص بتسميته كفرًا ولم يصل إلى درجة الكفر الأكبر.

وقد توسع ابن القيم -رحمه الله تعالى- فقال: «والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر؛ فإنها ضد الشكر...». (١/ ٣٤٦) من مدارج السالكين.

وعندي أن الكفر الأصغر شرعًا لا يقال إلا فيما ورد فيه النص أو ما في معناه، والله أعلم.

وأقسامه كثيرة نشرح ما ذكره المؤلف، وهذا الكفر قد يصل إلى الكفر الأكبر إذا استحله:

١- كفر النعمة: وهو جحد إنعام الله تعالى وآلائه، أو ترك شكر المنعم وترك القيام بالحقوق.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «وهو الكفر عبارة عما يقابل به المنعم مِنْ جَحْدٍ وقُبْحِ فِعْلٍ». «البدائع» (٢/ ٨٤).

وقال ابن فارس -رحمه الله تعالى-: «الكفران جحود النعم». «مجمل اللغة» (٢/ ٧٨٨).

وقال القاضي عياض -رحمه الله تعالى-: «كما أن لفظ الكفر يطلق على معانٍ منها: جحد الحقوق وسترها». «الإكمال» (١/ ٤١٨).

وقال المناوي -رحمه الله تعالى-: «الكفران ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها». وانظر: «التعريفات» (ص٢٧٩-٢٨٠).

والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١١٢] الآية. «عقيدة التوحيد» (ص١٠٢).

٢- كفر الأخوة: جحد الأخوة وترك القيام بحقوقها، وتكون بالقول والفعل.

كما في الصحيحين (خ٦١٠٤) (م٦٠) أن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**». واللفظ لمسلم.

وفي الصحيحين (خ٤٨) (م٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**».

=

الكفار قسمان:

١- كفار أصليون[1].

=

قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود». (١/ ٢/ ٤٧/ ط. دار الكتب العلمية).

كفر العشير: العشير هو المعاشر مطلقًا، والمراد به في الحديث الآتي (تكفرن العشير)؛ أي: الزوج قال ﷺ: **«يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار... تكفرن العشير وتكثرن اللعن»**. (خ٣٠٤) (م٨٠) عن أبي سعيد ﷺ.

قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «وفيه إطلاق الكفر علىٰ غير الكفر بالله تعالىٰ ككفر العشير والإحسان والنعمة». (١/ ٢/ ٥٨).

والمراد هنا: جحد إحسان الزوج وسوء عشرته.

٤- كفر الطعن في الأنساب: وذلك يكون بالطعن في ثبوت نسبهم إلىٰ آبائهم، وهو القذف ويكون بالتنقص لأنسابهم واحتقارها وكلاهما كفر؛ لأنها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، ومتضمن لكفر الأخوة الدينية.

ودليله حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت»**. رواه مسلم (٦٧).

٥- كفر النياحة علىٰ الميت: كما في الحديث السابق وسمي كفرًا لأنه من أعمال الكفار، وفيه جحود الأمر بالصبر وثواب الصابرين... (انظر: شرح مسلم للنووي والقاضي).

٦- كفر الرغبة عن الأب: وهو كفر النعمة والإحسان وجحد حق أبيه ولم يقم بشكره.

ودليله قوله ﷺ: **«ليس من رجل ادعىٰ لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر»**. رواه مسلم (٦١).

ومما ورد في الأدلة تسميته كفرًا وهو أصغر إذا لم يستحله أيضًا: ترك الصلاة عند الجمهور، وإباقة العبد، ورمي المسلم بالكفر، قول الرجل: مطرنا بنوء كذا، والحلف بغير الله، وغير ذلك.

[1] الكفار الأصليون هم الذين لم يدخلوا دين الإسلام، ولم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، وهم ثلاثة أقسام:

١- أهل الكتاب اليهود والنصارىٰ.

=

٢- كفار مرتدون.

تقسيم آخر للكفار[1]:

الكفار قسمان أيضًا:

١- كفار دعاة إلىٰ الكفر.

٢- كفار مقلدون[2].

فائدة: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار.

والأصغر: موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود».

انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٦٤).



=

٢- المشركون عبدة الأوثان، والمجوس، وعباد الشمس، ونحوها.

٣- اللادينوت؛ كالدهرية والفلاسفة والشيوعية ونحوهم.

انظر: «روضة الطالبين» للنووي (٧/ ١٢١)، «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٤٤)، «التكفير وضوابطه» (ص١١١-١١٣)، وغيرها.

(١) المرتدون هم من رجع من الإسلام إلىٰ الكفر كما سبق غير مرة.

(٢) وكلهم كفار خالدون في النار إن ماتوا علىٰ الكفر، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧-٤٨] الآيات، والأدلة كثيرة في هذا.

خطر الاستهزاء بالكتاب والسنة أو من دعا إليهما وخطر مخالفتهما[(١)]

قال ربنا -عز شأنه-: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣][(٢)].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ

---

(١) سبق في نواقض الإسلام: «من استهزأ بالله أو الرسول ﷺ، أو القرآن أو الدين، أو الملائكة، أو العلماء من أجل علمهم... فهو كافر». وسبق شرحه. وشرح الآيات من التوبة والمطففين.

(٢) قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾؛ أي: يذهبون إلىٰ بعض شئونهم عن أمر الله ورسوله، فكيف بمن لم يذهب إلىٰ شأن من شئونه وإنما ترك أمر الله من دون شغل له؟! ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾؛ أي: شرك وشر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾». اهـ

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٧﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١١١][(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤][(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر:٩٥][(٣)].

---

(١) الشاهد من الآيات ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾، ففيها التحذير من مخالفة الكتاب والسنة، وقوله تعالىٰ: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ الآيات.

بيان عاقبة الاستهزاء بالصالحين، فقد كان هؤلاء المكذبون يدعون إلىٰ الإيمان بالله ورسله وآياته فيكذبون ويضيفون إلىٰ ذلك السخرية والاستخفاف والاستهزاء من الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ من الرسل وأتباعهم، وذلك منهم غاية في الكفر والإجرام.

(٢) **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-:** «تضمنت هذه الآية أمورًا:

أحدها: أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له...

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، قال مجاهد: يعني للحق، وقال قتادة: للقرآن، وقال السدي:هو الإسلام، وقال عروة: للجهاد...

وهذه كلها عبارات عن حقيقة واحدة وهي: القيام بما جاء به الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قريب منه يعلم هل استجاب له قلبه أو أضمر خلافه، وقيل: إن الإبطاء عن الاستجابة سبب لأن يحول الله بينكم وبين قلوبكم فلا يمكنكم الله بعد ذلك من الاستجابة عقوبة لكم كقوله تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠]...». «بدائع الفوائد» (٢/ ٣٣١-٣٣٤) بتصرف.

(٣) **قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-:** «﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك وبما جئت به، وهذا وعد من الله لرسوله ألا يضره المستهزئون، وأن يكفيه الله إياهم بما شاء من أنواع العقوبة، وقد فعل تعالىٰ؛ فإنه ما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قتلة...». اهـ

الأحاديث:

١- عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك، فلما جاء وادي القرىٰ، إذا امرأة في حديقة لها، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**اخرصوا**».

وخرص النبي ﷺ عشرة أوسق، فقال لها: «**أحصي ما يخرج منها**».

فلما أتينا تبوك قال: «**أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقله**».

فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبلِ طيء... رواه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٣٩٢).

٢- عن سلمة بن الأكوع، أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «**كُلْ بيمينك**»، قال: لا أستطيع، قال: «**لا استطعت**». ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلىٰ فيه. رواه مسلم (٢٠٢١).

٣- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل النبي ﷺ علىٰ الرَّجَّالة يوم أحد -وكانوا خمسين رجلًا- عبد الله بن جبير فقال: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتىٰ أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هَزمنا القوم وأوطأناهم، فلا تبرحوا حتىٰ أرسل إليكم**».

فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خلاخلهن وأسواقهن رافعات ثيابهن.

فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمةَ أَيْ قَومُ الغنيمةَ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟

قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبقَ مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلًا، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمدٌ؟ ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلىٰ أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك.

قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال،إنكما ستجدون في القوم مُثلة، لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: اعل هبل، اعل هبل، قال النبي ﷺ: «**ألا تجيبونه؟**».

قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلىٰ وأجل**».

قال: إن لنا العُزىٰ ولا عُزىٰ لكم، فقال النبي ﷺ: «**ألا تجيبونه؟**». قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولىٰ لكم**». رواه البخاري رقم (٢٨٧٤)[١].

---

(١) اشتملت هذه الأحاديث علىٰ وجوب طاعة الرسول ﷺ وعقوبة مخالفته وشرحها كما يلي:

أما حديث أبي حميد ﷺ، وقصة الريح تفرد بها مسلم (الفضائل/ ١١).

قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: (اخرصوا)؛ أي: احرزوا كم يجيء من تمرها، وقوله: (ستهب عليكم ريح...) هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من أخباره ﷺ بالمغيب، وفيه ما كان عليه ﷺ من الشفقة علىٰ أمته والرحمة لهم، وتحذيرهم مما يضرهم في دين أو دنيا...». اهـ بتصرف.

(طيئ) قبيلة مشهورة أصلها من اليمن، والجبل المذكور يقع في الشام -في سوريا حاليًا- فالمسافة بين تبوك والجبل كبيرة جدًّا مئات الكيلومترات.

وهذا الحديث في بيان خطر مخالفة الرسول ﷺ، وأن المخالفة مؤدية إلىٰ عقوبة عاجلة أو آجلة.

وأما حديث سلمة ﷺ ففيه وجوب الأكل باليمين، وأن مخالفة السنة في أمر عظيم أو يسير هلاك وعذاب، وهذا رد علىٰ من يُهّون من شأن السنن، ويسميها قشورًا أو فروعًا، أو أمورًا سطحية، أو هامشية، ونحو ذلك، وتحذير للذين يأكلون بشمائلهم وإذا نُصِحوا لم يقبلوا: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

وأما حديث البراء ﷺ في شأن غزوة أُحد ففيه موعظة بليغة وتحذير عظيم من مخالفة
=

القصص:

١ - قصة الاستهزاء بالسواك. كما في البداية والنهاية لابن كثير حوادث سنة ٦٦٥.

إذ قال:

وحكىٰ ابن خَلِّكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليوناني قال: بلغنا أن رجلًا يدعىٰ أبا سلامة من ناحية بُصرىٰ، كان فيه مجون واستهتار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج -يعني: دبره-، فأخذ سواكًا فوضعه في مخرجه ثم أخرجه.

قال: فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج، قال: فوضع ولدًا علىٰ صفة الجرذان له أربع قوائم، ورأسه كرأس السمكة، وله أربعة أنياب بارزة، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر كدبر الأرنب.

=

الكتاب والسنة.

وقال شيخنا مقبل -رحمه الله تعالىٰ-: «فيه دليل علىٰ أن المعصية من أسباب الهزيمة، ولعل في هذا عبرة لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة التي ترتكب بعض المعاصي... من أجل مصلحة الدعوة...». «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٥٥/ بتحقيق الشيخ) من الحاشية.

وقد توسع المفسرون في تفسير آل عمران في الكلام علىٰ هذه الوقعة عند قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢] الآيات.

وقوله: (سجال) تارة ينتصر وتارة يغلب، وقوله: (اعل هبل) اظهر وارتفع، وهبل: صنم لقريش.

(الله أعلىٰ وأجل)، كقوله تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

وقوله: (العزىٰ) صنم كان يُعبد في الجاهلية.

وقوله: (الله مولانا ولا مولىٰ لكم)، المولىٰ: النصير والمعين والمؤيد، تولىٰ المؤمنين برحمته وتولىٰ جزاءهم ونصرهم، والكفار لا مولىٰ لهم يهديهم وينصرهم، بل أولياؤهم الطاغوت لا تنفعهم.

ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث، وكان يقول: هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأىٰ ذلك الحيوان حيًّا، ومنهم من رآه بعد موته.

٢- قصة الذي حوَّل الله رأسه رأس حمار كما في القول المبين[1] في أخطاء المصلين (ص٢٥٢).

وهي كما يلي:

«وقال ابن حجر عن بعض المحدثين:

إنه رحل إلىٰ دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجابًا، ولم يرَ وجهه، فلما طالت ملازمته له، ورأىٰ حرصه علىٰ الحديث كشف له الستر، فرأىٰ وجهه: وجه حمار، فقال له: احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإني لما مر بي في الحديث استبعدت وقوعه، فسبقت الإمام، فصار وجهي كما ترىٰ».

قلت: والآيات والأحاديث والقصص في هذا الباب كثيرة.



---

(١) ثم إن الشيخ مشهورًا ذكر هذه القصة في كتابه «قصص لا تثبت» برقم (٧٨) جزء (٨)، وأنكرها وبيَّن عدم صحتها من عدة وجوه، وابن حجر هو الهيتمي، والقصة في كتابه «الإجازة في علم الحديث»، وهي قصة غريبة شبه مختلقة.

البراءة من الشرك وأهله[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٩][2].

(١) سبق أن من شروط (لا إله إلا الله) البراءةَ من الطاغوت والكفرَ به، وكذلك في تعريف الإسلام، وفيه: والبراءة من الشرك، وأهله فعلمنا أن البراءة من الشرك وأهله أصل من أصول الدين العظيمة.

والبراء لغة: خلوص الشيء من غيره، وتنزهه وتباعده.

قال شيخ الإسلام: «وأصل البراءة البغض وأصل الولاية الحب». اهـ (١٠/ ٤٦٥).

وشرعًا: قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل الموالاة هي المحبة كما أن أصل المعاداة البغض؛ فإن التحاب يوجب التقارب والاتفاق، والتباغض يوجب التباعد والاختلاف». «قاعدة المحبة» (ص١٩٨)، «حقيقة الولاء والبراء» (ص٤٣)، ط. مكتبة الإمام الذهبي.

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة والجهاد والهجرة ونحو ذلك». «الدرر السنية» (٢/ ٣٢٥).

فالبراء من الشرك وأهله يشمل: بغضهم ومعاداتهم، والتغليظ في ذلك وتكفير من فعله -بشروطه- والتحذير من الشرك وأهله، والدعوة إلىٰ البراءة منهم. «حقيقة الولاء والبراء» (٤٤-٤٥).

(٢) قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أي: منفرد لا يستحق العبودية والإلهية سواه كما أنه المنفرد بالخلق والتدبير.

﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به من الأوثان والأنداد وكل ما أشرك به مع الله فهذه حقيقة التوحيد: إثبات الإلهية لله، ونفيها عما عداه». اهـ، وهذا هو معنىٰ لا إله إلا الله.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا الحب والبغض تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وهو إثبات تأله القلب لله ومحبته ونفي تألهه لغيره وكراهته، فلا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب إليه ويخافه ويرجوه حتىٰ يترك عبادة غيره والتوكل عليه، والإنابة إليه، وخوفه، ورجاءه ويبغض ذلك». اهـ «شفاء العليل» (١/ ١٧٠)، «حقيقة الولاء والبراء» (ص٧٧)، «الفتاوىٰ» (٨/ ٣٣٧).

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ[1]﴾ [الأنعام:٧٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣][2].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٤-٥٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤][3].

---

(١) سيأتي شرحها.

(٢) هذه الآية فيها البراءة من الشرك وأهله، وأن الأصل فيهم أنه لا عهد لهم ولا ذمة، بل يُقتلون حيثما وجدوا، حتىٰ يتوبوا من الشرك كله ويعبدوا الله لا شريك له، ويستثنىٰ من ذلك من كان له عهد من المسلمين فتتم له إلىٰ مدتها.

وفيها: وجوب إعلان البراءة من الشرك وأهله، وأن السكوت مع البراءة في القلب غير كافية.

(٣) قصة إبراهيم في هذه الآيات وغيرها تعتبر من أعظم الأدلة في الباب وأوضحها حيث تبرأ من أبيه المشرك وقومه وآلهتهم وأظهر العداوة لهم باللسان والسنان وفيها فوائد:

١- وجوب مفارقة المشركين، وأن ذلك من لوازم البراء منهم.

٢- إعلان البراءة والبغض لآلهتهم وعباداتهم والتصريح ببطلانها.

٣- تحريم الاستغفار والدعاء للمشرك ولو كان أقرب قريب.

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦][1].

=

٤- أن من تمام التوحيد البراءة والكفر بكل ما يعبد من دون الله تعالىٰ.

٥- أن من أقام الولاء والبراء علىٰ المنهج الصحيح يعتبر أسوة وقدوة لغيره.

٦- الدعوة إلىٰ الإيمان بالله وحده لا شريك له.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم أن أباه ﴿عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ سيموت علىٰ الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ موافقة لربه وتأدبًا معه».

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير آية الزخرف (٢٦-٢٨): «﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾؛ أي: جعل هذه لله، والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة لا إله إلا الله». اهـ

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: مبغض له ومجتنب معادٍ لأهله ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فإني أتولاه وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل بالحق». اهـ

وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسير الممتحنة: «يقول الله تعالىٰ لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكفار وعداوتهم، ومجانبتهم، والتبري منهم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾؛ أي: أتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾؛ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾؛ أي: بدينكم وبطريقتكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾؛ يعني: قد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم علىٰ كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾؛ أي: إلىٰ أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعون ما تعبدون من الأوثان والأنداد». اهـ من المختصر (المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير).

(١) **قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-:** «هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه». اهـ

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «اشتملت هذه السورة علىٰ النفي المحض، فهذا خاص بهذه السورة العظيمة؛ فإنها سورة البراءة من الشرك... ولهذا أتىٰ بالنفي من الجانبين تحقيقًا

=

أقسام الخوف خمسة[(١)]

=

للبراءة المطلوبة فقوله: ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ براءة محضة، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ إثبات أن له معبودًا يعبده وحده، فتضمنت النفي والإثبات فانتظمت حقيقة (لا إله إلا الله)...». اهـ من «بدائع التفسير» (٥/ ٣٥١).

فائدة: أقسام الناس في الولاء والبراء:

١- من يُحَب محبة كاملة لا معاداة معها وهم المؤمنون الخُلص من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

٢- من يُبغَض ويُعادَىٰ بغضًا ومعاداة كاملة لا محبة ولا موالاة معهما، وهم الكفار الخُلَّص بجميع أشكالهم كما سبق في الأدلة.

٣- من يحب من وجه ويبغض من وجه فيجتمع فيه المحبة والعداوة وهم عصاة المؤمنين يحبون لما فيهم من الإيمان ويبغضون لما فيهم من المعصية، مع وجوب مناصحتهم ودعوتهم إلىٰ التوبة، وهكذا إقامة الحدود الشرعية عليهم، ونحو ذلك، وهذا كله من محبتهم وحب الخير لهم، وهذا خلافًا للخوارج التي تعادي المعاداة الكاملة لمرتكبي الكبائر، وخلافًا للمرجئة التي توالي الموالاة الكاملة للعصاة وتقول: المعاصي لا تضر الإيمان. [وانظر: حقيقة الولاء والبراء للسناني ٨٦-٩٦]، «الفتاوىٰ» (١٩/ ٢٩٤)، (٢٨/ ٢٢٧، ٥٧٨) وغيرها.

فائدة أخرىٰ: قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «وليس معنىٰ بغضهم وعداوتهم أن تظلمهم أو تتعدىٰ عليهم إذا لم يكونوا محاربين إذا كان لهم أمان أو عهد أو ذمة إنما معناه أن تبغضهم وتعاديهم بقلبك...». اهـ بتصرف. «الفتاوىٰ» (٥/ ٢٤٦).

(١) **الخوف لغة**: الفزع والذعر. «اللسان»، واصطلاحًا كما سيأتي في أقسامه.

وقال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-: «هذا الباب في بيان عبادة الخوف ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة، وهي أن خوف العبد من الله -جل وعلا- عبادة من العبادات التي أوجبها الله -جل وعلا-، فالخوف والمحبة والرجاء عبادات قلبية واجبة، وتكميلها تكميل للتوحيد، والنقص فيها نقص لكمال التوحيد، والخوف من غير الله -جل وعلا- ينقسم إلىٰ ما هو شرك وإلىٰ ما هو مباح...». «التمهيد» (ص٣٦٨).

=

الأول: عبادة:

وهو الخوف من الله وحده لا شريك له، وهذا النوع عبادة قلبية تعبدنا الله به[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وقال الله تعالىٰ واصفًا عباده الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾ [النحل:٥٠].

=

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «العبادة ترتكز علىٰ شيئين: المحبة والخوف، فبالمحبة يكون امتثال الأوامر، وبالخوف يكون اجتناب النهي...». «القول المفيد» (٢/ ١٦٤).

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «المحبة لا تكفي وحدها لأن التعبد بالمحبة وحدها منهج الصوفية الضلال، أما منهج الرسل وأتباعهم فإنه ينبني علىٰ المحبة والخوف والرجاء، محبة الله تعالىٰ مع خوفه ورجائه، وغير ذلك من أعمال القلوب كالتوكل والرغبة والرهبة والخشية». «إعانة المستفيد» (٢/ ٦٤)، وانظر: «المدارج» (١/ ٥١٣)، «شروح الطحاوية» (١/ ٧٦٥).

وعبادة الله تعالىٰ بالخوف فقط طريقة الخوارج الضُّلَّال وغيرهم.

(١) وخوف العبادة هو: التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بترك المحرمات ووسائلها خوفًا من عقوبة الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة... وانظر: «الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١٠٨٤)، «المفيد في مهمات التوحيد» (١٣٩-١٤٠).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط...». «المدارج» (١/ ٥١٠).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله». «المدارج» (١/ ٥١١)، «ابن رجب وأثره في العقيدة» (١/ ٣٥١).

والخوف وسيلة إلىٰ التقوىٰ، وأحد أركانها في الدنيا، فإذا دخل المؤمن الجنة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. انظر: «المدارج».

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب:٣٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ [السجدة:١٦].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧-٨][1].

---

(١) الشاهد من هذه الآيات لفظ (الخوف، الخشية).

فالخوف عام والخشية أخص، قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والخشية أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة؛ فإن الخشية للعلماء بالله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨].

وقال النبي ﷺ: «**إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية...**»...». «المدارج» (١/ ٥٠٨)، وقوله معرفة: (علم بالله تعالىٰ وعظمته وقدرته وعذابه).

وانظر: «التعريفات» (ص١٦١)، «القول المفيد» (٢/ ١٧١).

وأما شرح الآيات فكما يلي: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: ولِلَّذي خاف ربه وقيامه عليه فترك ما نهىٰ عنه وفعل ما أمر به له جنتان...». اهـ

قال ابن كثير: «﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ بين يدي الله يوم القيامة».

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: مقامه بين يدي ربه -في الآخرة-.

والثاني: ولمن خاف مقام ربه عليه واطلاعه عليه. والراجح الأول؛ لأن مقام العبد بين يدي ربه في الآخرة لا يكون إلا ممن يؤمن بلقاء الله وباليوم الآخر، وبالبعث بعد الموت، وهذا هو الذي وُعد بالجنتين...». إلخ «بدائع التفسير» (٤/ ٣٣٠).

ومثله الآية التي بعد: وهي آية النازعات.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩﴾ [النحل:٥٠].

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله مدحهم =

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل

=

بالخوف من الله الذي هو فوقهم بذاته وقهره، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره.
﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾؛ أي: مهما أمرهم الله تعالىٰ امتثلوا لأمره طوعًا واختيارًا...». اهـ

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾؛ أي: مثابرين علىٰ طاعته تعالىٰ وامتثال أوامره وترك زواجره». اهـ

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ الآية.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «يمدح -تبارك وتعالىٰ- ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلىٰ خلقه ويؤدونها بأماناتها ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾؛ أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالىٰ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾؛ أي: وكفىٰ بالله ناصرًا ومعينًا...». اهـ

وقوله تعالىٰ: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، فهذا جمع بين الرجاء والخوف، وهذه هي الطريق الموصلة إلىٰ الله تعالىٰ، فالأمن من عذاب الله تعالىٰ واليأس من رحمته محرمان، والجمع بين الخوف والرجاء والمحبة واجب، كما سبق مختصرًا.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد أمر سبحانه بالخوف منه في قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فجعل الخوف منه شرطًا في تحقق الإيمان... والمعنىٰ: إن كنتم مؤمنين فخافوني، فالخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه». «بدائع التفسير» (١/ ٥٣٦)، بتصرف.

وقال -رحمه الله تعالىٰ-: «والمعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم». (١/ ٥٣٥-٥٣٦).

وقال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «والحاصل: أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب، فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام علىٰ كلمة الحق ليس هو الذي يدني الأجل...
قوله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾، وهذا النهي للتحريم بلا شك...». «القول المفيد» (٢/ ١٦٨).

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾، وقد تقدم تفسير الخشية.

وقد ذكر تعالىٰ جزاء من وحد الله تعالىٰ بالعبادة، ومنها الخشية، فوعدهم بالجنة والرضوان.

إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه». رواه البخاري رقم (٦٢٩)، ومسلم رقم (١٠٣١).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: وعزتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي»[1]. رواه أبو نعيم.

انظر: الجامع الصحيح رقم (٤٣٣٢)، والصحيحة رقم (٧٤٢).

الثاني: شرك:

وهو: أن يخاف العبد من غير الله -كجني وميت وغيرهما- كخوفه من الله أو أشدّ[2].

---

(١) **ذكر المؤلف حديثين في** خوف العبادة، فالشاهد من حديث أبي هريرة قوله: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**». وفي رواية زاد: «من خشية الله».

وقوله: «ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله». فهذا الذي كمل عنده **الخوف من الله تعالى** فحمله على ترك الحرام، ومخالفة هوى النفس في موطنٍ الثباتُ فيه عزيزٌ.

والثاني: هو الرجل الذي تذكر الله تعالى وثوابه وعقابه في مكانٍ خالٍ ففاضت عيناه من **خشية الله تعالى**، والخوف منه، فهذا من كمال هذه العبادة في قلبه.

وقد توسع في شرح الحديث الحافظ في الفتح، وابن عثيمين في شرح الرياض، وأفرده آخر برسالة.

وأما حديث شداد رضي الله عنه فشرحه المناوي في «**فيض القدير**»، وفي شرحه **أغلاط، وهو صوفي**.

وأفاد الحديث **أن من تحلى بالخوف من الله تعالى في الدنيا الخالص لوجهه تعالى** أُعطي الأمن في الآخرة، **فالأمن فيها لكل واحد على قدر خوفه في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل**.

والأحاديث **صريحة في أن الخوف عبادة عظيمة، وإذا تحقق هذا تبين أن صرف العبادة لغير الله شرك**.

(٢) **قال العلامة السعدي** -رحمه الله تعالى-: «فإن كان الخوف والخشية خوف تألُّه وتعبُّد وتقرُّب **بذلك الخوف** إلى من يخافه وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سري يزجر عن =

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ

=

معصية من يخافه، كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، لأنه أشرك في هذه العبادة التي هي من أعظم واجبات القلب غيرَ الله مع الله وربما زاد خوفه من غير الله علىٰ خوفه من الله». اهـ «القول السديد» (ص١١٥).

وقال **العلامة ابن عثيمين** -رحمه الله تعالىٰ-: «والخوف أقسام: الأول: خوف العبادة والتذلل والخضوع وهو ما يسمىٰ بخوف السر، وهذا لا يصلح إلا لله سبحانه، فمن أشرك مع الله غيره فهو مشرك شركًا أكبر، وذلك مثل مَن يخاف مِن الأصنام أو الأموات أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم كما يفعله **بعض عباد القبور يخاف من صاحب** القبر أكثر مما **يخاف من الله». «القول المفيد» (٢/ ١٦٦).**

وقال الشيخ صالح **آل الشيخ** -**حفظه الله تعالىٰ**-: **«والخوف الشركي وهو خوف السر؛ يعني**: أن يخاف في داخله من **هذا المَخُوف منه، وخوفه لأجل ما عند هذا المخوف منه مما يرجوه أو يخافه** من أن يمسه سرًّا بشيء **أو أنه يملك له في آخرته ضرًّا أو نفعًا...». «التمهيد» (ص٣٦٩).**

وقال الشيخ صالح **الفوزان** -**رحمه الله تعالىٰ وحفظه**-: **«الخوف كما عرفه العلماء: توقع** مكروه عن أمارة **مظنونة أو معلومة.**

وهو أقسام:

الأول: خوف السر؛ **وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أو ميت أو غائب من** جن أو إنس أن يصيبه **بما يكره كما قص الله عن قوم هود** عليه السلام **أنهم قالوا له**: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٤-٥٥]، **وقد خوف المشركون رسول الله** ﷺ **محمدًا من أوثانهم كما** قال تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾.

والخوف من غير الله تعالىٰ هو الواقع اليوم من عباد القبور وغيرها من الأوثان يخافونها ويخوفون أهل التوحيد إذا أنكروا عليهم عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله». **«الإرشاد» (ص٨٥).**

وخلاصة **الخوف الشركي**: الخوف من غير الله تعالىٰ **لاعتقاد الخائف أن هذا المخوف** منه يملك ضرًّا أو نفعًا **من دون الله تعالىٰ وهو شرك في الألوهية.** [راجع: تيسير العزيز الحميد، باب: قوله تعالىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾، و«الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١٠٨٤-١٠٨٦)].

عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء:٧٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال ربنا ﷻ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤][1].

الثالث: معصية:

وهو: أن يخاف العبد من إنسان أو أناس فيترك واجبًا، أو يرتكب محرمًا خوفًا منهم، ولم يصل إلىٰ حد الإكراه، فهذا الخوف معصية[2].

---

(١) أما قوله تعالىٰ: ﴿يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾، هذا هو الخوف الشركي وهو الخوف من غير الله تعالىٰ كالخوف منه تعالىٰ والخشية هنا أشد الخوف، والأقرب أن هذه الآية إنما تحدثت عن المنافقين لا عن المؤمنين السابقين بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [محمد:٢٠].
ونحو ذلك في سورة الأحزاب والتوبة في صفات المنافقين.
وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة:١٥٠]. نهي للموحدين أن يصرفوا هذه العبادة لغيره، والنهي هنا للتحريم.

(٢) قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «من أنواع الخوف أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأعمال خوفًا من بعض الناس؛ فهذا محرم وهو شرك أصغر...». «الإرشاد» (ص٨٦).
وقال الشيخ صالح آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ وحفظه-: «والخوف المحرم وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب أو البعد عن الحرام مما أوجبه الله أو حرمه كأن يخاف من مخلوق في أداء فرض من فرائض الله فلا يصلي خوفًا من مخلوق...
قال بعض العلماء: وهو نوع من أنواع الشرك لأن فيه تقديم الخوف من الناس علىٰ خوف الله تعالىٰ وهذا محرم». (ص٣٦٩).
وقال الشيخ سليمان آل الشيخ -غفر الله له-: «أن يترك واجبًا بغير عذر إلا الخوف من الناس فهذا محرم». «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٨٥).
وقول المؤلف: (ولم يصل إلىٰ حد الإكراه) قيد في ارتكاب المحظور وأنه لا يجوز إلا في حال الاضطرار كالإكراه وليس قيدًا للخوف، لأن الخوف محله القلب، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾ [البقرة:١٥٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣].

وقال ربنا تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٤٤][(١)].

الرابع: الخوف الطبيعي:

وهو: كخوف الإنسان من العدو والسَّبُع والحية وغير ذلك، وهذا جائز على ألا يتعدى الخوف الطبيعي[(٢)].

قال الله تعالىٰ إخبارًا عن عبده ورسوله موسىٰ عليه السلام: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١].

وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء:١٢، والقصص:٣٤].

وقال موسىٰ أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص:٣٣].

وقال موسىٰ وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا

---

(١) تقدم شرح هذه الآيات، والدلالة فيها أن الله تعالىٰ حرَّم علىٰ العبد أن يقدم الخوف من المخلوق علىٰ الخوف منه سبحانه وهو واضح.

(٢) **قال الشيخ سليمان في «التيسير» (ص٤٨٦)**: «الخوف الطبيعي كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-...». اهـ

وانظر: «الإرشاد» (ص٨٧)، «التمهيد» (ص٣٦٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «الخوف الطبيعي والجبلِّي وهو إن حمل علىٰ ترك واجب أو فعل محرم فهو محرم، وإن استلزم شيئًا مباحًا كان مباحًا... كمن رأىٰ نارًا فهرب منها ونجا بنفسه؛ فهذا مباح، وقد يكون واجبًا إذا كان يتوصل به إلىٰ إنقاذ نفسه». «القول المفيد» (٢/ ١٦٧).

﴿تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٥-٤٦].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٧-٦٨][1].

الخامس: الخوف الوهمي:

وهو الذي ليس له سبب أصلًا أو له سبب ضعيف.

فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع[2].

انظر كلام الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفىٰ سنة ١٣٧٦هـ في كتابه: «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص١١٦).



---

(١) ذكر تعالىٰ في هذه الآيات خوف موسىٰ عليه السلام من فرعون وقومه أن يصيبه منه عقوبة وأذىٰ وخوفه أن يكذبوه، وأما خوفه من السحرة فقال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «خاف أن يفتنوا بسحرهم».

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ كما هو مقتضىٰ الطبيعة البشرية، وإلا فهو جازم بوعد الله ونصره.

﴿قُلْنَا﴾ تثبتًا له وتطمينًا.

﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ عليهم؛ أي: ستعلو عليهم وتقهرهم، ويذلوا لك ويخضعوا». اهـ

فتبين من هذه الأدلة أن الخوف الطبيعي لا مؤاخذة فيه؛ فإن أدىٰ إلىٰ ترك شيء مشروع فهو جبن مذموم، وإن أدىٰ إلىٰ شرك فهو شرك.

(٢) **قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-:** «وهناك ما يسمىٰ بالوهم وليس بخوف مثل أن يرىٰ ظل شجرة تهتز؛ فيظن أن هذا عدو يتهدده فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام؛ لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها فإنها تهلكك». «القول المفيد» (٢/ ١٦٧).

أقسام المحبة أربعة(١)

الأول: عبادة:

وهي حب الله وحب ما يحبه الله(٢).

---

(١) معنىٰ المحبة معروف لدىٰ كل أحد، وقد خاض الناس في تعاريف لا تنضبط.

والمحبة والإرادة -كما قال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ- أصل كل فعل وأصل كل دين سواء كان حقًّا أو باطلًا.

وقال: «المحبة المحمودة هي المحبة التي تجلب لصاحبها ما ينفعه في دنياه وآخرته، وهذه المحبة هي عنوان السعادة.

والمحبة الضارة: هي التي تجلب لصاحبها ما يضره في دنياه وأخراه، وهي عنوان الشقاوة...». «الجواب الكافي» (٢٣٤، ٢٣٥).

ووجه إدخال هذا الباب في كتاب التوحيد:

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «لما كانت المحبة من أنواع العبادة، بل هي أعظم أنواع العبادة، وكان من أحب مع الله غيره كان مشركًا الشركَ الأكبر ناسب أن يذكر الشيخ هذا الباب في كتاب التوحيد لينبه علىٰ هذه المسألة المهمة». «إعانة المستفيد» (٢/ ٤٦).

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه». «القول السديد» (ص١١٠).

وبهذا يتبين علاقة الباب بالتوحيد.

ولهذا قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وبهذا التوحيد في الحب أرسل الله جميعَ رسله، وأنزل جميعَ كتبه، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل من أولهم إلىٰ آخرهم، ولأجله خُلقت السموات والأرض والجنة والنار؛ فجعل الجنة لأهله والنار للمشركين به فيه». «الجواب» (ص٢٦٤).

(٢) قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل». (ط. =

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات:٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ (١) [المائدة:٥٤].

=

العبيكان ٥/ ١١ ٢)).

وقال: «اعلم أن محركات القلوب إلىٰ الله ﷻ ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وأقواها المحبة، وهي مقصودة لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف؛ فإنه يزول في الآخرة...

والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلىٰ محبوبه، وعلىٰ قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه... والرجاء يقوده إليه، فهذا أصل عظيم يجب علىٰ كل عبد أن يتنبه له؛ فإنها لا تصح له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبدًا لله لا لغيره...». «الفتاوىٰ» (١/ ٩٥).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «اعلم أن أنفع المحبة علىٰ الإطلاق وأوجبها وأعلاها وأجلها محبة من جبلت القلوب علىٰ محبته وفطرت الخليقة علىٰ تألهه، وبها قامت السموات والأرض، وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن الإله هو الذي تأهله القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع والتعبد، والعبادة لا تصلح إلا له وحده.

والعبادة وكمال المحبة مع كمال الخضوع والذل، والشرك في هذه العبودية من أظلم الظلم لا يغفره الله، والله تعالىٰ يُحَبُّ لذاته من جميع الوجوه، وما سواه يحب تبعًا لمحبته، وقد دل علىٰ وجوب محبته سبحانه جميع كتبه المنزَّلة ودعوة جميع رسله وفطرته التي فطر عباده عليها، وما أسبغ عليهم من النعم؛ فإن القلوب مفطورة مجبولة علىٰ محبة من أنعم عليها وأحسن إليها ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل:٥٣].

وما تعرف به إلىٰ عباده من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا، وما دلت عليه آثار مصنوعاته من كمالها ونهاية جلاله وعظمته...». «الجواب الكافي» (ص٢٦٣).

(١) الشاهد في هذه الآيات ذكر المحبة.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾، يحبب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم بما أودع في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره والرغبة فيه، والثبات عليه وهو شامل لمحبة الأعمال الصالحة والإيمان...

=

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**(١).

=

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «محبة الله وهي محبة العبودية التي تستلزم كمال الذل والطاعة للمحبوب، **وهذا خاص بالله تعالىٰ». «الإرشاد»** (ص٩٦).

وسيأتي شرح الآية قريبًا، **وإنما كانت محبة الله تامة في قلوب الموحدين**؛ لأن ذلك هو روح كلمة التوحيد كما قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وروح هذه الكلمة -كلمة التوحيد- وسرها: هو إفراد الرب بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والرغبة والرهبة فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعًا لمحبته...». «محبة الله» لابن القيم (ص٢٥٢-٢٥٣)، «الجواب الكافي» (ص٢١٩).

وقوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾؛ فيه إثبات صفة المحبة لله تعالىٰ، وإذا أحب الله عبدًا حببه إلىٰ عباده ويسر له الخيرات والطاعات، وأما محبة العبد لربه؛ فذلك لأن الله تعالىٰ هو خالقه ورازقه، والصادق في هذه المحبة هو الموحد المتبع، فأصل العبادة وتمامها وكمالها هو المحبة لله تعالىٰ، وإفراد الرب سبحانه بها، فلا يشرك العبد به فيها غيره، ولا يتبع إلا رسوله ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

(١) هذا الحديث من جوامع الكلم، فهو شامل للتوحيد ونبذ ما يضاده وكرهه وهو الكفر.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد قدمنا أن من محبة الله تعالىٰ محبة ما أحب كما في الصحيحين -وذكر الحديث هذا-، فأخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجْد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له.

فمن أحب شيئًا أو اشتهاه إذا حصل له مراده؛ فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك...

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان، تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور:

تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها.

فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وتفريعها: أن يحب المرء

=

رواه البخاري رقم (١٦)، ومسلم رقم (٤٣).

الثاني: شرك:

وهي حب غير الله كحب الله أو أشد، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ(١) ﴾ [البقرة:١٦٥].

=

لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار...». «الفتاوىٰ» (٥/ ٢٨٨/ العبيكان).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والمقصود أن حقيقة العبودية لا تحصل مع الإشراك بالله في المحبة، بخلاف المحبة لله، فإنها من لوازم العبودية وموجباتها؛ فإن محبة الرسول -بل تقديمه في الحب على الأنفس والآباء والأبناء- لا يتم الإيمان إلا بها؛ إذ محبته من محبة الله، وكذلك حب في الله ولله...». «المحبة لله» (ص٢٥٧).

فحلاوة الإيمان هي التلذذ بالطاعات وهي أمر معنوي. «شرح البخاري» للعثيمين (١/ ٥٧).

(١) **المحبة الشركية هي:** محبة تتعلق بالنفوس لغير الله... «الفتاوىٰ» (١/ ٧٣/ العبيكان).

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل الشرك بالله الإشراك في المحبة كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾.

فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به ندًا يحبه كما يحب الله، وأخبر أن المؤمنين أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم.

وقيل: بل المعنىٰ أنهم أشد حبًا لله؛ فإنهم وإن أحبوا الله لكن لما أشركوا بينه وبين أندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله والموحدون لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبة أولئك...». «محبة الله» (ص٢٥٦)، «الجواب الكافي» (ص٢١٨).

فقوله: (أندادًا) فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية. «المدارج» (٣/ ٢٠)، «بدائع التفسير» (٣/ ٣٢٧-٣٢٨).

ورجح العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- القول الثاني ثم قال: «فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله؟

وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟ فهذا أقبح وأعظم، وهذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم؛ فإنهم يحبون أولياءهم أكثر مما يحبون الله...». «القول المفيد» (١/ ١٤٩).

=

الثالث: معصية:

وهو كحب الحرام والبدع والمعاصي، وكحب أصحاب البدع والأهواء والمعاصي إلىٰ غير ذلك من المحبة المخالفة للشرع(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠].

ولهذا زجرهم بقوله: ﴿كَلَّآ﴾. انظر تفسير البغوي والشوكاني والجزائري.

وقال الله تعالىٰ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩](٢).

=

وحكمه أنه من الشرك الأكبر؛ لأنه صرف عبادة لغير الله تعالىٰ.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله تعالىٰ-: «من اتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر». اهـ بواسطة «الإرشاد» (ص٩٨).

(١) سميت (معصية) لأنها تعلقت بمعصية الله تعالىٰ، وهذه المحبة ليست تعبدية، إنما هي محبة شهوة أو شبهة، وهي محرمة وقد تكون شركًا أصغر.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، جمًّا: شديدًا، وقوله: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾

=

الرابع: محبة طبيعية:

كحب الأولاد والأهل والنفس والمال، وغير ذلك من المباحات لكن ينبغي أن تكون طبيعية[(١)].

=

خلف: رجعوا إلىٰ الوراء ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوها أو تساهلوا فيها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ مالوا إليها وباشروها ﴿غَيًّا﴾ عذابًا شديدًا.

والشاهد من الآية: أن اتباع الشهوات غلب علىٰ أداء الصلاة، وهذا محبة معصية لأنها أدت إلىٰ معصية.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾، إن كانت هذه الأمور ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فأنتم بهذه المحبة فَسَقة ظلمة، ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ انتظر ما يحل بكم من العقاب، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ الذي لا مرد له، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾؛ أي: الخارجين عن طاعة الله والمقدمين علىٰ محبة الله شيئًا من المذكورات، وهذه الآية دليل علىٰ وجوب تقديم محبة الله ورسوله علىٰ محبة كل شيء... فإنه من قدم ما تهواه نفسه علىٰ ما يحبه الله دل علىٰ أنه ظالم تارك لما يجب عليه. اهـ بتصرف من تفسير السعدي.

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ﴾؛ أي: من القبائح والباطل القولي والعملي ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران:١٨٨]، فجمعوا بين فعل الشر والفرح بذلك، ومحبة أن يحمدوا علىٰ فعل الخير الذي ما فعلوه....

فهذه هي المحبة المحرمة المستحق صاحبها العذاب.

وقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، بلغ في قلبها مبلغًا عظيمًا، وهو حب للزنا بها، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ هذه المحبة محرمة، ولهذا توعد صاحبه بالعذاب الأليم.

(١) قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «المحبة الطبيعية هي: ميل الإنسان إلىٰ ما يلائم طبعه كمحبة العطشان للماء والجائع للطعام ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا ألهت عن ذكر الله وشغلت عن محبته كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٩]». «الجواب الكافي» (ص٢٢٠).

وإذا صارت في درجة التتيم وهو التعلق المتضمن الذل والخضوع والخوف فهذا شرك. «الشرك في القديم» (٢/ ١٠٦٥-١٠٦٦).

وللشيخ صالح الفوزان كلام حسن في هذا الباب قال: «وهذه المحبة بأقسامها الثلاثة لا تستلزم

=

فإذا شغلت الشخص عن طاعة الله فترك بعض الواجبات فهي محبة معصية، فإذا طغت على حياته وقلبه وأحبها كحب الله أو أشد فهي محبة شركية.

قال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

وقال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا[1] ﴾ [يوسف:٨].

فائدة:

قال العلامة ابن القيم -رحمة الله عليه-:

«**فصل:**

إذا عرفت هذه المقدمة فلا يمكن أن يجمع القلب حب المحبوب الأعلى وعشق الصور أبدًا، بل هما ضدان لا يتلاقيان.

بل لابد أن يُخرج أحدهما صاحبه؛ فمن كانت قوة حبه كلها للمحبوب الأعلى

=

التعظيم والذل ولا يؤاخذ أحد بها، ولا تزاحم المحبة المختصة -محبة العبودية- فلا يكون وجودها شركًا ولكن لابد أن تكون المحبة المختصة مقدمة عليها». «الإرشاد» (ص٩٦-٩٧)، «القول المفيد» (١/ ١٥١)، «المفيد» (ص١٧٤).

(١) هذه الأشياء مما جبلت النفوس على محبتها... وهي مع هذا متاع قليل منقضٍ في مدة يسيرة فهذا حال: ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾، لمن اتقاه.

ثم ذكر أن مَن لم تَشغَلْه هذه الزينة عن الآخرة بأنه من المتقين الذين لهم الجنات والأزواج، ونحوها من زينة الآخرة التي لا تفنى ولهم مع ذلك رضوان من الله ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾، فييسر كلًّا لما خلق له.

وقوله: ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ محبة طبعية إذ نبي الله معصوم عن المحبة المخالفة لأمر الله تعالى.

الذي محبة ما سواه باطلة وعذاب على صاحبها، صرفه ذلك عن محبة ما سواه، وإن أحبه لم يحبه إلا لأجله أو لكونه وسيلة له إلى محبته، أو قاطعًا له عما يضاد محبته وينقصها.

والمحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب، وألا يشرك بينه وبين غيره في محبته، وإذا كان المحبوب من الخلق يأنف ويغار أن يشرك معه محبة غيره في محبته، ويمقته لذلك، ويبعده ولا يحظيه بقربه ويعده كاذبًا في دعوى محبته، مع أنه ليس أهلًا لصرف كل قوة المحبة إليه؛ فكيف بالحبيب الأعلى الذي لا تنبغي المحبة إلا له وحده، وكل محبة لغيره فهي عذاب على صاحبها، ووبال؟! ولهذا لا يغفر الله سبحانه أن يشرك به في هذه المحبة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

فمحبة الصور تفوِّت محبة ما هو أنفع للعبد منها، بل تفوت محبة ما ليس له صلاح ولا نعيم، ولا حياة نافعة إلا بمحبته وحده؛ فليختر العبد إحدى المحبتين فإنهما لا يجتمعان في القلب، ولا يرتفعان منه، بل من أعرض عن محبة الله وذكره والشوق إلى لقائه؛ ابتلاه بمحبة غيره؛ فيعذبه بها في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة؛ فإما أن يعذبه بمحبة الأوثان، أو بمحبة الصلبان، أو المردان، أو بمحبة النسوان، أو بمحبة العشراء والإخوان، أو محبة ما هو دون ذلك مما هو في غاية الحقارة والهوان.

فالإنسان عبد محبوبه كائنًا من كان كما قيل:

أنت القتيل بكل من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

فمن لم يكن إلهه مالكه ومولاه كان إلهه هواه.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]».

من كتاب الجواب الكافي (ص٢٦٩-٢٧٠).

فائدة أخرىٰ:

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتىٰ تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب، وتغلبها ويكون لها الحكم عليها؛ بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالي أولياءه، أو يعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ويقدم طاعتهم علىٰ طاعة الله، ويلهج بذكرهم ودعائهم فهذا هو الشرك الأكبر، الذي لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئًا.

وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضًا وعداوة». اهـ من القول السديد (ص١١٠-١١٢).



تحريم دعاء غير الله[1]

(١) الدعاء عبادة قلبية.

والدعاء لغة: مصدر من دعا يدعو، ويأتي بمعنىٰ النداء، وبمعنىٰ السؤال، وبمعنىٰ الاستغاثة، والطلب، وبمعنىٰ العبادة -كما سيأتي-... «لسان العرب» (٤/ ٣٥٩)، «الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١١٤٨).

والدعاء شرعًا: قسمان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

فأما دعاء المسألة:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «إن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه». «الفتاوىٰ» (١٥/ ١٠)، (١/ ٦٩)، «تيسير العزيز الحميد» (ص٢١٥)، «البدائع» (٣/ ٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: «هو السؤال والطلب رغبة أو رهبة أو مجموعها». «القول الفصل» (ص٤٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «فدعاء المسألة هو دعاء الطلب؛ أي: طلب الحاجات، وهو عبادة إذا كان من العبد لربه، لأنه يتضمن الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ واللجوء إليه واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة...». «شرح الأصول الثلاثة» (ص٥٦).

وأما دعاء العبادة:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ويدعىٰ خوفًا ورجاءً دعاء العبادة...». «البدائع» (٣/ ٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما دعاء العبادة؛ فأن يتعبد للمدعو طلبًا لثوابه وخوفًا من عقابه، وهذا لا يصح لغير الله، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، وعليه يقع الوعيد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]». «شرح الأصول الثلاثة» (ص٥٦).

وقال العروسي في كتابه «الدعاء» (١/ ٤٨): «الرغبة إلىٰ الله تعالىٰ والتوجه إليه في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه والابتهال إليه في ذلك -إما بالسؤال- أو بالخضوع والتذلل والرجاء والخوف والطمع.

فقولنا بالسؤال: يراد به دعاء المسألة، وقولنا: بالخضوع... -إلخ- يراد به دعاء العبادة...». اهـ المراد.

=

=

فائدة:

قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذه تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان؛ فإن دعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره أو دفعه، ومن يملك النفع والضر؛ فإنه هو المعبود حقًّا... فهو يدعىٰ للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعىٰ خوفًا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان.

فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة... وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لآلهتهم؛ فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة فهو في دعاء العبادة أظهر...». «البدائع» (٣/ ٣-٤)، «الفتاوىٰ» (١٥/ ١٣) نقله عن شيخ الإسلام بعضه.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ في «التيسير» (ص٢١٥-٢١٦): «وبهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله عباد القبور إذا احتُجَّ عليهم بما ذكر الله في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له، قالوا: المراد به العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]؛ أي: لا تعبدوا مع الله أحدًا، فيقال لهم: وإن أُريد به دعاء العبادة فلا ينفي أن يدخل دعاء المسألة في العبادة؛ لأنه مستلزم لدعاء المسألة، وقد ذكر الله تعالىٰ دعاء المسألة في قوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾...». اهـ بتصرف.

فائدة أخرىٰ:

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في دعاء المسألة: «ويجوز إذا صدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر علىٰ الإجابة كما سبق في قول القائل يا فلان أطعمني». اهـ «شرح الأصول» (ص٥٦)، «القول المفيد» (١/ ٢٦٠).

ويوضح هذا قول العلماء: دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك وكفر سواء كان المدعو حيًّا أو ميتًا، فخرج بذلك: الحي الحاضر القادر، فمن دعاه دعاء مسألة ليس علىٰ سبيل التعبد، إنما علىٰ سبيل طلب النفع أو دفع الضر مع اعتقاد أن ذلك لا يكون إلا بمشيئة الله تعالىٰ جاز ذلك كقول: يا فلان ادفع عني الوحش، ونحو ذلك.

فصل في تحريم دعاء غير الله تعالىٰ وأنه شرك.

وقد ذكر المؤلف أدلة كثيرة سيأتي شرحها وبيانها، وقد ورد عن السلف التحذير من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة ونحوها بغير الله تعالىٰ.

=

=

وقد أجمع السلف على منع دعاء غير الله وعدوه كفرًا.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع، ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب، وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين». «الفتاوى» (١/ ١٢٤)، ونقله جماعة من العلماء أيضًا. «الدعاء» (١/ ٥٣٤)، ط. مكتبة الرشد.

وقال شيخنا الوادعي -رحمه الله تعالى-: «الذي يدعو الأموات لجلب نفع أو دفع ضر يُبيَّن له أن هذا شرك وكفر؛ فإن أصر على دعاء غير الله فهو مشرك حلال الدم والمال». «فتاوى العقيدة» (ص٣٦).

وقال: «الاستغاثة بغير الله تعتبر شركًا سواء أدع رسول الله كأن يقول: يا رسول الله، أو دعا ابن علوان، أو الزيلعي، السيدة زينب... كل هذا يعتبر شركًا». «مجموع فتاوى الوادعي» (١/ ١١٢-١١٣).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «ومن أنواعه -الشرك-: طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم...». «المدارج» (١/ ٣٤٦).

وقال العلامة الصنعاني -رحمه الله تعالى-: «من نادى الله ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، وخوفًا وطمعًا، ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة؛ فإن الدعاء هو العبادة...». «تطهير الاعتقاد» (ص٢٦).

وقال الشوكاني -رحمه الله تعالى-: «إن من اعتقد في ميت أو حي من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إما مع الله تعالى، أو استقلالًا، أو ناداه، أو توجه إليه، أو استغاث به في أمر من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق لم يخلص التوحيد لله ولا أفرده بالعبادة؛ إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة وإن الشرك هو دعاء غير الله تعالى، أو اعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه أو التقرب إلى غيره بشيء مما لا يتقرب به إلا إليه». «الدر النضيد» (ص١٨).

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله تعالى-: «من عبد الله ليلًا ونهارًا ثم دعا نبيًّا أو وليًّا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن الإله هو المدعو...». «الرسائل الشخصية» (ص١٦٦).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وقد تبين بما ذكر... أن دعاء الميت

=

١ - قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦].

٢- وقال الله تعالىٰ: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء:١١٧-١١٨].

٣- وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١].

٤- وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٤].

٥- وقال -جل وعلا-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٧].

٦- وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

٧- وقال الله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد:١٤].

٨- وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢٠-٢١].

=

والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر، بل هو أكبر أنواع الشرك؛ لأن الدعاء مخ العبادة؛ ولأن من خصائص الإلهية إفراد الله بسؤال ذلك...». «التيسير» (ص٢٤٣).

وانظر للمزيد: «الدعاء» للعروسي (٢/ ٥٢٩-٥٦٦)، «التوسل» للشيخ الألباني (ص١٣٦-١٣٧).

٩- وقال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

١٠- وقال -عز سلطانه-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان:٣٠].

١١- وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

١٢- وقال -عز شأنه-: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

١٣- وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

١٤- وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

١٥- وقال الله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٤١-٤٢].

١٦- وقال تعالىٰ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

١٧- وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى

بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

١٨- وقال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٤-٦].

١٩- وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨].

٢٠- وقال الله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا[1] ﴾ [الجن:٢٠-٢١].

---

(١) لقد أطال المؤلف في ذكر أدلة هذا الباب.

ولا نعلم شركًا تظافرت وتكاثرت الأدلة من الكتاب والسنة في التحذير منه كشرك دعاء غير الله تعالىٰ، كما صرح بذلك غير واحد من العلماء.

والتحذير منه مما اتفقت عليه جميع الرسل والكتب.

وقد رقمت الآيات ثم أذكر مع رقم كل آية الشاهد منها:

١- [البقرة:١٨٦]: **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-:** «﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ يتناول نوعي الدعاء -العبادة والمسألة-، وبكل منهما فسرت الآية.

قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان...». «البدائع» (٣/ ٣).

والشاهد من الآية: أن الدعاء عبادة لله تعالىٰ، وأن الله تعالىٰ لم يجعل للعبد واسطة بينه وبين ربه إذا دعاه؛ لأنه قريب منه يسمعه ويراه.

٢- [النساء:١١٧-١١٨]: تبين هذه الآية والتي بعدها أن المشرك إنما يدعو وثنًا أو شيطانًا ملعونًا لا يملك نفع نفسه فضلًا أن ينفع داعيه، وقوله: (إناثًا) أوثانًا مسماة بأسماء الإناث كالعزىٰ، ومناة، وهو دلالة علىٰ نقصها وضلال عابديها.

٣- [الأنعام:٧١]: الآية صريحة في ضلال من يدعو غير الله، لا ينفعه ولا يضره، وليس له من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ ننقلب إلىٰ الضلال بعد الهداية، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أضلته وقادته إلىٰ الشرك والضلال فصار حيرانًا يسمع داعي الهدىٰ ولا يجيب.

=

=

٤- [الأعراف:١٩٤]: هذه الآية تبين أن من الضلال أن تدعو مخلوقًا مثلك ولو دعوته لم يستجب لك، فأي ضلال -أرشدك الله- أعظم من إعراض العبد عن خالقه، ومالك الملك القادر علىٰ كل شيء ثم يتوجه إلىٰ عبد مخلوق ضعيف؟!!!

قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «الضلالة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ التي وقع فيها كثير من عامة المسلمين وبعض خاصتهم ألا وهي الاستغاثة بالأنبياء والصالحين من دون الله تعالىٰ في الشدائد، والمصائب حتىٰ إنك لتسمع جماعات متعددة عند القبور يستغيثون بأصحابها في أمور مختلفة، كأن هؤلاء الأموات يسمعون ما يقال لهم، وتطلب منهم الحاجات المختلفة بلغات متباينة؛ كأن هؤلاء الأموات يعلمون مختلف اللغات في الدنيا ويميزون كل لغة عن الأخرىٰ ولو كان الكلام في آن واحدٍ، وهذا هو الشرك في صفات الله تعالىٰ الذي جهله كثير من الناس فوقعوا بسببه في هذه الضلالة الكبرىٰ». «التوسل» (١٣٦-١٣٧).

٥- [الأعراف:١٩٧]: ومن صفات المدعوين من دون الله تعالىٰ عجزهم عن نصرة من دعاهم واستغاث بهم، فالتوجه إليهم سفه.

٦- [يونس:١٠٦]: كل معبود دون الله تعالىٰ من وصفه اللازم أنه لا يملك النفع والضر، وأن من دعا غير الله سبحانه أو استغاث به لجلب نفع أو دفع ضر فهو من الظالمين والظلم هنا الشرك.

٧- [الرعد:١٤]: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لله وحده دعوة الحق وهي عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأنداد وغيرها التي جعلوها شركاء لله بدعائهم إياها.

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ بشيء قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا ولا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾، كالذي يتناول الماء يبسط كفه والماء بعيد وما هو ببالغه، كذلك من دعاء غير الله لا ينفعونهم بشيء، فكان دعاؤهم ضلالًا وإجابتهم محالًا أفلا تعقلون يا معشر القبورية.

٨- [النحل:٢٠-٢١]: ومن الأوصاف التي لزمت المخلوق: أنه لا يخلق بل عاجز وهو مخلوق مربوب، أموات فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعلمون متىٰ يبعثون، كل هذه أوصاف نقص، فما بال قوم تركوا دعاء وعبادة الرب الموصوف بالكمال ودعوا مخلوقًا ضعيفًا ميتًا.

قال شيخنا -رحمه الله تعالىٰ-: «وهؤلاء الأولياء... لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولو

=

=

كانوا يملكون ذلك أيرضون باللحد الضيق...». «فتاوىٰ العقيدة» (٤٨-٥٢).

٩-١٠- [الحج:٦٢] [لقمان:٣٠]: **قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-**: «فأوضح الله سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما ادعاه الناس من دونه هو الباطل فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة، والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه المعبود بحق وحده...». اهـ المراد: حاشية الطحاوية (١٠٩-١١٠).

١١- [الحج:٧٣]: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾، اسمعوه وتفهموا معناه... ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾، ليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف فما فوقه من باب أولىٰ...

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ لا يستنقذوه منه لعجزهم الكبير، ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ المدعو من دون الله، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذباب.

فإذا كان الأمر كذلك فأي ضلال قد غطىٰ عقول هؤلاء الذين يدعون المخلوق ويشركون بالخالق سبحانه؟

١٢- [المؤمنون:١١٧]: الآية تبين أنه من دعا غير الله تعالىٰ فقد اتخذه إلهًا، وأنه بذلك كافر مشرك.

وقوله: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ ليس له برهان علىٰ دعاء غير الله أبدًا، بل البراهين تدل علىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة.

١٣- [الشعراء:٢١٣]: الآية تدل علىٰ مصير هؤلاء المشركين الذين يدعون الأصنام أو الأموات أو الأنبياء، أو غيرهم أن مصيرهم إلىٰ عذاب الله أبد الآبدين.

١٤- [القصص:٨٨]: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، بل أخلص لله عبادتك فإنه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا أحد يستحق أن يؤله ويحب ويعبد إلا الله الكامل الباقي الذي ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، وإذا كان كل شيء سواه هالكًا مضمحلًا فعبادة الهالك باطلة ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ في الدنيا والآخرة، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لا إلىٰ الآلهة الباطلة، فلا يستحق إلا أن يدعىٰ الله الواحد الذي له الحكم وإليه المرجع.

١٥- [العنكبوت:٤١-٤٢]: الآية تبين أن مثل من يعبد غير الله بالدعاء وغيره يقصد منه النفع أو التعزز به كمثل العنكبوت اتخذت بيتًا ضعيفًا ليقيها الآفات، وذلك لا يستقيم مع ضعف بيتها، فلا تزداد به إلا ضعفًا، والمشركون لا يزدادون بالشرك إلا ذلًّا ولا يحصلون إلا علىٰ خزي الدنيا والآخرة.

=

=

والله ﷻ يعلم أن ما يدعونه من دونه ليس بشيء، وهو العزيز الحكيم.

١٦- [فاطر:١٣-١٤]: هاتان الآيتان فيهما التصريح أن دعاء غير الله تعالىٰ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالىٰ شرك، وقوله: ﴿قِطۡمِيرٍ﴾ هو اللفافة الذي يكون في أعلىٰ نواة التمر.

وقوله: ﴿وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾؛ أي: لو افترض أنهم سمعوا -مع أنه محال- فلن يقدروا علىٰ الاستجابة لكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ وهو الله تعالىٰ، فكن علىٰ يقين أن الله وحده هو المعبود الحق، وأن دعاء وعبادة غيره شرك وضلال.

١٧- [الزمر:٣٨]: أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك بالذين من دونه وأقمت عليهم دليلًا من أنفسهم فقلت: ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئًا، ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ الذي خلقها وحده ﴿قُلۡ﴾ مقررًا عجز آلهتهم بعدما تبينت قدرة الله، ﴿أَفَرَءَيۡتُم﴾ أخبروني ﴿مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، أي خبر كان ﴿هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ بإزالته بالكلية أو بتخفيفه من حال إلىٰ حال، ﴿أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ﴾ في ديني أو دنياي ﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ ومانعاتها عني؟

سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾؛ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم... اهـ

أفادت الآية أن عبادة المشركين لآلهتهم لم تكن بزعم أنهم يخلقون أو يحيون وإنما كانت بدعائهم من دون الله أو مع الله.

وأما مشركو القبورية فإنهم يزعمون أن أولياءهم يخلقون الولد، وينفعون ويضرون، ويسمعون من دعاهم، فهم يدعونهم في الضراء أكثر منه في السراء، فهم أشد كفرًا ونفاقًا وأجدر ألا يعلموا وحدانية الله.

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ-: «هؤلاء القبوريون قد وصلوا إلىٰ حد في اعتقادهم في الأموات لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم، وهو أن أهل الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، وإنما يدعون أصنامهم في السراء... بخلاف المعتقدين في الأموات فإنها إذا دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات ونذروا لهم النذور، وقل من يستغيث بالله سبحانه في تلك الحال، وهذا يعلمه كل من له بحث عن أحوالهم...». «الدر النضيد» (٦٦-٦٧).

=

=

وقد توسع الإمام ابن عبد الوهاب في كشف الشبهات في توضيح هذا فراجعه مع شرحه للشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين.

١٨- [الأحقاف:٤-٦]: يقرر الله تعالىٰ في هذه الآيات عجز المعبودات الباطلة فهي لا تخلق استقلالًا ولا مشاركة مع الله، فإذا كان كذلك فمن يدعوها فهو أضل الضالين، كيف يدعو من لا يستجيب له في الدنيا وهو في الآخرة عدوًّا له يلعن بعضهم بعضًا ويجحد عبادتهم وينكرها، فهل يعقل هذا عباد القبور.

قال العلامة الصنعاني -رحمه الله تعالىٰ-: «وكذلك تسمية القبر مشهدًا ومن يعتقدون فيه وليًّا لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن؛ إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام...

ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه: يا زيلعي، يا ابن العجيل، وأهل مكة والطائف: يا ابن العباس، وأهل مصر: يا رفاعي، يا بدوي، والسادة: البكري، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يا ابن علوان.

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر، وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام...». «تطهير الاعتقاد» (ص٦٩-٧٢). ط. دار ابن حزم.

فأي ضلال -أرشدك الله- أعظم من ضلال هؤلاء القبورية والمشركة، وقد نشر في بعض جرائد مصر أنه في عام ١٩٩٦ أنه اجتمع عند قبر البدوي نحو ثلاثة ملايين يدعونه من دون الله، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٩- [الجن:١٨]: أي: لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة؛ فإن المساجد التي هي أعظم محالِّ العبادة مبنية علىٰ الإخلاص لله. اهـ من «تفسير السعدي».

٢٠- [الجن:٢٠/ ٢١]: هذه الآية تبين أن الرسول ﷺ عبد ليس له من الربوبية والألوهية والتصرف شيء، بل الأمر كله لله تعالىٰ، فغير الرسول من باب أولىٰ، وإليك ما ذكره العلامة الشوكاني: «...هؤلاء المخذولون الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم، وعبدوا عبدًا من عباد الله صار تحت أطباق الثرىٰ لا يقدر أن يجلب لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضرًّا كما قال رسول الله ﷺ فيما أمره الله أن يقول: **﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا﴾** [الأعراف:١٨٨]؛ فانظر كيف قال سيد البشر...

وكذلك قال فيما صح عنه: «**يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا**»؛ فإذا كان هذا

=

والآيات في هذا الباب كثيرة والأحاديث كذلك، منها:

١- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»**.

ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

أخرجه: أبو داود في الصلاة (٢/ ١٦١) رقم (١٤٧٩)، والترمذي في ثلاثة مواضع:

١- في تفسير سورة البقرة (٥/ ٢١١) رقم (٢٩٦٩).

٢- في تفسير سورة غافر (٥/ ٣٧٤-٣٧٥) رقم (٣٢٤٧).

٣- في الدعوات (٥/ ٤٥٦) رقم (٣٣٧٢).

وابن ماجه: في الدعاء (٢/ ١٢٥٨) رقم (٣٨٢٨) وإسناده صحيح.

٢- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن**

=

قول رسول الله في نفسه وفي أخص قرابته به، فما ظنك بسائر الأموات الذين غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية، فهو أعجز وأعجز أن ينفع نفسه أو يدفع عنها ضررًا...

فيا عجبًا!! كيف يطمع من له أدنىٰ نصيب من علم أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد هذه الأمة، هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة؟ فهل سمعت أذناك -أرشدك الله- بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع فيه عباد القبور؟!!

إنا لله وإنا إليه راجعون...». اهـ بتصرف «شرح الصدور بتحريم رفع القبور» (ص١١٢-١١٣).

يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف».

أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب: (٥٩) (٤/ ٦٦٧) رقم (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧) بإسناد حسن. وصححه الشيخ المحدث الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في المشكاة رقم (٥٣٠٢)، وفي ظلال الجنة رقم (٣١٦)، وقال الشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المسند (١/ ٤٨٩): صحيح لغيره.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الله قال: من عادىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه.**

فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». رواه البخاري رقم (٦١٣٧).

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ينزل ربنا -تبارك وتعالىٰ- كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا، حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»**[1]. رواه البخاري رقم (١٠٩٤)، ومسلم رقم (٧٥٨).

---

(١) بعد شرح الآيات نذكر شرح الأحاديث:

- أما حديث النعمان رضي الله عنه:

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٩/ ٢٢٠) ط. الكتب العلمية:

«قوله: «**الدعاء هو العبادة**»: قال ميرك: أتىٰ بضمير الفصل والخبر المعرف بـ: (أل) ليدل علىٰ الحصر في أن العبادة ليست غير الدعاء مبالغة في معناه أن الدعاء معظم العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم: «**الحج عرفة**»؛ أو المعنىٰ: أن الدعاء هو العبادة لأنه إظهار العبد العجز والاحتياج من نفسه والاعتراف بأن الله تعالىٰ قادر علىٰ إجابته كريم... وهذه هي العبادة بل مخها. اهـ

ثم قرأ الآية، قيل: استدل بالآية علىٰ أن الدعاء عبادة لأنه مأمور به، والمأمور به عبادة ﴿إِنَّ

=

=

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾؛ أي: دعائي كذا فسره الحافظ ابن كثير وغيره ﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين....

وقال الطيبي: معنىٰ حديث النعمان: أن تحمل العبادة علىٰ المعنىٰ اللغوي؛ إذ الدعاء هو إظهار التذلل والافتقار إلىٰ الله والاستكانة له، وما شرعت العبادة إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه...». اهـ من تحفة الأحوذي.

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «فالدعاء من أعظم أنواع العبادة...». «شرح الرسائل» (ص٢٥٣).

- وأما حديث ابن عباس: الشاهد منه «**إذا سألت فاسأل الله**».

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ- قوله: « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»، هذا منتزع من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه والدعاء هو العبادة... فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله تعالىٰ، ولا يسأل غيره وأن يستعان بالله دون غيره...

واعلم أن سؤال الله ﷻ هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول علىٰ رفع الضر، ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، لا يصلح الذل والافتقار إلا الله وحده لأنه حقيقة العبادة...». اهـ المراد «المنتقىٰ من جامع العلوم والحكم» (٢٩١-٢٩٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له- «شرح الأربعين» (ص١٧٥)، ط. دار العاصمة:

«قوله: «**إذا سألت فسأل الله**»؛ إذا طلبت شيئًا فاطلبه من الله الكريم المنان سبحانه الذي عنده خزائن السموات والأرض ولا تسأل الناس، وسؤال غير الله علىٰ نوعين:

الأول: سؤال فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهذا شرك أكبر كالذين يدعون الأموات ويستنجدون بالموتىٰ ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم الحوائج فيأتي أحدهم عند القبر ويقول: يا فلان أغثني، يا فلان كذا وكذا، يا ولي الله أعطني كذا، وهذا شرك أكبر.

الثاني: سؤال الناس فيما يقدرون عليه، وهذا جائز فيجوز لك أن تسأل إذا احتجت لكن الأولىٰ أن تتعفف عن سؤال الناس لأنه مذلة ونقصٌ في التوحيد...

والاستعانة مثل السؤال؛ إذا كانت بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر، وإن كانت الاستعانة بالمخلوق في شيء يقدر عليه فهذا يجوز ولكن الأحسن تركه...». اهـ

=

=

المراد [وراجع شرح الحديث كاملًا في المراجع السابقة وسائر شروح الأربعين النووية].

- وأما حديث أبي هريرة «**من عادىٰ لي وليًّا**»: فهو حديث عظيم ولذلك ذكره النووي في الأربعين.

وذكر الحافظ ابن رجب في شرحه: «وقد قيل إنه أشرف حديث في ذكر الأولياء». «المنتقىٰ» (ص٥١٨).

قوله: «**من عادىٰ لي وليًّا**»، **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «ولي الله هو المؤمن التقي كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢].

ثم بينهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣]». اهـ

وهذا ما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- في «منهاج السنة» (٧/ ٢٨)، وفي «الفتاوىٰ» (٢/ ٢٤٤)، حيث قال: «ولفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة وأئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله، وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي فإن الله يقول: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا وهم علىٰ درجتين: السابقون المقربون، وأصحاب اليمين المقتصدون كما قسم الله في سورة فاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين وفي صحيح البخاري -وذكر هذا الحديث- فالمتقربون إلىٰ الله بالفرائض هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون...» اهـ المراد

وللحافظ ابن رجب في شرحه كلام نحو هذا (ص٥١٩-٥٢٢).

- وقوله: «**آذنته بالحرب**»، أعلمته بأني محارب له حيث كان محاربًا لي بمعاداته أوليائي، فينتقم الله منه.

- قوله: «**كنت سمعه...**». إلخ

قال الحافظ ابن رجب: «متىٰ امتلأ القلب بعظمة الله تعالىٰ محا ذلك من القلب كل ما سواه فحينئذ لا ينطق إلا بذكره سبحانه ولا يتحرك إلا بأمره فهذا هو المراد...».

ومن أشار إلىٰ غير هذا فإنما يشير إلىٰ الإلحاد من الحلول والاتحاد والله ورسوله بريئان منه (ص٥٢٤).

=

=

وانظر: شرح الفوزان، وشرح آل الشيخ (ص٤٠١).

وذكر شيخ الإسلام قول الاتحادية والحلولية في هذا الحديث ثم قال: وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح (٢/ ٢٢٥).

- والشاهد من الحديث قوله: «**وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه**». فيه دعاء الله تعالىٰ واللجوء إليه وحده دون خلقه، وأن من سأله وتضرع إليه أعطاه وكفاه وآواه.

- وقوله: «**وما ترددت...**». إلخ الحديث، لما كان الموت كرب عظيم وأليم شديد كره الله تعالىٰ مساءة المؤمن بذلك ولكن لابد منه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقوله: «**ترددت**» علىٰ ظاهرها فالله أعلم بنفسه، ومن نفاها أو أولها فإنما توهم التمثيل ثم اقتحم التعطيل وكلاهما ضلال مبين، ومعناه اللائق بالحق سبحانه: أن الرب سبحانه مريد لموت عبده لما سبق به قضاؤه وهو مع ذلك كاره لمساءته وهي ألم الموت فصار الموت مرادًا للحق سبحانه من وجه ومكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادًا من وجه ومكروهًا من وجه وإن كان لابد من ترجح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت... اهـ

انظر: «الفتاوىٰ» (١٨/ ١٢٩-١٣١) (١٠/ ٥٨).

- وأما حديث أبي هريرة الأخير: ففيه الحث علىٰ الدعاء والترغيب فيه وإفراد الله تعالىٰ به فهو يدعو عبده إلىٰ دعائه وسؤاله لينال عطاء الله تعالىٰ الواسع.

فهؤلاء الذين يلجئون إلىٰ غير الله تعالىٰ إنما حملهم علىٰ ذلك الجهل بربهم.

وقوله: «**ينزل ربنا...**». نزول الله تعالىٰ كما يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف.

وخلاصة الأدلة السابقة ما يلي:

١- الحث علىٰ إفراد الله تعالىٰ بالدعاء وأنه عبادة وصرفه لغير الله تعالىٰ شرك أكبر.

٢- وصفت المدعوين من دون الله تعالىٰ: أنهم عاجزون عن الخلق والنصرة والنفع والضر لمن دعاهم، وأنهم لا يسمعون من دعاهم ولا يقدرون علىٰ إجابته، أنهم لا يملكون شيئًا من الأرض ولا من السماء وليس لهم ملك الشفاعة فمن دعاهم فقد طلب ما لا يستطاع منهم، أن هؤلاء المدعوين منهم الشيطان الرجيم الذي هو عدوهم فكيف ينفعهم وهو أمرهم بالشرك في الدعاء...

٣- أن الداعين لغير الله تعالىٰ ممن استهوته الشياطين وأضلته، وأنه بهذا الشرك في الدعاء

=

قلت:

فعلم من هذه الأدلة أن دعاء غير الله يعتبر شركًا أكبر وكفرًا ناقلًا عن الملة؛ فإن الله سماه شركًا وكفرًا كما في الآيات السابقة من السور التالية وهي: الرعد، والمؤمنون، وفاطر، والأحقاف، والجن.

فلا يحل لعاقل أن يدعو غير الله كالبدوي والجيلاني والجبرتي والزيعلي والهادي وابن علوان وابن العجيل والهتار والهاشمي والخمسة والعيدروس، وغير ذلك من عبيد الله ممن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا[1].



=

كافر مشرك الشرك الأكبر، وأن دعاءه ضلال وسفه وباطل لا نفع فيه، وأنه من المعذبين الهالكين، أنه مع ذلك لا يحصل علىٰ نفع ولا دفع ضر ولا نصر ولا غيرها لأنها طلب ذلك ممن لا يملكه، مثله كمثل العنكبوت، وكمثل من يطلب الماء من بعيد وهذا لأنه علق آماله بأضعاف الأشياء، ثم يوم القيامة تحصل العداوة بينهم وبين آلهتهم فيزدادون حسرة وندامة وخزيًا. «أيسر الشروح» (ص٦٨-٦٩).

(١) والقبور والأضرحة التي يُعتقد فيها عقائد باطلة تزيد علىٰ عشرين ألف قبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

النذر عبادة والعبادة لا تكون إلا لله[1]

---

(١) النذر لغة:

واصطلاحًا: هو إلزام الإنسان نفسه بشيء لم يلزمه بأصل الشرع. [شرح الفوزان للأصول (ص١٥٤)].

وقال القرطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «هو ما أوجبه المكلف علىٰ نفسه من العبادات مما لو لم يوجبه علىٰ نفسه لم يلزمه». «تفسيره» (٣/ ٣٣٣).

وقال ابن العربي -رحمه الله تعالىٰ-: «النذر هو التزام في الذمة بالقول لما لا يلزم من القُرَب بالإجماع من الأمة...». «القبس» (٢/ ٦٥٨).

وعلىٰ هذا فالنية وحدها لا توجب النذر عند الجمهور خلافًا للمالكية، وهكذا النذر في الواجبات عبث لأنها واجبة، والنذر فيما ليس بطاعة نذر لا يلزم لأنه ليس بطاعة، والنذر في المعصية والشرك محرم لا يجوز الوفاء به.

والنذر ينقسم إلىٰ:

١- عبادة. ٢- معصية.

٣- شرك. ٤- مباح.

فأما النذر العبادة: فهو النذر بفعل عبادة لا تجب عليه كالصدقة وحج النافلة وصيام النافلة.

وهو قسمان:

نذر مطلق ونذر مقيد.

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-: «النذر قسمان: نذر مقيد ونذر مطلق، والنذر المطلق هو: أن يلزم العبد نفسه بعبادة الله -جل وعلا- هكذا بلا قيد كأن يقول مثلًا: لله عليَّ نذر أن أصلي ركعتين، وليس هذا النذر في مقابل شيء يحدث له في المستقبل.

الثاني وهو النذر المقيد: وحقيقته أن يلزم العبد نفسه بطاعة الله -جل وعلا- مقابل شيء يحدثه الله له ويقدره ويقيضه له، كأن يقول مثلًا: إن شفىٰ الله مريضي فلله عليَّ نذر أن أتصدق بكذا وكذا... فهذا كأنه يشترط بهذا النذر علىٰ الله... «التمهيد» (ص١٥٩)، «القول المفيد» (١/ ٣٢٠).

والدليل علىٰ أنه عبادة بتوعية الآيات التي ذكرها المؤلف والأحاديث.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «يؤخذ منها أن الوفاء بالنذر قربة للثناء علىٰ فاعله

=

=

لكن ذلك مخصوص بنذر الطاعة». «الفتح» (١١/ ٥٧٦).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الله مدح الموفين بالنذر والله تعالىٰ لا يمدح إلا علىٰ فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم، ولا يمدح علىٰ فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة». «التيسير» (ص٢٠٣)، «الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١١٣٧)، «القول السديد» للسعدي (ص٥٠).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «وجه الدلالة من الآية ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ أن الله أثنىٰ عليهم لإيفائهم النذر، وهذا يدل علىٰ أن الله يحب ذلك وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة». «شرح الأصول» (ص٦٧)، «التمهيد» (ص١٥٨).

وإذا ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله تعالىٰ شرك أكبر كما هي القاعدة العامة في توحيد العبادة «القول المفيد» (١/ ٣٢٢).

حكم النذر: اختلف العلماء فيه أما النذر المطلق فالجمهور علىٰ كراهيته وذهب بعض العلماء إلىٰ تحريمه، وقال آخرون بإباحته.

أما النذر المعلق فالأدلة كثيرة في كراهيته، ونقل ابن العربي الإجماع علىٰ كراهيته، ومن أدلة ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وجاء عن أبي هريرة نحوه في الصحيح (خ٦٧٠٤) (م١٦٤٠) عن النبي ﷺ قال: «**إن النذر لا يغني شيئًا إنما يستخرج به من البخيل**». وفي لفظ: «نهىٰ عن النذر». وقد بُسط هذا في كتب الفقه.

وفصل بعض العلماء، وأن الأحاديث في النهي عن النذر إنما يراد بها المقيد لا المطلق... «التمهيد» (ص١٥٩).

وعلىٰ القول بكراهة النذر فإن كراهة المقيد أشد لأن فيه اشتراطًا كأنه لن يعمل العبادة إلا بثمنها، أو يظن أن الله لا يعطيه سؤله إلا بمقابل نذر، فهذا يجعل الكراهة شديدة.

راجع: «جهود المالكية في توحيد العبادة» (ص٣٥٢-٣٥٥).

فيكون النذر المطلق مكروهًا ابتداءً، ومحبوبًا من جهة الوفاء به، ومحبوبًا أيضًا لما فيه من التقرب إلىٰ الله تعالىٰ ببذل المال وفعل العبادة.

وجوب الوفاء به:

الأدلة ظاهرة في ذلك، ونقل ابن العربي الإجماع علىٰ وجوب الوفاء بالنذر. «القبس» (٢/ ٦٦٠).

=

=

والمراد نذر الطاعة كما ذكره ابن بطال ونقل الإجماع عليه. «شرحه للبخاري» (٦/ ١٥٦)، «جهود المالكية» (ص٣٥٧).

- **وأما نذر المعصية**: فهو: أن ينذر أن يعمل معصية أو يترك طاعة كأن يقول: لله عليَّ أن أترك صلاة الفجر حتىٰ تطلع الشمس.

وقد أجمع العلماء علىٰ حرمته.

قال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «واتفقوا علىٰ تحريم النذر في المعصية».

وأجمعوا علىٰ أنه **لا** يجوز الوفاء به كما في حديث عائشة الآتي.

وجمهور العلماء **علىٰ** أنه عليه كفارة يمين.

- **وأما النذر المباح**: هو أن ينذر أن يعمل مباحًا كقوله: نذرت أن ألبس عمامة حمراء -مثلًا-، فمثل هذا لا يتعلق به حكم؛ لأن المقصود من النذر القربة وليس في فعل المباح قربة.

«**التيسير**» (ص٢٠٣)، «جهود المالكية» (ص٣٥٠).

- **وأما النذر الشركي فهو**: أن يصرف النذر لغير الله تعالىٰ من جن أو قبر أو غير ذلك، وذلك **أنه ثبت أن النذر عبادة** فصرفه لغير الله شرك كما هي القاعدة العامة.

قال الشيخ قاسم الحنفي -رحمه الله تعالىٰ- في «شرح درر البحار»: «النذر الذي ينذره أكثر **العوام علىٰ ما هو** مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة ضرورية فيأتي **بعض الصلحاء -الأموات-**، ويقول: يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي فلك **كذا وكذا، فهذا** النذر باطل بالإجماع لوجوه:

منها: **أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق**.

ومنها: **أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئًا**.

ومنها: **أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله؛ واعتقاد ذلك كفر**...

إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلىٰ ضرائح الأولياء تقربًا إليهم، فحرام بإجماع المسلمين». اهـ من «**التيسير**» (ص٢٠٦).

وقال الإمام الأذرعي -رحمه الله تعالىٰ- في «شرح منهاج النووي»: «وأما النذور للمشاهد التي بنيت علىٰ قبر ولي أو شيخ أو علىٰ اسم من حلها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأنبياء والصالحين؛ فإن قصد الناذر بذلك -وهو الغالب والواقع- تعظيم البقعة

=

=

والمشهد والزاوية أو تعظيم من دفن فيها أو نسبت إليه فهذا النذر باطل...». «بواسطة التيسير» (ص٢٠٥).

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «فهذه النذور الواقعة من عباد القبور وأشباههم لمن يعتقدون فيه نفعًا أو ضرًّا فيتقرب إليه بالنذر ليقضي حاجته أو ليشفع له كل ذلك شرك في العبادة وهو شبيه بما ذكر الله عن المشركين في قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام:١٣٦].

وقد نص غير واحد من العلماء علىٰ أن النذر لغير الله شرك...». اهـ (آية البقرة:٢٧١/ التفسير)، «التيسير» (ص٢٠٣-٢٠٤).

وقال الإمام الصنعاني -رحمه الله تعالىٰ-: «**قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها** يسعون في جمعها ولو **بارتكاب كل معصية، ويقطعون الفيافي من أدنىٰ الأرض والأقاصي** فلا يبذل أحد من ماله **شيئًا إلا معتقدًا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر، فالنادر للقبر** ما أخرج ماله إلا لذلك، **وهذا اعتقاد باطل...**

وأما القابض للنذر؛ **فإنه حرام عليه قبضه؛ لأنه أكل لمال الناذر بالباطل، وقد قال تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ **[البقرة:١٨٨]؛ ولأنه تقرير للناذر علىٰ شركه** وقبح اعتقاده... وما كانت **النذور للأصنام والأوثان إلا علىٰ هذا الأسلوب يعتقد الناذر جلب النفع** من الصنم ودفع الضرر...

فإن قلت: إن الناذر **قد يدرك النفع والضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله؟!**

قلت: كذلك الأصنام **كان يدرك منها ما هو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها والإخبار** ببعض ما يكتمه الإنسان؛ **فإن كان هذا دليلًا علىٰ حقيقة وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلًا** علىٰ حقيقة الأصنام، **وهذا هدم للإسلام وتشييد لأركان الأصنام.**

والتحقيق أن **لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد...** فيدخل جوف الأصنام **ويلقي الكلام في أسماع الأقدام -الغبي- ومثله يصنعه في** عقائد القبوريين...». اهـ **بتصرف «تطهير الاعتقاد» (٩٤-٩٧).** ط ابن حزم.

وقال شيخ الإسلام -**رحمه الله تعالىٰ**-: «**الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ولا كفارة**؛ فإنه شرك والشرك ليس له حرمة، بل **عليه أن يستغفر الله من هذا النذر...**».

وقال: «وكذلك إذا **نذر مالًا** للسدنة أو **العاكفين بتلك البقعة؛ فإن هؤلاء السدنة فيهم شبه** من

=

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥].

وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان:٧].

=

السدنة التي كانت للات والعزىٰ ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورين هناك فيهم شبه من العاكفين الذي قال فيهم إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]... وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان المجاورين عندها...». اهـ «اليسير» (ص٢٠٤).

وقال الشيخ صالح الفوزان -رحمه الله تعالىٰ وحفظه-: «... النذر لغير الله من الجن والأولياء والصالحين أو أصحاب القبور، وهذه عبادة لغير الله ﷻ فهو شرك، وهذا واقع في هذه الأمة بكثرة من حين وجدت الأضرحة وبنيت علىٰ القبور وصار كثير من الناس يتجهون إليها لأنهم قيل لهم: إن هذه القبور فيها بركة وفيها نفع وفيها دفع ضرر، وإنها مجربة...

وقد يفعلون هذا ويحصل لهم مقصودهم ابتلاءً وامتحانًا من الله ﷻ، أو أن هذا يصادف قضاءً وقدرًا؛ فيحصل ويظنون أنه بسبب النذر لهذا الميت، أو لهذا القبر، أو هذا الولي -بزعمهم-، وحصول المقصود لا يدل علىٰ جواز الفعل فيجب التنبه لهذه الشبهة لأنهم أهلكوا بها كثيرًا من الناس يقولون: القبر الفلاني مجرب إذا فعل الإنسان عنده نذرًا أو ذبح ذبيحة يحصل له مقصود، فبذلك انصرفت قلوب كثير من العوام والجهال أو حتىٰ بعض العلماء غير المحققين إلىٰ فعل هذا، والنبي ﷺ يقول: «**وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**».

فالخطر شديد من هذه الأمور لأنها كثرت في الأمة بسبب وجود هذه الأوثان التي يسمونها الأضرحة ضريح الست نفيسة ضريح البدوي ضريح فلان، صُرفت لها العبادة من نذور وذبح لغير الله وتبرك بها وطواف بها ودعاء عندها إلىٰ غير ذلك...». «إعانة المستفيد» (١/ ٢٤٠-٢٤١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (١)﴾ [النحل: ٥٦].

---

(١) **الشاهد من هذه الآيات ذكر النذر.**

فأما آية البقرة (٢٧٠): قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده». اهـ المراد

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالى-: «إن الله قرن النذر بالنفقة، والنفقة في سبيل الله طاعة فدل على أن النذر طاعة» (١/ ٢٤٣).

- وأما آية آل عمران (٣٥): دليل على مشروعية النذر، إلا أن النذر بالأولاد كان في شرع من قبلنا أما في شرعنا فلا أعلمه مشروعًا، والله أعلم.

- وأما آية الحج (٢٩) ﴿لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾: أي: نسكهم ويزيلوا الوسخ الذي لحقهم حال الإحرام، ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم من الحج والعمرة، وهو دليل على وجوب الوفاء بالنذر المشروع.

﴿الْعَتِيقِ﴾ القديم في بنائه، فهو أول مسجد في الأرض.

- وأما آية الإنسان: ففيها وجوب الوفاء بالنذر والمدح لهم بالوفاء بالنذر، دليل على أنها عبادة كما سبق بيانه.

- وأما آيتا الأنعام والنحل: ففيهما ما كان عليه المشركون من النذر لله ولأصنامهم فجعلوا الآلهة الباطلة شركاء لله تعالى فيما رزقهم ثم هم مع ذلك لا يبالون بما جعلوه لله، ويعتنون بما جعلوه لآلهتهم...

والحاصل: أن هذا كله لغير الله تعالى فالله لا يرضى أن يشرك به أحد.

وإذا قارنت هذا بما يصنعه عباد القبور لوجدت دينهم وديدنهم واحدًا، بل هؤلاء القبورية أشد كفرًا ونفاقًا فقد أضافوا إلى شركهم اعتقاد التصرف والرزق والنفع والضر في أوليائهم المقبورين.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**»[١].

أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور رقم (٦٣١٨، ٦٣٢٢).

قلت:

والنذر لغير الله شرك فلا يجوز الوفاء به.

قالت اللجنة الدائمة للإفتاء:

«النذر لغير الله شرك أكبر[٢]؛ لأنه عبادة وصرفها لغير الله شرك». انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١١٤).



---

(١) الحديث صريح في جواز النذر وأنه عبادة، وإنما يكره من وجه أنه إيجاب ما لم يجب وهو محبوب من وجه آخر حيث فيه التقرب إلى الله تعالى ببذل المال، أو فعل الطاعة، وهذا في النذر المطلق فتكون الكراهة للتنزيه، وأما النذر المقيد -نذر المجازاة- فهو مكروه، والأدلة في ذلك كثيرة وقد سبقت.

وقوله: «فلا يعصه». دليل على تحريم نذر المعصية كمن نذر أن يقطع رحمه... وهذا مجمع على تحريمه كما سبق، وسواء كانت المعصية شركًا وكفرًا، أو من الكبائر أو من الصغائر.

(٢) هذا الذي رجحه جمهور العلماء من السلف والخلف، وقد وجد من قسّمه إلى شرك أكبر وأصغر كابن رجب -رحمه الله تعالى-.

انظر: «فضل علم السلف على الخلف» (ص١٠٢)، و«عقيدة ابن رجب» (١/ ٢٩٣).

وهذا القول مرجوح وقول الجمهور راجح؛ إذ إن صرف العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر.

شروط النذر ستة

١ - أن يكون لله لا لغيره.

٢ - أن يكون في طاعة لا في معصية[(١)].

٣- أن يكون مما يطيقه العبد لا فيما لا يطيقه.

٤ - أن يكون فيما يملكه العبد لا فيما لا يملكه.

٥ - ألا يكون في موضع كان يعبد فيه غير الله، أو ذريعة إلىٰ عبادة غير الله.

٦ - ألا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصول ما نذر من أجله[(٢)].

وانظر: معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٤٥٥).

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نذر رجل علىٰ عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟!».

قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟».

---

(١) سبق في الباب الذي قبله بيانها.

(٢) أما الشرط الثالث فدليله قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: نذرت أختي أن تمشي إلىٰ بيت الله فأمرتني أن أستفتي لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فقال: «لتمش ولتركب». متفق عليه، وأدلة أخرىٰ.

وأما الشرط الرابع فدليله حديث: «لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما يملك ابن آدم». رواه مسلم، وسيأتي في حديث ثابت.

والشرط الخامس دليله الحديث الذي ذكر المؤلف، والشرط السادس؛ فلأن اعتقاد ذلك من الشرك فالأمر كله لله تعالىٰ، ودليله حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخره». متفق عليه.

وفي حديث أبي هريرة رفعه: «إن النذر لا يرد شيئًا». متفق عليه.

وفي لفظ: «لا يأتي ابن آدم النذرُ بشيء ولكن يلقيه النذر إلىٰ القدر».

والمعنىٰ: لا يحصل له إلا ما قد قدره الله تعالىٰ. وانظر: معارج القبول.

قالوا: لا. قال النبي ﷺ: **«أوفِ بنذرك؛ فإنه لا وفاء بنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»**(١).

رواه أبو داود رقم (٣٣١٣)، وصححه الشيخان المحدثان الجليلان: الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٥١)، والشيخ مقبل في الجامع الصحيح (٤/ ٤٧١).



---

(١) هذا الحديث ذكره الإمام محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتابه العظيم «كتاب التوحيد»، باب: لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله.

وذكر من فوائده أنه لا يجوز النذر بمكان فيه وثن أو عيد للمشركين، ومن نذر بهذا فلا يجوز الوفاء بنذره لأنه نذر معصية.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «ويستفاد من الحديث أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله.

والحكمة من ذلك ما يلي:

الأول: أنه يؤدي إلىٰ التشبه بالكفار.

الثاني: أنه يؤدي إلىٰ الاغترار بهذا الفعل؛ لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز.

والثالث: أن هؤلاء المشركين سوف يقوون علىٰ فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم ولا شك أن تقوية المشركين من الأمور المحظورة، وإغاظتهم من الأعمال الصالحة قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ﴾».

«القول المفيد» (١/ ٣١٠).

والفائدة الكبرىٰ والقاعدة العظمىٰ: وجوب سد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك كالتصوير، ورفع القبور، والذبح لله عند القبور، وغير ذلك، وهذا مبحث واسع مهم يراجع له الكتب المؤلفة في هذا الباب.

تحريم الذبح لغير الله[1]

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

نسكي: أي ذبحي وحجي وعبادتي.

وقال ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[2].

---

(١) الذبح لغة: قطع الحلقوم. «اللسان».

اصطلاحًا: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «الذبح: إزهاق الروح بإراقة الدم علىٰ وجه مخصوص». «الأصول» (ص٦٦).

وعرفه آخرون: إنهار الدم وفري الودجين في المذبوح والنحر للمنحور والعقر للمتوحش... «الجامع للقرطبي» (٦/ ٥٣).

والذبح عبادة للأدلة التي ذكرها المؤلف وسيأتي شرحها.

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن نصوص الكتاب والسنة صريحة في الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه كما هي صريحة بذلك في الصلاة فقد قرن الله الذبح بالصلاة في عدة مواضع من كتابه، وإذا ثبت أن الذبح لله من أجلِّ العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج من دائرة الإسلام». «القول السديد» (ص٥١).

(٢) قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسيره آية الأنعام: «يأمره تعالىٰ أن يخبر المشركين الذين كانوا يعبدون غير الله تعالىٰ، ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك؛ فإن صلاته لله ونسكه علىٰ اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾؛ أي: أخلص له صلاتك وذبحك؛ فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ». اهـ

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك الدالتين علىٰ القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلىٰ الله وإلىٰ عِدَته وأمره وفضله... ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

=

أخرجه مسلم في آخر كتاب الأضاحي رقم (١٩٧٨).

قلت:

يؤخذ من هذه الأدلة أن الذبح عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله، فمن صرفها لغير الله فقد أشرك شركًا أكبر، وأن من ذبح لغير الله كجني وقبر وغير ذلك فهو يستحق اللعن والطرد من رحمة الله إلا أن يتوب إلىٰ الله، فمن تاب تاب الله عليه، «**لعن الله من ذبح لغير الله**»[1].

=

والنسك هي الذبيحة ابتغاء وجهه وهو من أجل العبادات المالية، وما يجتمع للعبد في نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين...». «الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٣١-٥٣٢).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، فأمره بالصلاة وأمره بالنحر، وإذا أُمر به فهو داخل في حد العبادة...». «التمهيد» (ص١٤٥).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا يدل علىٰ أن النحر والصلاة عبادة لأنه أمر بهما، فمن نحر لغير الله فقد أشرك كما لو صلىٰ لغير الله، فمن ذبح للصنم أو الجن وغيرهم فقد أشرك». «شرح كتاب التوحيد» (ص٤٩).

- وأما الحديث: فقوله: «**لعن الله**».

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «اللعن من الله الطرد والإبعاد عن رحمته». (١/ ٢٨٥).

قوله: «**من ذبح لغير الله**» عام يشمل كل ذبح لغير الله، والحديث دليل علىٰ أنه كبيرة من كبائر الذنوب الشركية.

(١) **قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-:** «الذبح يقع علىٰ وجوه:

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي شرعه الله تعالىٰ وصرفه لغير الله شرك أكبر...

الثاني: أن يقع إكرامًا لضيف أو وليمة عرس ونحو ذلك، فهذا مأمور به لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»، وقوله لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**».

الثالث: أن يقع علىٰ وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك؛ فهذا من قسم المباح.

فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس:٧١-٧٢].

=

واللعن: هو الطرد من رحمة الله.



* * *

=

وقد يكون مطلوبًا أو منهيًّا عنه حسبما يكون وسيلة له». «الأصول» (ص٦٦-٦٧).

وقال **الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالىٰ- في تقسيم الذبائح:** «١- أن يذبح باسم الله فهذا هو التوحيد.

٢- أن يذبح باسم الله لغير الله فهذا شرك في العبادة.

٣- أن يذبح بغير اسم الله لغير الله، وهذا شرك في الاستعانة وشرك في العبادة.

٤- أن يذبح بغير اسم الله، ويجعل الذبيحة لله، فهذا شرك في الربوبية». «التمهيد» (ص١٣٩).

تنقسم الذبائح إلى ثلاثة أقسام

أولًا: ذبائح مشروعة وهي مثل:

١- الضحايا.

٢- الهدايا.

٣- ذبح النذور لله.

٤- العقيقة علىٰ المولود في يوم سابعه أو بعده.

٥- الذبح في الولائم.

٦- الذبح لإكرام الضيوف.

٧- ذبح صدقة يتقرب بها إلىٰ الله.

٨- ذبح الفدية في الحج والعمرة(١).

---

(١) جميع الذبائح المشروعة عبادة لله تعالىٰ، وقد ذكر المؤلف منها ثمانية أنواع:

١- الضحايا: جمع ضحية: ويقال: أضحية: بضم الهمزة وكسرها والجمع: أضاحي...

قال القاضي: «سميت بذلك لأنها تفعل في وقت الضحىٰ وهو ارتفاع النهار.

شرعًا: اسم لما يذبح من الأنعام يوم النحر وأيام التشريق تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ». «تحرير التنبيه» للنووي (ص١٨٢) وغيره.

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

وقول الرسول ﷺ: «**من ضحَّىٰ قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**». رواه مسلم.

وفي الباب أحاديث كثيرة متواترة، وأجمع أهل العلم والمسلمون علىٰ مشروعيتها.

٢- الهدي: قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «الهدي: ما يهدىٰ إلىٰ الحرم من الحيوان وغيره، والمراد هنا: ما يجزئ في الأضحية من الإبل والبقر والغنم». «تحرير التنبيه» (ص ١٧٧-١٧٨)، وانظر: «غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٥٤).

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ [الحج:٣٦].

الآيات والأدلة كثيرة.

=

=

ويطلق الهدي على الفدية كما سيأتي، والمراد هنا: الهدي الذي يذبح يوم النحر أو أيام التشريق.

٣- **ذبح النذور لله**: وهو ذبح نذر العبد بذبحه لله تعالىٰ سواء قيد بزمان أو مكان أو لا، وقد سبق قريبًا في بابه.

٤- **العقيقة**: اسم لما يذبح عن المولود، قال الخطابي -رحمه الله تعالىٰ-: العقيقة اسم الشاة المذبوحة عن الولد سميت بذلك لأنها تعق (مذابحها)؛ أي: تشق وتقطع.

وأصل العقيقة كما قال الأصمعي: الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد.

قال ابن فارس: «الشاة التي تذبح والشعر كل منهما يسمىٰ عقيقة». «الهدي والأضحية والعقيقة» للطيار (ص٨٨-٨٩).

ودليله قوله ﷺ: «**مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دمًا، وأميطوا عنه الأذىٰ**». رواه البخاري عن سليمان بن عامر، وله شواهد كثيرة، والعقيقة مشروعة عند عامة العلماء.

٥- **الذبح في الولائم**: أصل الوليمة: تمام الشيء واجتماعه.

وشرعًا: اسم للذبيحة والطعام في العرس خاصة. «فقه الزواج» (ص٧٩-٨٠/ نحوه).

ودليله قوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أولم ولو بشاة**». متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

وهي مشروعة بإجماع العلماء.

٦- **الذبح لإكرام الضيف**: بمعنىٰ إذا قدم علىٰ فلان ضيف وذبح ذبيحة ليكرمه ويطعمه منها.

وهو مشروع بلا خلاف ودليله قوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**». متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي سنن أبي داود أن لقيط بن صبرة لما قدم بوفد قومه على النبي ﷺ ذبح لهم شاة، وهو في الصحيح المسند لشيخنا، والأدلة كثيرة.

٧- **ذبح صدقة يتقرب بها إلىٰ الله**: وهو أن يذبح ذبيحة ويوزع لحمها على الفقراء وغيرهم.

وهو مشروع بلا خلاف.

وأدلة الصدقة كثيرة، ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج:٣٦]. الآية.

وقوله ﷺ لما أعطىٰ بريرة بلحم من الصدقة فأرسلت إلىٰ أزواجه منه فقال: «**هي عليها صدقة ولنا هدية**». رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

=

ثانيًا: ذبائح مباحة وهي مثل:

١- ذبح الجزار للبيع.

٢- الذبح للأكل[(١)].

=

٨- **الفدية:** الذبح الذي يجب بسبب ترك واجب أو فعل محذور في الحج والعمرة أو إحصار.

دليله قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة:١٩٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة:٩٥].

وقوله: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ﴾ [البقرة:١٩٦].

(١) الذبائح المباحة هذا حكم الذبيحة عينها لا حكم الذبح، فالذبيحة مباحة، أما الذبح -وهو إراقة الدم- فهو عبادة وقد أوجب الله تعالىٰ ذكر اسمه علىٰ كل ذبيحة.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة:٤].

وقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:١١٨].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ﴾ [الأنعام:١٢١] الآية.

فهذا يدل علىٰ تحريم الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها، ولو كانت من الأنعام، فظهر بذلك التعبد بالتسمية والذبح علىٰ الطريقة الشرعية. راجع: «الفتاوىٰ» (٣٥/ ٢٣٩) وغيره.

وقال العلامة الصنعاني -رحمه الله تعالىٰ-: «وحينئذ تعلم أن كل دم يراق لغير الله فهو عبادة، وكل عبادة لغير الله محرمة، وبه يعرف أن الحق ما ذهب إليه الشافعي في تحريم كل مذبوح أُهِلَّ لغير الله، فإن قلت: ذبائح الجزارين مما أهل لغير الله ومما ليس بعبادة؟

قلت: بل هو عبادة؛ لأنه يكتسب الحلال وطلب الحلال فريضة». «مسائل في الذبح علىٰ القبور» (ص٤٢)، و«مصباح الظلام» للديلمي (ص٥٩).

فظهر بذلك أن الفعل -الذبح- عبادة من جهة ذكر اسم الله علىٰ الذبيحة التي معناها: الاستعانة بالله.

=

ثالثًا: ذبائح محرمة، وهي قسمان:

القسم الأول: شرك أكبر مثل:

١- الذبح للأصنام.

٢-الذبح للجن.

٣- الذبح للقباب والمشاهد والقبور.

٤- الذبح لمرض الزار، وهو من أنواع الذبح للجن.

٥- الذبح للبئر الجديدة قبل الشرب من مائها، وهو من أنواع الذبح للجن، وكذا إذا غار ماؤها فيذبحون للجن حتىٰ يعود ماؤها حسب زعمهم.

٦- الذبح عند الانتهاء من بناء البيت الجديد قبل السكن بقصد حجاب من الجن.

٧- الذبح عند دخول العروسين البيت ومشيهما علىٰ دم الذبيحة، وهو من أنواع الذبح للجن.

٨- الذبح السنوي للجبل حتىٰ لا يسقط علىٰ البيوت المجاورة حسب زعمهم.

٩- الذبح السنوي للبحر أو النهر حتىٰ لا يبتلع من بجواره حسب زعمهم.

١٠- الذبح للمريض من أجل الجن أن يخرجوا منه إن كانوا قد دخلوا فيه، أو لا يدخلون فيه إن كانوا لم يدخلوا حسب زعمهم.

١١- الذبح للجن إذا وجد كنز في مكان الكنز[1].

=

ومن جهة قصد الذابح من كسب الحلال أو أكل الحلال الطيب؛ لأن الله أحله. وراجع كلام الشيخ ابن عثيمين السابق.

ولو كانت مما أهل لغير الله به لحرمت ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

(١) ذكر الشيخ في هذا الفصل بعض الذبائح الشركية التي كثر شيوعها وانتشرت وسنشرحها حسب الترتيب:

- وأما كونها شركية فقد سبق بيانه وأدلته.

=

=

١- **الذبح للأصنام: قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-:** «إن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمر الله بمخالفتهم، والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ». اهـ، وقد سبق.

ودليله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [النحل:١١٥]، وهو ما أهل للأصنام ونحوها.

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «وهو ما ذبح علىٰ غير اسمه تعالىٰ من الأنصاب والأنداد والأزلام ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له». اهـ

وقال السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «كالذي يذبح للأصنام والأوثان من الأحجار والقبور ونحوها». اهـ، وهو كفر بإجماع الأمة وشرك أكبر.

٢- **الذبح للجن: قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-:** «ولهذا لم يجز الذبح لغير الله ولا أن يسمىٰ غير الله علىٰ الذبائح، وحرم سبحانه ما ذبح علىٰ النصب وهو ما ذبح لغير الله، وما سمي عليه غير اسم الله، وإن قصد به اللحم لا القربان، ولعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله ونهىٰ عن ذبائح الجن، وكانوا يذبحون للجن، بل حرَّم الله ما لم يذكر اسم الله عليه مطلقًا كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة». «الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٥٨).

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام:١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، يعوذون بدعائهم والذبح لهم... وحكمه أنه شرك أكبر كما سيأتي.

وسأذكر بعض ما يذبح للجن:

أ- الذبح عند ولادة المرأة حتىٰ لا يموت أولادها.

ب- الذبح في رجب ومرادهم بذلك التقرب للجن حتىٰ لا يؤذوا أولادهم وأموالهم... وهي من ذبائح الجاهلية التي ورثتها القبورية، وكانت تسمىٰ (العتيرة)؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**لا فرع ولا عتيرة**». متفق عليه (خ٥٤٧٣) (م١٩٧٦) عن جابر رضي الله عنه.

ثم إنهم بعد الذبح يلطخون الأبواب والجدران ونحو ذلك أو يصنعون (حضرة) صوفية...

ت- الذبح في المكان الذي سقط فيه شخص وأغمي عليه خوفًا عليه أن يأخذه الجن.

[وانظر: «مصباح الظلام» للديلمي (ص٩٠-٩٦)].

=

=

ومن هذا ما ذكر الشيخ برقم (٤، ٥، ٦، ٧، ١٠، ١١) وشرحها:

٤- **الذبح لمرض الزار...**: وهو مرض، نوع من الصرع (انظر: (ص١٣٥) من كتاب فتاوىٰ العلماء في علاج السحر...).

وقد سئلت عنه اللجنة الدائمة فأجابت: الذبح لغير الله شرك أكبر، وقد لعن النبي ﷺ من ذبح لغير الله، فلا يجوز لك الذبح المذكور... اهـ

٥- **الذبح للبئر الجديدة...**: وصفة هذا الذبح في الغالب: الذبح علىٰ شفير البئر أو في قعرها حتىٰ يسيل الدم في الماء خوفًا أن الجن تُذهب الماء ويغور فتترضىٰ بالذبح لها. «مصباح الظلام» (ص٩١).

وقد سئل عنه شيخنا في «قمع المعاند» (ص٤٦٧)، فأجاب: «هذه الذبيحة لا تحل؛ لأنها ذبحت لغير الله، فيذبحون من أجل الجن، وسواء كانت في البيت أو من أجل البئر لا يجوز أن تؤكل، والذابح ملعون لأن الرسول ﷺ قال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»».

٦- **الذبح عند بناء البيت**: وله صور إما الذبح عند ابتداء البناء أو بعد الانتهاء خوفًا أن تسكن الجن فيه أو تقتل الأولاد والأموال وربما صحب ذلك وليمة تسمىٰ (حضرة)، وربما صحب ذلك إشعال النار والصياح بكلام معروف عند من يفعله، وذلك كله شرك والذبح في هذه الحالة بهذا الاعتقاد شرك أكبر كما سبق من كلام اللجنة الدائمة.

والواجب أن المسلم يتوكل علىٰ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

٧- **الذبح عند دخول العروسة...**: وهذا من قلة الثقة بالله تعالىٰ وعدم الخوف من الشرك، وربما صحب ذلك الذبح نثر الملح وكسر البيض ونحو ذلك.

وهذا الذبح إن كان الذابح قصد به الجن فهو شرك أكبر، وإن كان متابعة لعادات الناس وخرافاتهم، وكان الذبح لله تعالىٰ -وهذا نادر- فهو بدعة وخرافة.

قال شيخنا -رحمه الله تعالىٰ-: «هذه تعتبر خرافة؛ لأن العروسة الله هو الذي يحفظها وهو الذي يؤلف بين الزوجين ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

وهكذا أيضًا سواءً أكسرت البيضة أم انتظروا خارج البيت حتىٰ يطلع النجم من أجل أن يدخلوها...

=

والخلاصة: أن الذبح لغير الله يعتبر شركًا أكبر.

=

والمهم أن المنجمين لهم خرافات وخزعبلات، وربما يكون اسمها زينب ويقولون هذا اسم لا يتلاءم مع اسم الزوج، اقلبوا اسمها فاطمة أو عائشة إلىٰ غير ذلك من الخرافات...». اهـ بتصرف «مجموع فتاوىٰ الشيخ» (١/ ١٢١-١٢٢).

١٠- **الذبح للمريض من أجل الجن...**: سئلت اللجنة عن ذلك فأجابت: يحرم الذهاب إلىٰ السحرة والمشعوذين ممن يدعي معرفة الأمراض وأسبابها بطرق غير عادية؛ لأن ما يأمر به من الذبح لغير الله شرك أكبر. «فتاوىٰ العلماء في علاج السحر» (ص٤٣).

وسواء ذهب إلىٰ الساحر أو لم يذهب وذبح للجن فهو شرك أكبر.

وعلىٰ المريض أن يسعىٰ للعلاج بالطرق الشرعية والأدوية المباحة والرقىٰ والشفا من الله تعالىٰ، قال سبحانه عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠].

وقال ﷺ: «**اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك**». متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

١١- **الذبح للجن إذا وجد كنز...**: ويزعمون أنه إذا لم يذبح للجن أن الكنز يختفي ويصير ترابًا أو رمادًا، وربما طلب الجن من واجد الكنز قتل أحد أولاده ونحو ذلك. وهذا شرك أكبر والذبح لا يجوز.

ومن الذبح الشركي ما ذكره المؤلف برقم (٨/ ٩):

٨- **الذبح السنوي للجبل...**: وهذه خرافة وعقيدة شركية فاسدة.

٩- **الذبح السنوي للبحر...**: وهذا خرافة كسابقتها وربما تصل إلىٰ الشرك الأكبر إذا صحبها اعتقاد فاسد، وشرك في الربوبية إذ فيه إسناد الحوادث إلىٰ غير الله تعالىٰ.

ومن الذبائح الشركية: الذبح للقباب والمشاهد والقبور، وقد سبق كلام كثير حول ذلك.

وقال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-: «ومن فعل ذلك فهو مشرك وملعون سواء تلفظ وقال: هذه الذبيحة للقبر أو للبدوي أو للسيد الحسين أو لفلان أو لفلان أو نوىٰ بقلبه فقط، وهذه الذبيحة حرام لأنها تدخل في قوله: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣]...». «إعانة المستفيد» (ص٢٢٤-٢٢٥).

وقال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفرًا؛ فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا». اهـ، انظر: «شرح مسلم»، و«تيسير العزيز الحميد» (ص١٣٧)، «التمهيد» (ص١٤٠).

وقد أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بأن: الذبح لغير الله تعالىٰ شرك أكبر... انظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ١٢٧).

القسم الثاني من الذبائح المحرمة مثل:

١- الذبح لله في تفضيل مكان زعموا فضل الذبح لله فيه ولم يأتِ الشرع بذلك.

٢- الذبح عند الخصومة لإرضاء الخصم ولا يرضىٰ عنه خصمه إلا بذلك، وله أسماء متعددة عندهم.

ومن أهل العلم من عده من الشرك كالشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوىٰ له (٢/ ٥٧٣) جمع الطيار، وأحمد بن باز.

وانظر: رسالة أخينا الفاضل أبي نصر الشيخ: محمد الإمام حول هذا الموضوع.

٣- الذبح عند القمار يذبحه المغلوب للفائزين.

٤- ومن الذبائح المبتدعة تخصيص ذبيحة ليلة النصف من شعبان، أو ٢٧ رجب، أو ليلة ١٢ من ربيع الأول، أو أول السنة أو آخر السنة، إلىٰ غير ذلك من الذبائح المبتدعة.

٥- الذبح لله عند القبر[1].

---

(١) ذكر المؤلف في هذا الفصل الذبائح المحرمة، وهي إما مبتدعة، وإما دون البدعة:

١- **الذبح في مكان بزعم أن فيه فضيلة**؛ هذه بدعة؛ لأن فيه إثبات فضيلة الذبح في مكان كذا دون دليل يدل علىٰ هذا الفضل، فهذه هي البدعة كما ذكرت في بابه، وهكذا لو خصص زمانًا دون دليل كشهر رجب.

ومن ذلك: الذبح عند صخرة بيت المقدس، فقد ذكر شيخ الإسلام أن ذلك من البدع. «الفتاوىٰ» (٢٧/ ١١).

والذبح عند الاستسقاء، والذبح عند قدوم الحاج، والذبح عند ختم القرآن، وغير ذلك من التخصيص الذي لا دليل عليه.

٢- **الذبح عند الخصومة**...: ومن أسمائه (الهجر، المنصد، الرضا، الودىٰ، البرهة، الصلح، الغلاق...).

وهو علىٰ صورتين:

=

=

الأولىٰ: أن يذهب المخطئ بالذبيحة ويذبحها يطلب رضا المذبوح له ليرد زوجته مثلًا أو يعفو عن القتل أو غير ذلك... وهو أخطر الأمرين.

والصورة الثانية: أن يسوق الذبيحة ويذبحها لإلزامه بذلك عن طريق الحاكم، وهو مع ذلك لا يبالي برضا خصمه ويرىٰ أنه قد قهره بضربٍ أو غيره فلا يبالي بالذبيحة بعدها.

وكلاهما محرم لأمور كثيرة؛ منها: أنه حكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

- **الثاني**: أنه ذبح لغير الله تعالىٰ، وقد سبق حكمه.

- **الثالث**: أنه مشابه لعادة الجاهلية المسمىٰ بالعقر.

- **رابعًا**: أنه فتح لباب الفتن وتحريض للناس علىٰ ظلم الآخرين لحقارة الحكم بهذا الذبح في نظرهم...

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «إن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق والتقرب إليه بالعقيرة، وهذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله، ومن جنس ما يفعله بعض الناس عند قدوم بعض العظماء.

وقد قال جماعة من العلماء: إن هذا يعتبر من الذبح لغير الله، وذلك لا يجوز، بل هو من جملة الشرك...

وهذا العمل من حكم الجاهلية وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وفيه مشابهة لأعمال عُباد القبور والأشجار والأحجار كما تقدم، فالواجب تركه وفيما شرع الله من الأحكام ووجوه الإصلاح ما يغني ويكفي عن هذا الحكم، والله ولي التوفيق». «فتاوىٰ ابن باز» (١/ ٤٤٢-٤٤٣).

وقال شيخنا -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا الذبح لا يحل وهو ذبح لغير الله فهو ما ذبح إلا من أجل طيبة نفس فلان...». «إجابة السائل» (ص٦٨٨).

فهل الذبح هذا شرك أكبر أم بدعة؟ لا تصل إلىٰ حد الشرك الأكبر إلا أن يقصد الذابح التقرب أو التعبد لغير الله تعالىٰ، والحكم بها كفر أصغر، إلا أن يرىٰ أن ذلك الحكم أفضل من حكم الله تعالىٰ فكفر أكبر كما سيأتي في بابه.

ويدخل في هذا الباب العقر والذبح عند السلطان ونحو ذلك. «التمهيد» (ص١٤٠)،

=

عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة،

=

«مصباح الظلام» (ص١٠٤-١٠٥).

قال عبد الهادي البكري -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا يمتري مسلم في كون الذبح لغير الله من الشرك الأكبر... قال الرافعي: واعلم أن الذبح للمعبود نازلة منزلة الجود، فمن ذبح لغير الله من حيوان أو جماد، لم تحل ذبيحته وكان كافرًا كمن سجد لغير الله سجدة عبادة...». «تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد» (ص١٤٨-١٤٩). ط. أضواء السلف.

٣- الذبح عند القمار...: وهو من البدع المحرمة، ومن سنن الجاهلية، وهو داخل في قوله ﷺ: «**من قال لأخيه تعال أقامرك فليتصدق**». رواه مسلم، دل علىٰ أنه قال ما لا يحل فكيف بالذبح؟!

٤- ذبيحة النصف من شعبان...: هذه من البدع إن لم تصحبها أعمال شركية والواقع أن ذلك مصحوب بالشرك عند أكثر الذابحين، ففي شعبان تنحر النحائر عند القبور وتسمىٰ الشعبانية، وفي رجب الرجبية وهي للجن كما سبق، وأما ذبيحة ربيع فهي (ذبيحة المولد)، تذبح في مولد الرسول ﷺ -زعموا- وزادوا عليها ذبائح في مولد الحسين ومولد البدوي وعيد الغدير، ومولد الدسوقي، ومولد الرفاعي... إلخ.

وغالب من يذبح من هؤلاء يتقربون للمقبورين هؤلاء وهو الشرك الأكبر كما هو واضح عند من شاهد ذلك.

٥- الذبح لله عند القبر: بدعة منكرة وذريعة إلىٰ الشرك إن صدق زعم هذا الذابح أنه ذبح لله، وإنما قصد القبر للتبرك بالمكان وهذا منكر، إلا أن الغالب علىٰ هذا الصنف هو التقرب للمقبورين والذبح لهم.

وقد بين شيخ الإسلام مخالفة ذلك للسنة وأنه محرم وقال: أما الذبح هناك فنُهي عنه مطلقًا لما روىٰ أنس عن النبي ﷺ قال: «**لا عقر في الإسلام**». رواه أحمد، وزاد عبد الرزاق: «**كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة...**». «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٣٦، ٣٧٨/ ٣٨١)، «القول المفيد» (١/ ٣٩٢).

وانظر: «شروح كتاب التوحيد» (باب: ما جاء في التغليظ فيمن عبدَ اللهَ عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده).

وأما حديث الضحاك الذي ذكره الشيخ فقد سبق شرحه في باب النذر.

فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال النبي ﷺ: «**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟**». قالوا: لا.

قال: «**هل كان فيها عيد من أعيادهم؟**». قالوا: لا.

قال النبي ﷺ: «**أوفِ بنذرك فإنه لا وفاء بنذرٍ في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم**».

رواه أبو داود رقم (٣٣١٣)، وصححه الشيخ المحدث: الألباني -رحمه الله تعالى- في صحيح الجامع رقم (٢٥٥١).

وقال الشيخ مقبل في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ١٣٧): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

فائدة:

لم يعزه في المسند الجامع (٣/ ٣٠١) إلا لأبي داود.



الحجر الأسود لا يضر ولا ينفع[1]

عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه جاء إلىٰ الحجر الأسود فقبَّله، وقال: «أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

رواه البخاري رقم (١٥٢٠، و١٥٢٨، و١٥٣٢)، ومسلم رقم (١٢٧٠).

قلت:

وهذا إذا كان في الحجر الأسود الذي في الكعبة المشرفة لا يضر ولا ينفع، فغيره من حجار القبور والتوابيت والقباب من باب أولىٰ لا تضر ولا تنفع.

ولو أن رجلًا غير عمر قال هذا القول لقال عنه المبتدعة بأنه وهابي!!

فما هو قولهم في أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ الذي تعلم في المدرسة النبوية مدرسة التوحيد والسنة؟!

---

(١) لما كان التبرك بالحجر الأسود والمقام وجدار الكعبة وغيرها، وكذا أحجار ما يزعمون أنها قبور أولياء ونحو ذلك، كل هذا حاصل وحقيقته أنه اعتقاد فاسد، وشرك عقد المؤلف هذا الباب لبيان حكم ذلك والتحذير منه.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «ما يفعله بعض الجهلة من التمسح بالكعبة أو الركن اليماني أو الحجر الأسود طلبًا للبركة فهذه من البدع؛ فإن ما يمسح منها يمسح تعبدًا لا تبركًا...

وقالت اللجنة الدائمة: توجه الناس إلىٰ هذه المساجد -بعرفة- وتمسحهم بجدرانها ومحاريبها، والتبرك بها بدعة ونوع من أنواع الشرك شبيه بعمل الجاهلية الأولىٰ بأصنامهم...». «البدع والمحدثات وما لا أصل له» (٢٥٣-٢٥٨).

فتبين من هذا أن التمسح الحاصل عند القبورية شرك سببه تعظيم المقبورين واعتقاد أن التمسح بقبورهم يجلب النفع ويدفع الضر، وهكذا الأكل من ترابهم أو التمرغ فيها ونحو ذلك.

تحريم الحلف بغير الله[(١)]

(١) الحلف لغة: القَسَم واليمين، وسمي الحلف يمينًا، قيل: لأنهم إذا تحالفوا ضرب كل واحد منهم يمين صاحبه وقيل غيره.

شرعًا: توكيد حكم بذكر معظم علىٰ وجه مخصوص.

وهذا التعريف شاملًا للحلف بالله تعالىٰ وبغيره.

انظر: «الأيمان التي لا كفارة فيها» (ص١٩-٢٠).

وقد أجمع العلماء أن الحلف المأذون به شرعًا هو الحلف بالله تعالىٰ، أو صفة من صفاته كما سيأتي. «أضواء البيان» (٢/ ١٢٣)، «المفيد» (ص١٩٠).

حكم الحلف بالله:

قال ابن قدامة -رحمه الله تعالىٰ-: «وأجمعت الأمة علىٰ مشروعية اليمين وثبوت أحكامها». «المغني» (١٣/ ٤٣٥).

ودليل ذلك من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]، ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١]، ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣]، ومن السنة ما ذكر المؤلف.

والأصل في اليمين الإباحة كما هو قول الجمهور، وذهب بعضهم كالشافعية إلىٰ الكراهة، وقول الجمهور هو الأصح للأدلة الكثيرة في ذلك.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤].

هذا محمول علىٰ كراهية الإكثار من الحلف، وعلىٰ كراهية الحلف علىٰ ترك البر والإحسان.

وعند التفصيل تكون اليمين علىٰ أحد حكم من خمسة أحكام:

١- واجبة إذا توقف عليها أمر واجب.

٢- مستحبة إذا توقف عليها أمر مستحب.

٣- مكروهة إذا توقف عليها فعل مكروه.

٤- محرمة إذا كانت علىٰ محرم أو كان كذبًا.

٥- مباحة وهو الأصل.

انظر: «أحكام اليمين بالله تعالىٰ» (ص٣٤-٣٧). ط. دار ابن الجوزي.

=

١- عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «**ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم؛ فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**».

أخرجه البخاري رقم (٦٢٧٠)، ومسلم رقم (١٦٤٦)، وفي لفظ لمسلم (١٦٤٦).

عنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله**».

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف منكم فقال في حلفه: باللات والعزىٰ فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعالَ أقامرك، فليتصدق بشيء**».

أخرجه البخاري رقم (٤٥٧٩)، ومسلم رقم (١٦٤٧).

٣- عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منا**».

أخرجه أبو داود رقم (٣٢٥٣) بإسناد صحيح، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٩٤)، وكذا صححه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (١/ ٢٩١).

٤- عن قتيلة -امرأة من جهينة- رضي الله عنها: أن يهوديًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تندِدون وإنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت».

رواه النسائي (٧/ ٦)، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١١٦٦)، وكذا

=

وتقسيم آخر للحلف: حلف جائز، حلف ممنوع ومنه الحلف الشركي، وهو ما سيشرحه في هذا الباب.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالىٰ-: «لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء ولا حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه...». «التمهيد» (١٤/ ٣٦٦).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما الحلف بغير الله من الملائكة، والأنبياء، والمشايخ، والملوك، وغيرهم؛ فإنه منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة...». «الفتاوىٰ» (١١/ ٥٠٦).

الشيخ مقبل في كتابه الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (٢/ ٥١٥).

٥- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»**.

أخرجه البخاري رقم (٦٢٧١)، ومسلم رقم (١٦٤٦).

٦- عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من حلف على يمين بملة غير الإسلام فهو كما قال»**.

أخرجه البخاري رقم (١٢٩٧)، ومسلم رقم (١١٠).

٧- عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من حلف فقال: إني بريء من الإسلام فإن كان كاذبًا فهو كما قال، وإن كان صادقًا فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا»**.

رواه أبو داود رقم (٣٢٥٨)، وأحمد (٥/ ٣٥٥)، والنسائي (٧/ ٦)، وابن ماجه رقم (٢١٠٠)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء رقم (٢٥٧٦)، وكذا الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (١/ ٢٩٠).

٨- عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم»**. رواه مسلم رقم (١٦٤٨).

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»**.

حديث صحيح رواه أبو داود رقم (٣٢٤٨)، والنسائي رقم (٣٧٦٩)، وابن حبان رقم (٤٣٥٧)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم (٧٢٤٩)، وكذا الشيخ مقبل في الصحيح المسند (٢/ ٣٤١).

١٠- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**.

رواه أبو داود رقم (٣٢٥١)، والترمذي رقم (١٥٣٥)، والحاكم (١/ ١٨، و٤/ ٢٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي، وكذا الألباني في الإرواء رقم (٢٥٦١)، والبيهقي

(١٠/ ٢٩)، والطيالسي رقم (١٨٩٦)، وأحمد (٢/ ٣٤، ٦٩، ٨٦، ١٢٥)، وابن حبان (١٠/ ١٩٩-٢٠٠).

وانظر: الجامع الصحيح (١/ ٢٧٩، و٦/ ٣٢١) للشيخ مقبل بن هادي -حفظه الله تعالىٰ-.

١١- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لا وأبي، فقال رسول الله ﷺ: «**مه، إنه من حلف بشيء دون الله فقد أشرك**»[1]. رواه أحمد (١/ ٤١٣-٤١٤) بإسناد صحيح.

---

(١) شرح الأحاديث علىٰ حسب ترقيم المؤلف -حفظه الله تعالىٰ-:

١- حديث ابن عمر: **قال القرطبي -رحمه الله تعالىٰ-**: «إنما نهىٰ النبي ﷺ عن الحلف بالآباء لما فيه من تعظيمهم بصيغ الأيمان؛ لأن العادة جارية بأن الحالف إنما يحلف بأعظم ما يعتقده، وإذا كان كذلك فلا أعظم عند المؤمن من الله تعالىٰ، فلا ينبغي أن يحلف بغيره، فإذا حلف بغير الله فقد عظَّم ذلك الغير، بمثل ما عظَّم به الله تعالىٰ، وذلك ممنوع منه.

وهذا الذي ذكرناه في الآباء جاء في كل محلوف به غير الله تعالىٰ، وإنما جرىٰ ذكر الآباء هنا؛ لأنه هو السبب الذي أثار الحديث حين سمع النبي ﷺ عمرَ يحلف بأبيه، وقد شهد لهذا المعنىٰ قوله: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله**»، وهذا حصر.

وعلىٰ ما قررناه فظاهر النهي التحريم، فيتحقق فيما إذا حلف بملة غير الإسلام أو بشيء من المعبودات دون الله تعالىٰ، أو ما كانت الجاهلية تحلف به كالدماء والأنصاب؛ فهذا لا يشك في تحريمه...». «المفهم شرح مسلم» (٤/ ٦٢١).

٢- **قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-**: «هذا أبلغ من الحلف بما ليس بصنم ولا معبود فما ليس بصنم ولا معبود الحلف به محرم لكن بالصنم والمعبودات يكون محرمًا مع الشرك، فلا يجوز الحلف باللات والعزىٰ، ومناة وهبل، وغيرها من المعبودات التي يعبدها الناس.

وقوله: «**فليقل: لا إله إلا الله**»، ليداوي الشرك بالتوحيد... فإذا قال القائل: واللات والعزىٰ قلنا: قل لا إله إلا الله، وإذا قال: تعال أقامرك. قلنا: تصدق، لأنك أردت أن تكتسب المال بطريق محرم فأخرجِ المال بطريق يقربك إلىٰ الله وذلك بالصدقة». «شرح البخاري» (٦/ ٥٤١-٥٤٢). ط. طبرية.

وقال الشيخ أبو الطيب الفوجياني -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: «**باللات**»؛ أي: بلا قصد، بل =

=

جرىٰ علىٰ طريق العادة بينهم لأنهم كانوا قريبي عهد بالجاهلية، وقوله: «**لا إله إلا الله**»، استدراك لما فاته من تعظيم الله تعالىٰ في محله ونفي لما تعاطىٰ من تعظيم الأصنام صورة، وأما من قصد الحلف بالأصنام تعظيمًا لها فهو كافر -نعوذ بالله منه-». اهـ «التعليقات السلفية علىٰ سنن النسائي» (٤/ ٣٤٥-٣٤٦).

٣- حديث بريدة: (قال أبو داود -رحمه الله تعالىٰ-: باب كراهية الحلف بالأمانة) أراد كراهة تحريم.

وقوله: «**فليس منا**»؛ أي: بل هو من المتشبهين بغيرنا؛ فإن الحلف بغير الله من ديدن أهل الكتاب، ولعله أراد الوعيد عليه، ووجه النهي: لأنه أمر أن يحلف بأسماء الله وصفاته، والأمانة ليست كذلك فنهىٰ عنها حتىٰ لا يقع الحالف في تسوية غير الله بالله في اليمين...

وانظر: «عون المعبود» (٩/ ٨٠).

وما أكثر الحلف بالأمانة، فمن حلف بها عليه أن يعلن التوبة والندامة.

٤- حديث قتيلة: (أن يهوديًّا) أراد بكلامه النقد فهم مشركون يقولون: عزير ابن الله، ولكن اليهود قوم بهت.

وقوله: «إنكم تنددون»؛ التنديد: المساواة، وذلك يقع في الشرك الأكبر والأصغر كل بحسبه، «ما شاء الله وشئت»؛ الشرك فيه لوجود التسوية في العطف بالواو. «فتح المجيد» (٢/ ٧٠١).

«وتقولون: والكعبة»، الواو: واو القسم، فكان الحلف بالكعبة شرك؛ لأنه تعظيم لغير الله تعالىٰ في لفظ لا يحل فيه إلا لله تعالىٰ كما سبق بيانه في شرح حديث (١).

وهذا الحديث يبين أن الشرك عام لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا للكعبة التي هي بيت الله.

«فأمرهم أن يقولوا: ورب الكعبة...»، فيه قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان، وأن الحلف لا يكون إلا بالله تعالىٰ. «فتح المجيد»، «التمهيد» (ص٤٦٤).

«ما شاء الله ثم شئت»، قال الشيخ الفوزان -غفر الله له-: هذا هو اللفظ الصحيح: أن تأتي بـ (ثم)؛ لأن (الواو) للتشريك بين الخالق والمخلوق في المشيئة، أما (ثم) فإنها للترتيب حيث جعلت مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله؛ لأن المخلوق لا يشاء إلا إذا شاء الله ﷻ... «إعانة المستفيد» (٢/ ٢٣٢). ط. الرسالة، «الجواب الكافي» (ص١٥٦).

٥- حديث سبق بيانه ضمن الحديث (١).

=

=

٦-٧- حديث ثابت وبريدة: الحلف بملة غير الإسلام كأن يقول مقسمًا: «هو يهودي إن عمل كذا»، مثلًا، أو يقول: «هو بريء من الإسلام إن لم يكن كذا». مثلًا... وحكمه أنه محرم لا يجوز التلفظ به، وهكذا من يحلف بالماركسية أو العلمانية أو القبور... إلخ.

قوله: «**فهو كما قال**»، أحسن ما شرحت به قول القسطلاني قال: يستفاد منه أن الحالف إن كان مطمئن القلب بالإيمان وهو كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه لم يكفر، وإن قاله معتقدًا لليمين بتلك الملة لكونها حقًّا كفر...

وقال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «ويحتمل أن يكون المراد بهذا الكلام التهديد، والمبالغة في الوعيد...». «عون المعبود» (٩/ ٨٤).

وقوله: «**فإن كان كاذبًا...**»؛ أي: في حلفه، لأنه جمع بين شرك الحلف بغير الله تعالىٰ، والكذب فاستحق هذا الوعيد.

ومعناه: إن حلف علىٰ كذا بملة غير الإسلام ألا يفعلها ثم فعلها فهذا كفر -كما سبق التفصيل-.

«**وإن كان صادقًا**»، حلف ولم يحنث في يمينه هذه، «... **سالمًا**»؛ لأنه نوع استخفاف بالإسلام فيكون آثمًا. (المرجع السابق ٨٦).

٨- حديث عبد الرحمن بن سمرة: الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل رأس في الضلال ويقال للصنم: طاغوت. «شرح النسائي» لأبي الطيب (٤/ ٣٤٤).

وعرفه ابن القيم بقوله: كل ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع، فيدخل في ذلك كل ما كان سببًا للطغيان والشرك، وسبق أن الحلف بالمعبودات الباطلة شرك.

٩- حديث أبي هريرة: قوله: «... **ولا تحلفوا إلا بالله**» يجب ألا تحلفوا إلا بالله تعالىٰ، قال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع.

وقوله: «**ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**».

قال الشيخ صالح الفوزان -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا أمر من النبي ﷺ أن الحالف بالله يجب عليه أن يصدق فلا يحلف بالله كاذبًا؛ لأن من حلف بالله وهو كاذب فقد استهان بعظمة الله ﷻ، والحلف بالله كاذبًا هي اليمين الغموس سميت بذلك؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار...». «إعانة المستفيد» (٢/ ٢٢٨)، ط. الرسالة.

وذكر في كتاب التوحيد قول ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أحلف بغيره صادقًا».

=

قلت:

ومن هذه الأدلة النبوية الصحيحة يتبين تحريم الحلف بغير الله كالأمانة والعيش والملح والشرف، والأب والجد والكعبة والنبي والأخوة والصداقة والزمالة والشرف العسكري والطلاق[١]، وغير ذلك، من دون الله وأن الحلف لا يجوز أن يكون إلا بالله وحده لا شريك له.

تنبيه:

فإن قال قائل: فالله ﷻ قد أقسم في كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته كالشمس

=

وهذا مع أن الكذب حرام في الحلف وغيره، وإنما ذكر هذا من باب أخف الضررين، فالحلف بغير الله أكبر من الكذب، والكذب مع حرمته أخف من الحلف بغير الله تعالىٰ؛ لأن الحلف بغير الله شرك، والكذب معصية وكبيرة لكنها دون الشرك.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك وإن كان صادقًا، فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الشرك أشد من سيئة الكذب». اهـ

وبهذا تعلم جهل وضلال من يسهل عليه الكذب إذا حلف بالله، ولا يجرؤ علىٰ الكذب إذا حلف بغير الله من الأنداد والمقبورين وغيرهم.

[وانظر: «التيسير» (ص٥٩٤)، «إعانة المستفيد» (٢/ ٢٢٢)، «الدر النضيد» (ص٤٢-٤٣)].

١٠- حديث ابن عمر: أشار البخاري إلىٰ ضعفه عند حديث رقم (٦٦٥٢/ الأيمان والنذور/ باب: ٧)، وقد تراجع الشيخ عن تصحيحه وأودعه في كتابه أحاديث معلة برقم (٢٦٨)، وبعد بحث الحديث لم أجد شاهدًا لقوله: «**كفر أو أشرك**»، وقد صح بلفظ: «**فقال له قولًا شديدًا**»، عند أحمد.

انظر: تحقيقنا علىٰ كتاب «فضائح ونصائح».

والمراد بقوله: «**كفر أو أشرك**» الشرك الأصغر كما سيأتي.

١١- الكلام عليه أنه ضعيف، والله أعلم، وذكر عمر في هذا الحديث غلط، والصواب عن ابن عمر.

(١) انظر: «الفتاوىٰ» (٣٥/ ٢٧٣).

والقمر والليل والنهار والسماء والأرض إلىٰ غير ذلك[١].

فيرد عليه بأن الله ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣].

وقد نهانا الرسول ﷺ عن الحلف بغير الله كما في هذه الأحاديث السابقة.

تنبيه آخر:

الحلف بغير الله يعتبر شركًا أصغر، فإن قام بقلبه تعظيم لمن حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر[٢].

انظر: فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ٢٢٤).

---

(١) **قال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-:** «قيل ذلك يختص بالله -تبارك وتعالىٰ- فهو يقسم بما شاء من خلقه لما في ذلك من الدلالة علىٰ قدرة الرب ووحدانيته وإلهيته، وعلمه وحكمته وغير ذلك من صفات كماله...». «التيسير» (٢/ ١٠١٨)، ط. دار الصميعي.

(٢) **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-:** «ومن الشرك به ﷻ في اللفظ كالحلف بغيره... فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والنذر والحلف... وحلق الرأس خضوعًا وتعبدًا... كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب ولا نبي مرسل». «الجواب الكافي» (ص١٥٦-١٥٧) بتصرف.

وقال: «وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والحلف بغير الله... وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده». «المدارج» (١/ ٣٥٢).

وقالت اللجنة الدائمة: «فإن قام بقلبه تعظيم من حلف به من المخلوقات مثل تعظيم الله فهو شرك أكبر؛ فإن كان جاهلًا عُلِّم؛ فإن أصر فهو والعالم ابتداءً سواء كل منهما يكون مشركًا شركًا أكبر». «فتاوىٰ اللجنة» (١/ ٢٢٤).

ومن صور ذلك التعظيم كثرة الحلف بالمخلوق واحترام اليمين الشركي والاطمئنان للحلف بالمخلوق أكثر من الحلف بالله وخوف الحنث في الحلف بالأولياء أو غيرهم من المخلوقين، وإذا قيل له احلف بالله في مخاصمة حلف فاجرًا، وإذا قيل له: احلف بالولي أو كذا من الخلق تلعثم وأبىٰ واعترف بالحق... انظر: «جهود المالكية في تقرير توحيد العبادة» (ص٥٠٨-٥٠٩).

هل المنجم ساحر؟[١]

(١) **التنجيم لغة:** مأخوذ من النجم وهو الكوكب المضيء في السماء، وهو معلوم.

والمنجم والمتنجم: الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها، ويدعي أنه يستطلع من ذلك الكون. «اللسان/ المعجم الوسيط/ مادة نجم»، «علم الغيب» (ص٣٦١)، «التنجيم والمنجمون» (ص٣١).

والتنجيم اصطلاحًا: قال الخطابي -رحمه الله تعالىٰ-: «علم التنجيم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع أو ستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الريح ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معناها من أمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، وباجتماعها، وافتراقها.

ويدعون أن لها تأثيرات في الشكليات، وأنها تتصرف علىٰ أحكامها وتجري علىٰ قضايا موجباتها...». «معالم السنن مع مختصر المنذري» (٥/ ٣٧١)، «علم الغيب» للغنيمان (ص ٣٦١)، «الفتاوىٰ» (٣٥-١٩٢).

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «عرفه بعض المحققين بأنه: الاستدلال بالأحوال الفلكية علىٰ الحوادث الأرضية كأوقات هبوب الرياح أو حدوث الأمراض والوفيات أو السعود والنحوس...». انظر: «الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام (٣٥-١٩٢).

وهذا يسمىٰ بعلم التأثير وهو علىٰ نوعين:

النوع الأول: أن يدعي المنجم أن الكواكب فاعلة مختارة، وأن تجري بتأثيرها، وهذا كفر بإجماع المسلمين؛ لأنه اعتقاد بوجود خالق غير الله، وأن أحدًا يتصرف في ملكه بغير مشيئته وتقديره ﷻ.

النوع الثاني: الاستدلال بمسير الكواكب واجتماعها، وافتراقها علىٰ حدوث الحوادث، وهذا لا شك في تحريمه لأنه ادِّعاء علم الغيب، وهو من السحر... وادعاء علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وانفرد به ينافي التوحيد لما فيه هذه الدعوىٰ الباطلة...

أقول: ومن الخرافات الباطلة ما يروجه الدجالون في بعض الصحف والمجلات من ذكر الطوالع والبخت والنحوس والسعود، وكقراءة الكفِّ والفنجان، ويعلقون ذلك بحسابات النجوم، ويصدق به بعض السذج... «الإرشاد» (ص١٤١-١٤٣)، «علم الغيب» (ص٣٦٢)،

=

١ - عن عبد الله بن عباس ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**».

أخرجه أبو داود في الطب باب (٢٢) (٤/ ٢٢٦) رقم (٣٩٠٥)، وابن ماجه في الأدب باب: (٢٨) (٢/ ١٢٢٨) رقم (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١) بإسناد صحيح.

=

«التنجيم والمنجمون» (ص٣٥-٣٨).

والقسم الثالث: هو علم التسيير، ويسمىٰ علم الحسابيات، وهو علم صحيح كما قاله شيخ الإسلام (٣٥-١٨١).

وقال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه من الاهتداء ومعرفة القبلة والطرق، وهو جائز عند الجمهور...». «فضل علم السلف» (ص٣٤ -٣٥)، «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠)، «شرح السنة» (١٢/ ١٨٣).

وذكر الإمام البخاري -رحمه الله تعالىٰ- في صحيحه قال: قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدىٰ بها، فمن تأول بها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. اهـ

«كتاب بدء الوحي» (باب: ٣)، «الفتح» (٦/ ٣٥٥)، «فتح المجيد» (٥٣٠-٥٣٢)، و«القول المفيد» (٢/ ١٠٤).

تنبيه: حروف أبي جاد... يزعم أصحاب هذه الطريقة معرفة أشياء من علم الغيب والسعود والنحوس... وهذا من الشعوذة وداخل في التنجيم... انظر: «التنجيم والمنجمون» (ص ٢٨٧-٢٨٨).

تنبيه آخر: معرفة الكسوف ليس من التنجيم علىٰ الراجح إذ إن هذا ممكن. انظر: المرجع السابق (٣٠٥ وما بعدها)، «الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٧٥).

الخلاصة: ما كان من علم النجوم فيه دعوىٰ تأثير في الكون أو ادعاء علم الغيب، فهذا كفر بالإجماع، وما كان دون ذلك فهو معصية أو مباح بحسبه، وسيأتي الكلام علىٰ علم الغيب في بابه.

وانظر: «القول المفيد» (٢/ ١٠٢-١٠٣).

وجود إسناده الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيحة رقم (٧٩٣)، وصححه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (٦/ ٣١٧).

قلت:

ومن هذا الحديث يتبين لك أن كل منجم ساحر، وأن الشخص كلما زاد في التنجيم زاد في السحر، نعوذ بالله من المنجمين السحرة.

راجع كتاب «التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام» للمشعبي.

٢- عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال: صلىٰ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية علىٰ إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل علىٰ الناس، وقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته؛ فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

رواه **البخاري** رقم (٨١٠)، ومسلم رقم (٧١).

٣- عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ألم تروا إلىٰ ما قال ربكم؟ قال: ما أنعمت علىٰ عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين، يقولون: الكواكب وبالكواكب**».

رواه مسلم رقم (٧٢).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مُطر الناس علىٰ عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا**».

قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾، حتىٰ بلغ: ﴿ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]. رواه مسلم رقم (٧٣).

٥- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أربع في أمتي من أمر**

الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»[1]. رواه مسلم رقم (٩٣٤).

---

(١) ذكر المؤلف خمسة أحاديث للدلالة على تحريم التنجيم (علم التأثير):

١- حديث عبد الله بن عباس: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-: «(اقتبس) تعلم (شعبة)؛ أي: طائفة (من النجوم).

المراد: علم النجوم الذي يستدل به على الحوادث الأرضية... (فقد اقتبس شعبة من السحر)، المراد: بالسحر هنا ما هو أعم من السحر المعروف، لأن هذا من الاستدلال بالأمور الخفية التي لا حقيقة لها كما أن السحر لا حقيقة له، فالسحر لا يقلب الأشياء لكنه يموه، وهكذا اختلاف النجوم لا تتغير بها الأحوال.

وقوله: (زاد ما زاد)؛ أي: كلما زاد شعبة من تعلم النجوم ازداد شعبة من تعلم السحر». «القول المفيد» (٢/ ٣٤-٣٧).

وذكر شيخ الإسلام هذا الحديث وقال: «فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر».

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]؛ فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون. «الفتاوى» (٣٥-١٩٣).

وسئل النووي -رحمه الله تعالى- عن وجه ارتباط السحر بالنجوم في حديث ابن عباس فأجاب: «وجهه أنهما اشتركا في كونهما باطلًا وخداعًا وتمويهًا؛ فإن النجوم لا فعل لها، بل الله الفاعل لحركتها وهو خالقها، ومدبرها، وكذلك السحر تخييل...».

انظر: «فتح الحميد شرح كتاب التوحيد» لعثمان التميمي (٣/ ١١٢١). ط. عالم الفوائد.

٢-٣-٤- حديث زيد وأبي هريرة وابن عباس: قوله: «إثر سماء»؛ أي: مطر.

وقوله: «بنوء كذا»؛ المراد بالأنواء: منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة كلما غاب نوء طلع آخر، في كل ثلاث عشرة ليلة حتى تنقضي السنة الهجرية، وكان أهل الجاهلية يزعمون أن نوء كذا يأتي بالمطر، ونوء كذا لا يأتي بالمطر، فينسبون نزول المطر إلى الكواكب.

وحكم هذه المسألة كالتفصيل التالي:

أ- نسبة الفعل -إنزال المطر أو غيره- إلى الكواكب دون الله تعالى، أو مع الله تعالى كفر أكبر، وذلك؛ لأن فيه إثبات خالق ومدبر مع الله تعالى، وهذا هو شرك الربوبية؛ لأن الخلق والأمر من الله وحده.

=

هل الساحر كافر؟[1]

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، وهذا ما عليه إجماع المسلمين.

ب- اعتقاد أن المطر من عند الله تعالىٰ، وأن نزوله بتقدير الله تعالىٰ مع نسبته إلىٰ النوء كقولهم: جاء نوء كذا بالمطر؛ فهذا محرم وهو كفر أصغر، وهو كفر النعمة وهو المراد بالحديث وهو منافٍ لكمال التوحيد؛ لأنه يحرم نسبة المطر إلىٰ النجم ولو علىٰ سبيل المجاز سدًّا للذريعة.

ج- من يجعلها سببًا لنزول المطر، فهذا كسابقه؛ إذ إنه جعل ما ليس بسبب سببًا، فهذا النوع في القلب والأول في القول، وقد يجتمعان.

انظر: «التمهيد» (ص٣٥١-٣٥٤)، «القول المفيد» (٢/ ١١٥-١١٧)، «الإرشاد» (١٤٨-١٥١)، «الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٤)، «التنجيم والمنجمون» (١٥١-١٥٤).

والقول في سائر النعم كالقول فيما سبق.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢]، الرزق: المطر وغيره، تكذبون: تنسبونه إلىٰ غير الله تعالىٰ فتستبدلون الشكر للنعم بالكفر بها وتكذبون في نسبتها إلىٰ غير المنعم بها.

٥- حديث أبي مالك: قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركها الناس كلهم ذمًّا لمن لم يتركها، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلىٰ الجاهلية ذمٌّ لها، ومعلوم أن إضافتها إلىٰ الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]؛ فإن ذلك ذم للتبرج وذم لحال الجاهلية الأولىٰ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة...». «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٥)، «الإرشاد» (ص١٤٧-١٤٨).

وقوله: «الفخر في الأحساب»؛ أي: التفاخر في الشرف في النسب أو الصفات كالشجاعة والكرم، «والطعن في الأنساب»، العيب والقدح علىٰ الناس في نسبهم، كقوله: فلان ابن الجزار، ونحوه، فلان ليس من قبيلة كذا...

«النياحة»؛ رفع الصوت بالبكاء علىٰ الميت وشق الجيوب وندب الميت... وكل هذه حرام.

(١) السحر لغة: ما خفي ولطف سببه. «الصحاح» للجوهري (٥/ ٦٧٨). و«اللسان»، وغيرها.

=

وانظر: «تفسير القرطبي» (آية البقرة:١٠٢-١٠٣).

اصطلاحًا: عزائم ورقىٰ وعقد وكلام يُتكلم به أو يُكتب أو يُعمل شيء يؤثر في القلوب، والأبدان والعقول، فيُمرض ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه. «المغني» (٨/ ١٥٠)، «المفيد» (ص٢٥٥)، «الإرشاد» (ص١٣٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «السحر قسمان:

الأول: عقد ورقىٰ؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلىٰ استخدام الشياطين فيما يريد لتضر المسحور...

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر في بدن المسحور وعقله وإرادته، وميله، فتراه ينصرف ويميل، وهو ما يسمىٰ عندهم بالصرف والعطف...». «القول المفيد» (٢/ ٥)، «تفسير القرطبي» (٢ / ٢٧٤)، ط. الرسالة.

وقال الشنقيطي -رحمه الله تعالىٰ-: «اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك جامعًا بينها مانعًا لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارة العلماء في حده اختلافًا كثيرًا». «أضواء البيان» (...)، بواسطة «الإلمام بشرح نواقض الإسلام» (ص١٩٧).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «اسم الساحر معروف في جميع الأمم». «النبوات» (ص٢٧٢).

حكم السحر:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «دلت الآية علىٰ تحريم السحر، وهو كذلك، بل هو محرم في جميع أديان الرسل ﷺ كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]» «التيسير» (ص٣٨٣).

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي -رحمه الله تعالىٰ-: «السحر شرك، فمن فعل السحر بأن تعلمه أو علَّمه أو فعله أو رضي به كفر؛ لأن الراضي كالفاعل ومن رضي بالشرك فهو مشرك...». «شرح النواقض» (ص٤٨).

والقول بكفر الساحر هو قول عامة السلف، وذلك لأن السحر الذي من قِبل الشياطين لا يأتي إلا بالشرك وعبادة الشياطين، والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا. «التيسير» (ص٣٨٤).

وأصل الحكم علىٰ المسألة قائم علىٰ تقسيم السحر علىٰ قسمين:

=

=

قال القرطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «من السحر ما يكون كفرًا من فاعله مثل ما يدَّعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهية وقطع مسافة شهر في ليلة، والطيران في الهواء فكل من فعل ذلك ليوهم الناس أنه مُحق؛ فذلك كفر منه قاله القشيري...». «التفسير» (٢/ ٢٧٥).

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-، بعد تعريف السحر وقد سبق: «فالسحر قسمان:

أ- شرك، وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين؛ لأنه في الغالب لا يتهيأ إلا بالشرك.

ب- عدوان وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير ونحوها...

فمن كان سحره بواسطة الشياطين؛ فإنه يكفر، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها فلا يكفر ولكن يعتبر عاصيًا معتديًا...». «القول المفيد» (٢/ ٦)، وانظر: «إرشاد الناظر لمعرفة علامات الساحر» (ص١٢-١٣).

وقال آل الشيخ في «تيسير العزيز الحميد» (ص٣٨٤): «وقال ابن جريج: لا يجترئ علىٰ السحر الكافر.

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلىٰ سبيل المجاز كتسمية القول البليغ سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته ويعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا...». اهـ المراد.

وهذا التفصيل هو الذي يستقيم وهو الوارد عن السلف، فما جاء عنهم أنه كفر المراد به ما كان فيه شرك وكفر.

انظر: (أقوال العلماء في كتاب: الإلمام للريس ص١٩٧-١٩٨).

حد الساحر:

قال ابن قدامة -رحمه الله تعالىٰ-: «وحد الساحر القتل، روي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس بن سعد، وعمر بن عبد العزيز، وهو قول أبي حنيفة، ومالك، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر وهي رواية لأحمد...». «المغني» (١٢/ ٣٠٢)، «الإلمام» (ص١٩٩).

وقد صح عن عمر وحفصة وجندب وغيرهم، قال جندب: حد الساحر ضربة بالسيف. رواه البيهقي (٨/ ١٣٦).

وأثر حفصة عند البيهقي، وكذا أثر عمر، ورواه أبو داود (٣٤٣)، وأحمد (١/ ١٩٠)، وهو قول جمهور العلماء.

=

=

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «بناء علىٰ التفصيل السابق نقول: من خرج به السحر إلىٰ الكفر فقتله قتل ردة، ومن لم يخرج به السحر إلىٰ الكفر فقتله قتل حد يجب تنفيذه.

والحاصل: أنه يجب أن نقتل السحرة سواء قلنا بكفرهم، أم لم نقل لأنهم يُمرضون ويقتلون ويفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس؛ ولأنهم يسعون في الأرض فسادًا كان واجبًا علىٰ ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه حد لضررهم وفظاعة أمرهم؛ فإن الحد لا يستتاب صاحبه متىٰ قبض عليه وجب أن ينفذ الحد...

والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية لأنهم يسعون في الأرض فسادًا، وفسادهم من أعظم الفساد، فقتلهم واجب علىٰ الإمام ولا يجوز للإمام أن يتخلف عن قتلهم؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم في أرضهم وأرض غيرهم، وإذا قتلوا سَلِمَ الناس من شرهم وارتدع الناس عن تعاطي السحر...». «القول المفيد» (٢/ ٢٥-٢٦).

وهذا الذي قاله الشيخ من قتل الساحر دون استتابة هو مذهب الجمهور وهو الوارد عن عمر وغيره من الصحابة فلا يعلم أنهم كانوا يستتيبون السحرة...

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «ولو أظهر الساحر التوبة؛ فإنه لا يقبل منه، بل ينفذ عليه الحد لأنه لا يوثق بتوبته؛ لأنه زنديق فقد يظهر التوبة وفي قلبه السحر، فيقتل علىٰ كل حال، و لو كان صادقًا في توبته فيما بينه وبين الله، فالله -جل وعلا- يقبل توبته، وأما نحن فنطبق عليه الحد ونقتله بكل حال.

وبهذا يظهر لنا بطلان السحر، وأنه كفر أكبر يخرج من الملة وردة عن دين الإسلام، وأنه من نواقض الإسلام، وأن حد صاحبه القتل علىٰ كل حال؛ لأنه يفسد المجتمعات وينشر العداوة والبغضاء والشر بين الناس...». «شرح النواقض» (ص١٥٠)، ط. الرشد.

أنواع السحر:

ينقسم السحر باعتبار المسحور إلىٰ قسمين: حقيقي وتخييلي.

فالحقيقي: عبارة عن عمل يؤثر في الأبدان، أو القلوب، أو العقل، كالمحبة والكراهة، والقتل والجنون...

والتخييلي: هو ما يؤثر في الأبصار والأنظار، فترىٰ الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه.

- ودليل الأول عموم الأدلة في السحر كقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، وهن السحرة، ومن ذلك سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ.

=

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢-١٠٣][1].

=

وقوله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢].

- ودليل الثاني قوله تعالىٰ عن سحرة فرعون: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٦].

وقوله: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦].

وهذا النوع لا حقيقة له في الواقع إنما هو تخييل للرائي، فلا قدرة للساحر علىٰ تحويل شيء.

«شرح النواقض» للفوزان (١٤١-١٤٣)، «الإلمام» للريس (ص٢٠٣).

وذهب بعض المبتدعة إلىٰ أن الساحر يقلب الأعيان حقيقة، وهو مذهب مردود باطل.

وللسحرة علامات يُعرفون بها ذكر أكثرها شيخنا محمد الإمام في كتابه «إرشاد الناظر إلىٰ معرفة علامات الساحر».

(١) تفسير الآية ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ اليهودُ: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ ما تمليه عليهم الشياطين وينسبونه كذبًا إلىٰ ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾، والسحر كان موجودًا من قبل موسىٰ عليه السلام وعمله كفر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾، لم يتعلم السحر ولم يكفر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لأنهم كفروا بالله تعالىٰ، ومنهم من تعلم السحر أو يعين السحرة، ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾، وهذا من حرصهم علىٰ إضلال وإغواء بني آدم وإيقاعهم في الكفر.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ هذا الكلام معطوف علىٰ ذكر سليمان؛ والمعنىٰ: وما كفر سليمان بتعلم السحر كما تزعم اليهود، ولم ينزل الله السحر علىٰ الملكين كما تدعيه اليهود، ذكر هذا القرطبي وقال: وهذا أولىٰ ما حملت عليه الآية، وأصح ولا يلتفت إلىٰ ما سواه. اهـ

والقول الآخر بأن السحر نزل علىٰ الملكين وكانا يعلمان الناس السحر ابتلاء... [ورجح ابن كثير

=

=

وغيره القول الآخر أنهما ملكان نزلا للابتلاء...].

وقوله: ﴿بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾؛ **معطوف على ذكر الشياطين**؛ والمعنى: ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر، **واليهود في تعلم السحر** ونشره متبعين في ذلك سحرة بابل هاروت وماروت -ولعلهما **من كبار السحرة فذكرا لذلك**-، هذا هو الواقع، وما يزعمون من نسبة ذلك إلى سليمان أو الملكين **فهو من باب التلبيس على** الناس ليروج باطلهم.

قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية صريحة في كفر من تعلم السحر أو عمل به أو رضيه **وأقره**.

ثم ذكر أنواعًا من السحر، ومنه: ما يفرق بين المرء وزوجه وتبغيض أحدهما إلى الآخر.

وقوله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لا يقدرون على الإضرار بأحد إلا بإرادة الله تعالى وإذنه الكوني، وهذا ابتلاء من الله تعالى للعباد ليعلم الصابر من الساخط، وقد يكون لرفع الدرجات، وقد يكون عقوبة كما في حق الكافر وغيره...

فالخوف من السحرة دليل على ضعف الإيمان بالقدر، ومع ذلك يجب على المسلم التحصن بالأذكار الشرعية والعلاج بالرقى ونحوها مما أباحه الله تعالى.

ولا يجوز الذهاب إلى السحرة لحل السحر؛ لأن ذلك محرم كما سيأتي قريبًا وغالب السحرة لا يعالج إلا بعد أن يعمل المريض أعمالًا كفرية كالذبح لغير الله تعالى -مثلًا- أو ترك الصلاة...

قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ دلالة على أن علم السحر مضرة محضة ليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩]؛ لا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ﴾؛ أي: اليهود والسحرة ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾؛ أي: ما له من نصيب من الخير، بل السحر موجب للعقوبة والخلود في النار ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾؛ يذمهم على الإقبال على هذا الضرر واستبدال السحر بالهدى، حيث تركوا ما نزل على أنبيائهم وأقبلوا على السحر.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾؛ أي: ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله واتقوا المحارم لكان مثوبة الله على ذلك خيرًا لهم مما اختاروا لأنفسهم ورضوا به. اهـ.

انظر: «تفسير ابن كثير، وتفسير السعدي».

قلت:

ومن هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، يتبين بوضوح أن الشخص لا يمكن أن يتعلم السحر إلا إذا كفر، فإذا كفر تعلمه، وبناءً على هذه الآية الكريمة فالساحر كافر، نعوذ بالله من الكفر والإلحاد، ومن أعمال أهل النار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:٧٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١][1].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**».

قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم اللهُ إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل ما اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**».

رواه البخاري رقم (٢٦١٥)، ومسلم رقم (٨٩)[2].

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ في عملهم ولا دنياهم ولا أُخراهم، بل الخسار ملازم لهم.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾، حبالهم وعصيهم... ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾ هذا الذي جئتم به سحر -وهو سحر التخييل- ومآل السحر إلىٰ البطلان ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾، فألقىٰ عصاه فأكلت سحرهم وظهر مكرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ دلالة علىٰ أن عمل السحر من الفساد في الأرض، وأن كل مفسد لن تكون له العاقبة؛ فإن عمله سيبطله الله ولا يصلحه ويخزيه ولا ينصره.

(٢) الموبقات: المهلكات، ثم ذكر الشرك ثم السحر، والسحر داخل في الشرك فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام.

وقوله: (وقتل النفس) المعصومة (إلا بالحق) كالقصاص وحد الزاني المحصن...

=

فائدة:

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب الكبائر، الكبيرة الثالثة: السحر:** «... الساحر لابد وأن يكفر قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الإنسان السحر إلا ليشرك به...

فترىٰ خلقًا كثيرًا من الضُّلال يدخلون في السحر ويظنونه حرامًا فقط، وما يشعرون أنه الكفر...

وحد الساحر القتل؛ لأنه كفر بالله... فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة...».

انتهىٰ من كتاب الكبائر للحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٢١-٢٢).

فائدة ثانية:

قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «يحرم تعلم السحر سواء تعلمه للعمل به أو ليتقيه، وقد نص الله سبحانه في كتابه الكريم علىٰ أن تعلمه كفر فقال تعالىٰ: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وقد نص النبي ﷺ علىٰ أن السحر أحد الكبائر، وأمر باجتنابه فقال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، فذكر منها السحر.

وفي السنن عند النسائي[1]: «**من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر، ومن سحر**

=

(وأكل الربا) بنوعيه ربا الفضل وربا النسيئة ويدخل فيه كاتبه وشاهداه، (وأكل مال اليتيم) لضعفه مع أن أكل المال بغير حق حرام وخص اليتيم لضعفه.

(والتولي يوم الزحف) الفرار والإدبار عند القتال بين المسلمين والكفار.

(وقذف) الرمي بالزنا ونحوه، (المحصنات) الحرائر، (المؤمنات الغافلات) العفيفات.

انظر: «القول المفيد» (٢/ ١٨-٢٢).

(١) رقم (٤٠٧٩)، وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

فقد أشرك».

وأما ما ذكرت من قول: «**تعلموا السحر ولا تعملوا به**»؛ فليس بحديث صحيح ولا ضعيف فيما نعلم، بل هو خبر موضوع، وبالله التوفيق.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

انتهىٰ من فتاوىٰ اللجنة (١/ ٣٦٧-٣٦٨) رقم (٦٢٨٩، ٦٩٧٠).

فائدة ثالثة:

وقالت اللجنة الدائمة:

«إذا أتىٰ الساحر في سحره بمكفر قتل لردته حدًّا، وإن ثبت أنه قتل بسحره نفسًا معصومة قتل قصاصًا، وإن لم يأتِ بمكفر ولم يقتل نفسًا ففي قتله بسحره خلاف، والصحيح أنه يقتل حدًّا لردته وهذا هو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد -رحمهم الله- لكفره بسحره مطلقًا لدلالة آية ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية علىٰ كفر الساحر مطلقًا.

ولما ثبت في صحيح البخاري[1] عن بجالة بن عبدة أنه قال: «كتب عمر بن الخطاب ﷺ أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر».

ولما صح عن حفصة أم المؤمنين ﷺ: «أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها». فقتلت. رواه مالك في الموطأ.

ولما ثبت عن جندب أنه قال: «حد الساحر ضربة بالسيف». رواه الترمذي[2] وقال: الصحيح أنه موقوف.

وعلىٰ هذا فحكم الساحر المسئول عنه في الاستفتاء أنه يقتل علىٰ الصحيح من أقوال العلماء، والذي يتولىٰ إثبات السحر وتلك العقوبة هو الحاكم المتولي

---

(١) ذكر قتل السحرة عند أحمد كما سبق.

(٢) سبق وهو صحيح.

شئون المسلمين درءًا للمفسدة وسدًّا لباب الفوضىٰ.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم». انتهىٰ من فتاوىٰ اللجنة (١/ ٣٦٩) رقم (٤٨٠٤).

تنبيه:

ومن هنا يتبين لك خطر القراءة في الكتب التالية وهي:

١- شمس المعارف.

٢- المندل السليماني.

٣- السبعة العهود.

٤- حرز الجوشن.

٥- أبو معشر الفلكي.

٦- نتيجة فلكي بيت الفقيه.

وغيرها من كتب السحر والضلال والتكهن والخداع.

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله السلامة من الغواية.



تحريم إتيان الكهان والعرَّافين[(١)]

١- عن عائشة ﵂ قالت: سأل أُناس رسولَ اللهِ ﷺ عن الكهان، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنهم ليسوا بشيء**». فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحيانًا بالشيء فيكون حقًّا.

فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**». أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع:

أ- الطب باب: ٤٥ رقم (٥٤٢٩).

ب- الأدب باب: ١١٧ رقم (٥٨٥٩).

ج- التوحيد باب: ٥٧ رقم (٧١٢٢).

ومسلم في كتاب السلام (٤/ ١٧٥٠) رقم (٢٢٢٨).

٢- عن معاوية بن الحكم السُّلمي ﵁ قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالًا يأتون الكهان. قال: «**فلا تأتوا الكهان**».

قال: قلت: ومنا رجال يتطيرون. قال: «**ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصُدَّنهم**». أخرجه مسلم في موضعين:

أ- كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، باب: ٧ (١/ ٣٨١-٣٨٢) رقم (٧٣٥).

ب- كتاب السلام باب: ٣٥ (٤/ ١٧٤٨-١٧٤٩) الرقم الخاص (١٢١).

٣- عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتىٰ عرَّافًا فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة**». أخرجه مسلم في كتاب السلام باب: ٣٥ (٤/ ١٧٥١)

---

(١) الكهانة والعرافة والتنجيم والشعوذة داخلة في أبواب السحر من حيث العموم؛ ولهذا ذكرها المؤلف متتابعة.

رقم (٢٢٣٠).

٤- عن أبي مسعود البدري ﷺ قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ: عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن». رواه البخاري رقم (٥٤٢٨)، ومسلم رقم (١٥٦٧).

حلوان الكاهن: هو ما يعطاه علىٰ كهانته من أجرة.

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قِبَل ابن صياد، حتىٰ وجدوه يلعب مع الصبيان، عند أطم بني مغالة وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتىٰ ضرب النبي ﷺ بيده، ثم قال لابن صياد: «**تشهد أني رسول الله؟**».

فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين.

فقال ابن صياد للنبي ﷺ أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه وقال: «**آمنت بالله وبرسله**».

فقال له: «**ماذا ترىٰ؟**». قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب.

فقال النبي ﷺ: «**خُلط عليك الأمر**». ثم قال له النبي ﷺ: «**إني قد خبأت لك خبيئًا**».

فقال ابن صياد: هو الدخ. فقال: «**اخسأ، فلن تعدو قدرك**».

فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنقه.

فقال النبي ﷺ: «**إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**». رواه البخاري رقم (١٢٨٩)، ومسلم رقم (٢٩٣٠).

٦- عن ابن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد، ففر الصبيان وجلس ابن صياد.

فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك فقال له النبي ﷺ: «**تربت يداك، أتشهد أني رسول الله؟**». فقال: لا، بل تشهد أني رسول الله.

فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتىٰ أقتله.

فقال رسوله الله ﷺ: «**إن يكن الذي ترىٰ فلن تستطيع قتله**». رواه مسلم رقم

(٢٩٢٤).

اخسأ؛ أي: اسكت صاغرًا مطرودًا.

فلن تعدو قدرك؛ أي: لن تجاوز كونك كاهنًا، ولن يبلغ قدرك أن تعلم الغيب من قبِل الوحي ولا من قبيل الإلهام.

كذا في تعليق البغا علىٰ صحيح البخاري.

٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدقه فيما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد ﷺ**»[1].

---

(١) ذكر المصنف سبعة أحاديث وسنشرحها مرتبة:

١- حديث عائشة:

قال النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: «**فلا تأتوا الكهان**»، وفي رواية سئل عن الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**».

قال القاضي -رحمه الله تعالىٰ-: كانت الكهان في العرب ثلاثة أضراب:

أحدها: يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ.

الثاني: أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض، وما خفي عنه مما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده [ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوها ولا استحالة في ذلك ولا بُعد في وجوده]؛ لكنهم يصدقون ويكذبون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام.

الثالث: المنجمون... والكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عرَّافٌ؛ وهو الذي يستدل علىٰ الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها، وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة، وهذه الأضراب كلها تسمىٰ كهانة، وقد أكذبهم كلَّهم الشرع، ونهىٰ عن تصديقهم وإتيانهم، والله أعلم -اهـ كلام القاضي-.

وأما قوله: «**ليسوا بشيء**»؛ فمعناه بطلان قولهم، وأنه لا حقيقة له، وفيه جواز إطلاق هذا اللفظ علىٰ ما كان باطلًا...

وقوله: «**تلك الكلمة من الحق...**» إلخ. يخطفها: يسترقها وأخذه بسرعة، «**فيقرقرها**»؛ يرددها ويلقيها في أذن وليه الكاهن... «**فيخلطون**»؛ أي: يزيدون فيها مائة كذبة». اهـ كلام النووي.

=

=

والعجب كيف يصدقهم الناس مع كثرة كذبهم وندرة صدقهم؟!

٢- حديث معاوية:

قوله: «ومنا رجال يتطيرون...». إلخ.

التطير: الطِّيرة -بكسر الطاء وفتح الياء-... والتطير التشاؤم، وأصله: الشيء المكروه من قول أو فعل، أو مرئي، وكانوا يتطيرون فينفرون الظباء والطيور؛ فإن أخذت ذات اليمين تبركوا ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا؛ فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفىٰ الشرع ذلك وأبطله، ونهىٰ عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر.

فهذا معنىٰ قوله ﷺ: **«ولا طيرة»**.

وفي حديث آخر: «**الطيرة شرك**»؛ أي: اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرًا في الفعل والإيجاد. «شرح مسلم» (١٤/ ١٨٣)، ط. الكتب العلمية.

وقال (ص١٨٨) في شرح حديث معاوية: معناه: أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة، ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا... اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم. بمرئي مثل: لو رأىٰ طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا، أو مسموع مثل: من هَمَّ بأمر فسمع أحدًا يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب فيتشاءم.

أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض السنوات؛ فهذه لا ترىٰ ولا تسمع.

واعلم أن التطير ينافي التوحيد ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله علىٰ الله واعتمد علىٰ غيره.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، فأيُّ رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل لك، ولا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]...

إذن؛ فالطيرة محرمة وهي منافية للتوحيد، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشىٰ من تأثير هذا المتطير به وهذا أهون.

=

=

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد...». «القول المفيد» (٢/ ٨١-٨٢)، «الإرشاد» (ص١٣٥-١٣٩)، «إعانة المستفيد» (٢/ ٥). ط الرسالة.

وروى أبو داود (٣٩١٠) من حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الطيرة شرك**». وصححه الألباني والوادعي.

قال ابن مفلح -رحمه الله تعالى-: «والأولى القطع بتحريم الطيرة لأنها شرك». «الآداب الشرعية» (٣/ ٣٦٢).

وقال الخطابي -رحمه الله تعالى-: «وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب نفعًا لهم أو تدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه فكأنهم أشركوا مع الله تعالى». «معالم السنن» (٤/ ١٣٤)، «فتح المجيد» (٢/ ٥٢٢-٥٢٤)، ط. دار الصميعي.

والأصل في التطير أنه شرك أصغر حيث اعتمد على هذا السبب الذي لم يجعله الله سببًا والقاعدة: (أن كل مَن اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببًا فإنه مشرك)، وهذا نوع من الإشراك مع الله... لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله فهو مشرك شركًا لأنه جعل لله شريكًا في الخلق والإيجاد. «القول المفيد» (٢/ ٨٨)، «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٤)، «التمهيد» (ص٣٣٥).

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-: «فيجب على من وجد شيئًا من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه ويستعين بالله ويتوكل عليه، ويمضي في شأن ويقول: **اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك**». «الإرشاد» (ص ١٣٥)، «المفيد» (ص٢١٠)، «التمهيد» (ص٣٤١). ط. دار التوحيد.

٣- حديث بعض أزواج النبي ﷺ:

قال الخطابي -رحمه الله تعالى- وغيره: «العرَّاف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما، وأما عدم قبول صلاته فمعناه: أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئه في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة.

فالواجبات إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليه شيئان: سقوط الفرض عنه وحصول الثواب...». «شرح مسلم» للنووي (١٤/ ١٩٠)، «التيسير» (ص٤٠٧).

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالى-: «لأن الذنب والإثم الذي اقترفه حين أتى العراف فسأله عن شيء يقابل ثواب الصلاة أربعين يومًا فأسقط هذا هذا، ويدل ذلك على

=

عظم ذنب الذي يأتي العراف فيسأله عن شيء ولو لم يصدقه وهذا عند أهل العلم علىٰ حالتين:

الحالة الأولىٰ: من أتىٰ العراف فسأله عن شيء رغبة في الاطلاع، أما من أتاه للإنكار عليه وحتىٰ يتحقق أنه عراف فلا يدخل في ذلك؛ لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

الحالة الثانية: أن يأتي العراف، أو الكاهن فيسأله عن شيء فإذا أخبره صدقه بما يقول.

وهذه الحالة تدل أنه لم يخرج من الملة؛ لأنه حد عدم قبول صلاته بأربعين يومًا... ولو كان كفرًا أكبر؛ فإن صلاته لا تقبل بتاتًا حتىٰ يرجع إلىٰ الإسلام؛ فدل علىٰ أن قوله في الحديث الآخر «**قد كفر بما أنزل علىٰ محمد**»؛ أنه كفر أصغر، وهذا القول هو الصحيح...». «التمهيد» (ص٣٢٠-٣٢١) بتصرف.

[وأما من اعتقد أنهم يعلمون الغيب فهذا كفر أكبر «القول المفيد» (٢/ ٤٨-٤٩)، «إعانة المستفيد» (١/ ٤٩١)، ط. العاصمة، «التيسير» (٤٠٩)].

وانظر: جامع الترمذي عند الحديث السابق «**فقد كفر...**»، قال: هذا محمول علىٰ التغليظ، وهذا مذهب عامة السلف: أنه كفر أصغر، إلا أن يشتمل علىٰ عمل أو قول أو اعتقاد يصل به إلىٰ الكفر فيكفر كفرًا أكبر.

٤- حديث أبي مسعود:

فيه تحريم بيع الكلب وشرائه، وتحريم ما تعطاه البغي علىٰ زناها وتحريم الزنا من باب أولىٰ كما نص عليه القرآن والسنة ولو كان بدون مقابل، وتحريم إعطاء الكاهن مالًا وحرمة أخذه له ولو بعد توبته، والذهاب إلىٰ الكهان حرام سواء أعطاه أجرة أو لم يعطه.

٥-٦- حديث ابن عمر وحديث ابن مسعود:

ابن صياد ويقال: ابن صائد، واسمه صاف، وقد أسلم بعد موت النبي ﷺ.

وسبب الذهاب إليه لاختباره أنه كانت به قرائن محتملة بأنه المسيح الدجال، ويفهم من مجموع الأدلة أن هذا كان قبل أن يوحىٰ إلىٰ النبي ﷺ بصفات الدجال، فلما نزل الوحي بذلك علم أنه كاهن.

هذا هو القول الصحيح، وقوله: «**الدخ**»؛ أي: الدخان وهي لغة قليلة، «**خبيئًا**»؛ أراد قوله تعالىٰ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾، وقوله: «**اخسأ**»، كلمة زجر ومعناه: اقعد، تقال لبيان حقارة المقول له أو نحو هذا.

رواه الحاكم (١/ ٨)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني في الإرواء رقم (٢٠٠٦)، و آداب الزفاف (ص١٠٥-١٠٦)، ورواه أبو داود رقم (٣٩٠٤)، وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٢٩، ٤٧٦)، والترمذي رقم (١٣٥)، وابن ماجه رقم (٦٣٩)، والبيهقي (٧/ ١٩٨)، وابن الجارود رقم (١٠٧)، والدارمي رقم (١١٤١)، والطحاوي في المشكل (١٥/ ٤٢٩).

قلت:

الكاهن: هو الذي يخبر الناس عن أشياء غيبية لم تقع بعد، كمهدي أمين الكاهن وغيره، وكذا الذين يخبرون عما في الضمير، وقد علمت تحريم إتيانهم، وأنهم ليسوا علىٰ شيء، بل هم علىٰ باطل[1].

=

وقوله: «**فلن تعدو قدرك**» لن تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يقولون بما تمليه لهم الشياطين.

وهذا يدل علىٰ حقارة الكهان والعرافين والمنجمين.

وقوله: «**فلن تستطيع قتله**»؛ لأن الله تعالىٰ قد كتب أن قتله سيكون في آخر الزمان علىٰ يد عيسىٰ عليه السلام.

وقوله: «**وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله**»؛ لأنه كان غير بالغ، اختار هذا القول القاضي عياض، وقيل: لأن الهدنة كانت قائمة بين المسلمين و اليهود جزم به الخطابي.

انظر: «شرح مسلم» (١٨/ ٣٧-٣٩).

٧- قوله: «**فصدقه**»؛ أي: بإخباره بمكان الضالة مثلًا، وقوله: «**فقد كفر...**» سبق بيانه.

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ في «التيسير» (ص٤٠٩): «ظاهر الحديث أنه يكفر متىٰ اعتقد صدقه بأي وجه كان لاعتقاده أنه يعلم الغيب...». اهـ

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «إذا صدقه واعتبر قوله فهذا كفر؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن». «القول المفيد» (ص٤٩).

قال أبو عبد الله: «فالحديث الأول في حق من لم يعتقد أنهم يعلمون الغيب، وهذا فيمن اعتقد ذلك، والله أعلم».

(١) اختلف العلماء في وضع حد دقيق للكاهن والعراف، وذلك لكثرة طرق الكهانة والعرافة =

العراف: هو الذي يعرِّف الناس بموضع الضالة أو السرقة وغيرهما مما قد وقع وخفي على الناس أمره، فيأتون إلىٰ هذا العراف فيخبرهم بموضع السحر أو الضالة أو السرقة أو اسم السارق أو الساحر، أو غير ذلك من الأمور التي قد وقعت وخفيت عليهم، وقد علمت أيضًا تحريم إتيانهم، وأن الله لا يقبل ممن أتاهم وسألهم صلاة أربعين ليلة، عقوبة ما اقترفوه من جريمة إتيانهم الكهان أو العرافين، نعوذ بالله من الضلال بعد الهدىٰ[1].

قالت اللجنة الدائمة:

«الكاهن: من يزعم أنه يعلم المغيبات أو يعلم ما في الضمير، وأكثر ما يكون ذلك ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث أو يستخدمون من يسترقون السمع

=

واختلاف أنواعها، ويجمع أصلها أن فيها دعوىٰ علم الغيب أو معرفة ما سيكون ونحو ذلك، وإليك بعض التعاريف:

قال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «الكاهن لفظ يطلق علىٰ العراف والرمال والذي يضرب بالحصىٰ والمنجم...». «فتح الباري» (١٠/ ٢١٦)، «إعانة المستفيد» (١/ ٤٨٨)، «المفيد» (ص٢٥٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «الكهان جمع كاهن، وهم قوم تتصل بهم الشياطين وتخبرهم عما جاء في السماء، تسترق الخبر من السماء وتأتي تخبر الكاهن...». «القول المفيد» (٢/ ٤٧)، «التمهيد» (ص٣١٧)، «الإرشاد» (ص١٣٣).

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلىٰ الوسائط التي يستعان بها علىٰ دعوىٰ العلوم الغيبية.

فالكهانة شرك في الربوبية من جهة دعوىٰ مشاركة الله في علمه الذي اختص به وشرك في الألوهية من جهة التقرب إلىٰ غير الله...». «الإرشاد» (ص١٣٣).

(١) سبق كلام الخطابي وعرفه شيخ الإسلام بأن العراف اسم للكاهن والرمال والمنجم... ورجحه الشيخ ابن عثيمين فقال: وهذا المعنىٰ أعم ويدل عليه الاشتقاق، إذ هو مشتق من المعرفة فيشمل كل من تعاطىٰ هذه الأمور وادعىٰ بها المعرفة. (٢/ ٤٨)، «الفتاوىٰ» (٣٥-١٧٣)، «التيسير» (ص٤١٢).

من شياطين الجن، ومثل هؤلاء من يخط في الرمل وينظر في الفنجان أو في الكف، ومن يفتح الكتاب زعمًا منهم أنهم يعرفون بذلك الغيب، وهم كفار لزعمهم أنهم شاركوا الله في صفة من صفاته الخاصة به، وهي علم الغيب، ولتكذيبهم بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وبقوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩].

ومن أتاه وصدَّقه بما يقول من الكهانة فهو كافر أيضًا لما رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل علىٰ محمد** ﷺ».

ولما رواه أصحاب السنن والحاكم وصححه عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من أتىٰ عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد**». إلىٰ غير ذلك من الأحاديث في كفر العرافين والكهان ومن صدقهم.

وهؤلاء لا تجوز الصلاة وراءهم ولا تصح، وعلىٰ من صلىٰ وراءهم وهو يعلم أن يستغفر الله ويعيدها». فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١/ ٣٩٣-٣٩٤).



تحريم تعليق الحروز والتمائم والتِّولة(١)

(١) لما كانت الرقىٰ والتمائم التي كانت تستخدم في الجاهلية للعلاج ودفع العين وغيرها من الأمراض تشتمل -في الغالب- علىٰ أمور شركية كالتوكل علىٰ غير الله والاستعانة بالجن ودعائهم، فقد جاءت النصوص الشرعية بالمنع من ذلك كله، ولم يُستثنَ من ذلك إلا ما ليس فيه شرك أو بدعة كما في حديث عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقىٰ ما لم يكن فيه شرك**». رواه مسلم (١٤/ ١٨٧) من كتاب السلام، باب: استحباب الرقية من العين.

فأما الرقىٰ فهي علىٰ أقسام: رقىٰ شرعية، ورقىٰ شركية، ورقىٰ مباحة، ورقىٰ بدعية.

فالشرعية كل ما ثبت في الكتاب والسنة [ويدخل في الشرعية الرقىٰ المباحة في الحكم] وهي مستحبة.

والرقىٰ الشركية: ما اشتملت علىٰ شرك، والرقىٰ المبتدعة ما اشتملت علىٰ بدعة.

وللقرطبي تقسيم نذكره نقله عنه الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٩٦).

قال: «الرقىٰ ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقىٰ به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي إلىٰ الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز؛ فإن كان مأثورًا فيستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات... فهذا تركه أولىٰ». اهـ بتصرف.

وقوله: «تركه أولىٰ» فيه نظر، بل يجب تركه؛ لأنه لجوء واستعاذة بغير الله تعالىٰ، وقد لوحظ علىٰ القرطبي مسائل في العقيدة منها هذه.

قال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد أجمع العلماء علىٰ جواز الرقىٰ عند اجتماع ثلاثة شروط:

أن يكون بكلام الله تعالىٰ أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالىٰ...». «الفتح» (١٠/ ١٩٥)، وانظر: «منهج الخطابي في العقيدة» (ص٢٧٧-٢٧٩).

وقال الخطابي -رحمه الله تعالىٰ-: «فأما الرقىٰ المنهي عنها هو ما كان منها بغير اللسان =

=

العربي فلا يدرىٰ ما هو، ولعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنىٰ، وكان فيه ذكر الله تعالىٰ؛ فإنه مستحب». «معالم السنن» (٤/ ٢٢٦).

وقال **القرطبي** -**رحمه الله تعالىٰ**-: «فجازت الرقية من كل الآفات والأمراض والجراح والقروح والحمة والعين وغير ذلك، إذا كان الرقىٰ بما يفهم ولم يكن فيه شرك ولا شيء ممنوع، وأفضل ذلك وأنفعه ما كان بأسماء الله تعالىٰ وكلامه وكلام رسوله ﷺ». «المفهم» (٥/ ٥٨١)، وانظر: «جهود المالكية» (ص٤٨٤-٤٨٧)، «شرح كتاب التوحيد» لابن باز (ص٤١-٤٢). ط. الاستقامة، «التمهيد» (ص١٠٩)، «الفتاوىٰ» (١/ ٣٣٦)، «التيسير» (ص ١٦٥-١٦٧)، «القول المفيد» (ص١٨٤/ ج١).

و اشتراط كون الرقىٰ باللسان العربي هو قول المالكية وغيرهم والراجح ما قاله الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-، وهو ما رجحه الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين وغيرهما.

انظر: «التيسير» (ص١٦٦)، «الفتاوىٰ» (١/ ٣٦٢)، «فتح المجيد» (١/ ٢٤٣)، «المفيد» (١٩٦).

والأحاديث الواردة في الرقية كثيرة، انظر الكتب المتعلقة بالرقية.

وأما الرقىٰ المبتدعة فهي ما فقدت شرطًا من شروط الرقية أو اشتملت علىٰ بدعة.

انظر: «الرد المبين علىٰ بدع المعالجين»، و«المنتقىٰ من أحكام الرقىٰ».

فصل:

قدمت الكلام علىٰ الرقىٰ لتعلقه بالموضع الذي ذكره المؤلف.

قوله: «الحروز» جمع حِرز وهو في اللغة: الموضع الحصين، ويأتي بمعنىٰ: التعويذ.

انظر: (اللسان، مادة: حرز).

والحروز هي التمائم: سميت حرزًا لاعتقاد أصحابها أنها تحفظهم من الضر وتعيذهم من الجن والعين وغيرها.

وهذه عقيدة شركية **قال شيخنا** -**رحمه الله تعالىٰ**- **في «هذه دعوتنا»**: «وهكذا العقيدة في الحروز والعزائم وأنها تنفع مع الله أو من دون الله شرك. «تحفة الألمعي في التعليق علىٰ هذه دعوتنا للإمام الوادعي» (ص١٧). ط. المكتبة الإسلامية.

وقوله: «العزائم».

قال الشيخ ابن عثيمين -**رحمه الله تعالىٰ**-: «تسمىٰ العزائم»، في عرف الناس.

=

١- عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا قال: «**إن عليه تميمة**». فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: «**من علق تميمةً فقد أشرك**».

أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦) بإسناد صحيح، والحاكم (٤/ ٢١٩)، وقد صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة رقم (٤٩٢)، وحسنه الشيخ مقبل في الجامع

=

عزم عليه؛ أي: قرأ عليه، وهذه عزيمة؛ أي: قراءة. اهـ

وخصها بعضهم بما علق من القرآن. والراجح في هذه المسألة أن التعليق لذلك غير مشروع.

انظر: شروح كتاب التوحيد: باب ما جاء في الرقىٰ والتمائم.

قول المؤلف (والتمائم)

قال الحافظ -**رحمه الله تعالىٰ**-: «التمائم جمع تميمة وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات». «الفتح» (١٠/ ١٩٦ الفتح).

وقال أيضًا: «التميمة ما علق من القلائد خشية العين ونحو ذلك». «الفتح» (٦/ ١٤٢ الفتح).

وقال الأزهري -**رحمه الله تعالىٰ**-: «التمائم الخرز الذي يتخذ عوذًا... ولم أر بين الأعراب خلافًا أن التميمة هي الخرزة نفسها». «تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٦٠)، «أحكام الرقىٰ والتمائم» للسحيمي (ص٢٠٩). ط. أضواء السلف.

وهذا باعتبار أصل الكلمة، وأما من حيث اصطلاح الناس فذلك شامل للخرز وسائر ما وضع لدفع الضر أو جلب النفع كما ذكره غير واحد من السلف والخلف، فالعبرة بالمقاصد والنتائج. «المفيد» (ص٢٠١)، «التيسير» (١/ ٣٢٦)، ط. دار الصميعي. «أحكام الرقىٰ» (ص٢١٠).

وسميت تميمة لاعتقاد أصحابها أن هذه التميمة بها يتم له ما أراد من دفع ضر أو غير ذلك.

قوله: «والتولة»: هي ما تجعله المرأة في عنقها تتحسن به عند زوجها ليحبها، وهو ضرب من السحر وبهذا فسره ابن مسعود.

وقيل: هو خيط يقرأ فيه من السحر أو قرطاس يكتب فيه شيء منه يتحبب به النساء إلىٰ قلوب الرجال والرجال إلىٰ قلوب النساء. «مجمل اللغة» لابن فارس (١/ ١٥٢)، «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٦٤٥)، «أحكام الرقىٰ» (ص٢١٧)، «التيسير» (١/ ٣٢٩)، «صحيح ابن حبان» (٧/ ٦٣٠)، «الفتح» (٦/ ١٩٦).

الصحيح (٦/ ٢٩٤).

٢- عن عباد بن تميم أن أبا بشير الأنصاري ﷺ أخبره أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره قال: فأرسل رسول الله ﷺ رسولًا: «**لا تبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**».

أخرجه: البخاري في الجهاد رقم (٢٨٤٣)، ومسلم في اللباس باب: ٢٨ (٣/ ١٦٧٢، ١٦٧٣)، رقم (٢١١٥) وزاد: قال مالك: «أُرىٰ ذلك من العين».

٣- عن رويفع بن ثابت ﷺ **أن** رسول الله ﷺ قال: «**يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجىٰ برجيع دابة أو عظم فإن محمدً بريء منه**».

أخرجه: النسائي في الزينة باب (١٢) (٨/ ١٣٥-١٣٦) رقم (٥٠٦٧) بإسناد صحيح، وأحمد (٤/ ١٠٨، ١٠٩)، وأبو داود رقم (٣٦)، وكذا صححه شيخنا الألباني في المشكاة رقم (٣٥١)، وصحيح الجامع رقم (٧٩١٠).

٤- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرقىٰ والتمائم والتولة شرك**»[1].

---

(١) ذكر المؤلف في هذا الباب أربعة أحاديث كلها تدل علىٰ تحريم تعليق التمائم وما في معناه لأن ذلك شرك بالله تعالىٰ كما سيأتي مصرحًا في الأدلة:

١- حديث عقبة: «**الرهط**» ما بين الثلاثة إلىٰ العشرة، وقوله: «... **فقطعها**» فيه: وجوب التوبة من الشرك وإنكار الشرك علىٰ كل حال، وتصحيح عقائد من أراد الدخول في الإسلام، ولو رأىٰ هذا بعض الحزبيين -أعني: قطع التميمة- لقالوا: هذا تشدد! ما هذا وقته!

فما أبعدهم عن سنة النبي ﷺ.

وقوله: «**فقد أشرك**».

قال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله...». «الفتح» (١٠/ ١٩٦).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد تكون شركًا أكبر إذا اعتقد معلِّق التميمة أنها =

=

تحفظه أو تكشف عنه المرض أو تدفع عنه ضرر دون إذن الله ومشيئته». «فتاواه» (٢/ ٣٨٤).

وقال: «تعليق التمائم من الشرك الأصغر ومن التشبه بالجاهلية، وقد يكون شركًا أكبر حسب ما يقوم بقلب صاحب التعليق من اعتقاد النفع فيها وأنها تنفع وتضر دون الله تعالىٰ وما أشبه هذا الاعتقاد، أما إذا اعتقد أنها سبب للسلامة من العين أو الجن ونحو ذلك فهذا من الشرك الأصغر؛ لأن الله سبحانه لم يجعلها سببًا بل نهىٰ عنها وحذَّر وبيَّن أنها شرك علىٰ لسان رسوله ﷺ، وما ذاك إلا لما يقوم بقلب صاحبها من الالتفات إليها والتعلق بها». اهـ

«المفيد» (ص٢٠١-٢٠٢)، «القول المفيد» (١/ ١٨٠)، «جهود المالكية» (ص٤٨٨).

٢- حديث أبي بشير: قوله: «في بعض أسفاره»، فيه الدعوة إلىٰ التوحيد وإنكار الشرك في السفر والجهاد وغير ذلك.

قوله: «فأرسل رسولًا»، قيل: هو زيد بن حارثة، «لا تبقين» هذا نهي وهو يفيد التحريم.

وقوله: «قلادة من وتر».

قال البغوي -رحمه الله تعالىٰ-: «تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد علىٰ أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعقلون عليها العود يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا». اهـ

«شرح السنة» (١١/ ٢٧)، «التيسير» (١/ ٣٢٠).

وقوله: «بعير»، المراد به التمثيل، وإلا فالأمر شامل لغيره لأن الحكم واحد.

وانظر: «القول المفيد» (١/ ١٧٦).

وقوله: «إلا قطعت»، هذا فيه إزالة المنكر ولاسيما إذا كان هذا المنكر في العقيدة... «إعانة المستفيد» (١/ ١٩٥).

٣- حديث رويفع: قوله: «**لعل الحياة ستطول بك**»، هذا علم من أعلام النبوة، فقد طال عمره حتىٰ رأىٰ ذلك، مات بعد الخمسين نحو (٥٦هـ).

«فأخبر الناس»، فيه وجوب تبليغ العلم ونشر العقيدة الصحيحة وإنكار الشرك.

قوله: «من عقد لحيته»، كانت العرب تعقد لحاهم عند الحرب أو غيره لإظهار التجبر والتكبر وقد نهينا عن ذلك.

وقيل: بل هي كانت عادة للفرس وقد نهينا عن التشبه بهم.

وقيل: كان بعضهم يعقدها من وسطها أو أطرافها خوفًا من العين.

=

رواه أبو داود رقم (٣٨٨٣)، وحسنه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (٤/ ٤٩٩)، وعزاه إلىٰ الحاكم فقط (٤/ ٢١٧)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع رقم (١٦٣٢)، وفي الصحيحة رقم (٣٣١)، وكذا صححه الحاكم (٤/ ٢١٧)، ووافقه الذهبي، والحديث رواه: ابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٥٦)، والبيهقي (٩/ ٣٥٠).

قلت:

يؤخذ من هذه الأحاديث تحريم تعليق الحروز والتمائم، وسوءا كان تعليقها في إنسان أو حيوان أو سيارة أو بيت أو دكان أو شجرة أو غير ذلك، وسواء كان هذا المعلق عظمًا أو قرنًا أو نعلًا أو شعرًا أو حلتيتًا أو فارعة أو وترًا أو حديدًا أو صُفرًا أو

=

وقيل: النهي عن عقدها في الصلاة؛ لأنه عبث ودلالة علىٰ عدم الخشوع.

وأيًّا كان المعنىٰ فعقدها حرام لهذا الحديث.

قوله: «أو تقلد وترًا»، وتر القوس المعروف -وقد سبق بيانه-، «الرجيع»، الروث، «بريء منه»، دلالة علىٰ تحريم ما سبق وأنه من الكبائر.

«القول المفيد» (١/ ١٨٥-١٨٦)، «التيسير» (١/ ٣٣٤-٣٣٦)، «إعانة المستفيد» (١/ ٢٠٣-٢٠٤)، «معالم السنن» للخطابي (١/ ٢٤).

٤- حديث ابن مسعود: **قال ابن بطال** -رحمه الله تعالىٰ-: «المراد بذلك رقىٰ الجاهلية وما يضاهي السحر من الرقىٰ المكروهة...». اهـ «شرحه للبخاري» (٩/ ٤٣١)، «القول المفيد» (١/ ١٧٧)، وقد سبق عند الكلام علىٰ الرقىٰ.

وقال ابن عبد البر -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله عَزَّوَجَلَّ وهو المعافي والمبتلي لا شريك له، فنهاهم رسول الله ﷺ عما كانوا يصنعون في جاهليتهم، فمن تعلق تميمة خشية ما عسىٰ أن ينزل به قبل أن ينزل فلا أتم الله عليه صحته وعافيته، وكذلك من تعلق ودعة فلا ودع الله له؛ أي: لا ترك الله له ما هو فيه من العافية، والله أعلم». «التمهيد» (١٧/ ١٦٣).

تميمة أو غير ذلك[1].

إذ الكل اعتماد علىٰ غير الله وركون علىٰ غير الله واعتقاد في غير الله، والتفات إلىٰ غير الله ووثوق بغير الله، وهذا شرك بالله كما في الحديث النبوي الشريف: «**من علق تميمة فقد أشرك**».

فائدة:

ينقسم ما يعلقه الإنسان علىٰ نفسه أو غيره بقصد دفع الضر أو جلب النفع إلىٰ قسمين:

الأول: شرك، وهو ما كان من غير القرآن والأدعية النبوية مثل العظام ولحم الخنزير والجلد والحذاء والحديد والأوراق المكتوب عليها كلام لا يعرف مثل أسماء الجن، أو كان قد صور فيها الحية أو الحنش أو العقرب أو السيف، أو كتابة حروف مقطعة أو أعداد حسابية إلىٰ غير ذلك.

وينقسم هذا إلىٰ قسمين:

شرك أكبر وهو ما اعتقد حامله فيه الضر والنفع من دون الله، وشرك أصغر وهو ما لم يعتقد حامله فيه الضر والنفع من دون الله.

الثاني: بدعة: وهو ما كان من القرآن أو الأدعية النبوية مكتوبًا في ورقة ثم تُعَلَّقُ تلك الورقة علىٰ المريض[2].

---

(١) ومن أنواع التمائم أيضًا: الخرز، العقرة (خرزة تعلق لمنع الحمل)، والوجيهة (خرزة تعلق لتقي الأمراض)، والودع، واليشب، والزمرد، والتحويطة، والحقاب، وكعب الأرنب، وتعليق الحلي علىٰ المريض وغيرها. انظر: «أحكام الرقىٰ للفهيد» (ص٢١٦-٢١٨).

(٢) وقد اختلف السلف في المسألة إلىٰ مجيز ومانع، والمنع أرجح لعموم النهي عن التعليق، ولأنها ذريعة إلىٰ الرقىٰ الشركية، ويؤدي تعليقها إلىٰ امتهان القرآن أو الأدعية النبوية في الدخول بها دورات المياه، أو رميها في الأرض... إلىٰ غير ذلك.

وهذا ما رجحه الشيخ ابن عثيمين والشيخ الوادعي، وجمهور أهل السنة. انظر: «المجموع الثمين من فتاوىٰ ابن عثيمين» (١/ ٥٨)، «المفيد» (٢٠٤-٢٠٦)، «التمهيد» (ص١١٤-١١٥).

تنبيه:

وإنما قلت بدعة؛ لأنه لم يفعله رسول الله ﷺ ولا دل عليه، وقد كان المرض موجودًا في زمنه والكُتَّاب موجودين، فلما لم يفعل الكتابة ولا المحو وشرب الماء الذي محيت فيه الكتابة ولا التبخير بالورقة بعد حرقها بالنار ولا التعليق، دل على أنها لم تشرع وأن السنة القراءة المباشرة على المريض.

قال الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى-:

«فائدة: «التميمة»:

خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام كما في النهاية لابن الأثير.

قلت[1]: ولا تزال هذه الضلالة فاشية بين البدو والفلاحين وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التي يضعها بعض السائقين أمامهم في السيارة يعلقونها على المرآة، وبعضهم يعلق نعلًا عتيقة!! في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها.

وغيرهم يعلقون نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان!! كل ذلك لدفع العين -زعموا- وغير ذلك مما عمَّ وطمَّ بسبب الجهل بالتوحيد وما ينافيه من الشركيات والوثنيات التي ما بُعثت الرسل ولا أُنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، فإلى الله المشتكى من جهل المسلمين اليوم وبُعدهم عن الدين.

ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بل تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى!! فهذا الشيخ الجزولي صاحب «دلائل الخيرات» يقول في الحزب السابع في يوم الأحد «ص١١١ طبعة بولاق»: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ما سجعت الحمائم وحمت الحوائم وسرحت البهائم ونفعت التمائم».

وتأويل الشارح لـ «الدلائل»، بأن التمائم: جمع تميمة وهي الورقة التي يكتب

---

(١) القائل الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى-.

فيها شيء من الأسماء أو الآيات، وتعلق على الرأس مثلًا للتبرك، مما لا يصح لأن التمائم عند الإطلاق إنما هي الخرزات كما سبق عن ابن الأثير، على أنه لو سلم بهذا التأويل فلا دليل في الشرع على أن التميمة بهذا المعنى تنفع، ولذلك جاء عن بعض السلف كراهة ذلك كما بينته في تعليقي على «الكلم الطيب»، (ص٤٤-٤٥)». انتهى من السلسلة الصحيحة (١/ ٨٩٠) رقم الحديث (٤٩٢).

قال الحاكم -رحمه الله تعالى- (ج٤ص٢١٧):

حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزاهد الأصبهاني، ثنا أحمد بن مهران، ثنا عبيد الله بن موسى، ثنا إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن الأسدي، قال: دخل ابن مسعود ﷺ على امرأة فرأى عليها حرزًا من الحمرة فقطعه قطعًا عنيفًا ثم قال: إن آل عبد الله عن الشرك أغنياء، وقال: كان مما حفظنا عن رسول الله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة من الشرك**». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الشيخ مقبل: هو حديث حسن، أحمد بن مهران قال فيه ابن أبي حاتم: صدوق، والمنهال بن عمرو، قال الحافظ: صدوق ربما وهم.

وأما شيخ الحاكم فلقبه الذهبي في سير أعلام النبلاء (ج١٥/ ٤٣٧)، بالشيخ الإمام المحدث القدوة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار الزاهد[1].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ج٤/ ١٥٦):

ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، ثنا عبد العزيز بن مسلم، ثنا يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني ﷺ: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا.

---

(١) قد تقدم هذا الحديث.

قال: «**إن عليه تميمة**». فأدخل يده فقطعها فبايعه.

وقال: «**من علق تميمة فقد أشرك**». هذا حديث حسن كما في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (٦/ ٢٩٣-٢٩٤)، وقد تقدم هذا الحديث (ص ١٤٤).

قالت اللجنة الدائمة للإفتاء (١/ ٢٠٤)، من الفتوىٰ رقم (٢٧٧٥):

«تعليق التمائم علىٰ الإنسان أو غيره من القرآن محرم في أصح قولي العلماء، وإن كان من غيره فهو أشد تحريمًا.

وتختلف مراتب الحكم فيه باختلاف قصد صاحبه، فقد يكون شركًا أكبر إذا اعتقد أن لها تأثيرًا دون الله، وقد يكون شركًا أصغر، وقد يكون بدعة ومعصية دون ذلك، وعلىٰ كل حال لا يجوز فعله ولا ينبغي الائتمام بمن يفعله أو يعلقه. وبالله التوفيق...

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم». اهـ



لا يعلم الغيب إلا الله(١)

١- قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣].

٢- وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩].

٣- وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ

---

(١) الغيب لغة: ما استتر عن العيون، يقال: الشمس غابت، تغيب غيبة وغيوبًا وغيبًا.

فالغيب كل ما غاب عن العيون، ومنه الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

انظر: «اللسان، ومعجم مقاييس اللغة» مادة (غيب)، «علم الغيب» للغنيمان (ص٢٣).

شرعًا: أنه كل ما غاب عنا مما لا نعلمه إلا بالخبر دون النظر كالبعث والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والحساب، وزمن الموت ووقت نزول المطر، وما سيكون في المستقبل وغير ذلك من الغيبيات.

وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١/ ١٠٠)، «علم الغيب» للغنيمان (ص٢٧-٢٩).

قال ابن العربي -رحمه الله تعالىٰ-: «الغيب الذي أخبر به النبي ﷺ مما لا تهتدي له العقول، وكذلك الذي هو الإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق». «أحكام القرآن» (١/ ٨-٩).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «إن اسم الغيب من الأمور الإضافية يراد به ما غاب عنا فلم ندركه، ويراد به ما غاب عنا فلم يدركنا...». «الفتاوىٰ» (١٤/ ٥١)، وانظر: «شرح الأصول» للعثيمين(ص١٥٣).

وعلم الغيب قسمان:

١- **غيب مطلق:** وهو ما لا يعلمه إلا الله ﷻ ولا يطلع عليه الخلق إلا أن يطلع الله من يشاء منهم علىٰ شيء من ذلك: كالرسل كما دلت عليه آية الجن وسيأتي شرحه في أدلته.

٢- **غيب نسبي:** وهو ما يسر الله تعالىٰ للعبد معرفته عند معرفة أسبابه كمعرفة الجنين بعد نفخ الروح فيه أذكر هو أم أنثىٰ، والرؤىٰ المنامية إذا صدقت، والإلهام...وهذا الغيب النسبي هو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض.

وانظر: «شرح الأصول» للعثيمين (ص١٥٣-١٥٤)، «عقيدة التوحيد» (ص١٢١).

عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:٥٠].

٥- وقال الله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩].

٦- وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٨].

٧- وقال تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ [يونس:٢٠].

٨- وقال نوح عليه السلام: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [هود:٣١].

٩- وقال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٢٣].

١٠- وقال -جل جلاله وعظم سلطانه-: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف:٢٦].

١١- وقال -جل وعلا-: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١-٩٢].

١٢- وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥].

١٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤].

١٤- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة:٦].

١٥- وقال الله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣].

١٦- وقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤].

١٧- وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ:٤٨].

١٨- وقال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦].

١٩- وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

٢٠- وقال الله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن:٢٦-٢٨][1].

---

(١) ذكر المؤلف عشرين آية تدل علىٰ علم الغيب وأنه صفة لله تعالىٰ مختصة به لا يشركه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «ومن ادَّعىٰ علم الغيب أو صدق من يدَّعيه فهو مشرك كافر لأنه يدعي مشاركة الله فيما هو من خصائصه...». «عقيدة التوحيد» (ص ١٢٣)، وانظر: «شرح الأصول» للعثيمين (ص١٥٤).

والآن نشرع في شرح الآيات علىٰ الترتيب:

١- [آية البقرة:٣٣]: يخبر تعالىٰ عن حوار الملائكة في شأن استخلاف آدم في الأرض، فلما ظهر للملائكة ضعف ما ظنوه قال تعالىٰ مخاطبًا لهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾، أعلمكم وأبين لكم ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالمًا بالغيب فالشهادة من باب أولىٰ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾؛ أي: تظهرون ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ في قلوبكم.

فالله تعالىٰ محيط علمه بالظاهر والباطن فهو بكل شيء عليم.

=

=

٢- [آية آل عمران:١٧٩]: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ لم يكن في حكمته سبحانه أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، بل اقتضت حكمته أن يبتليهم حتى يتميز الخبيث من الطيب.

٣- [آية المائدة:١١٦]: هذه الآية توبيخ للنصارى الذين يزعمون أن عيسى وأمه إلهين أو أن عيسى ثالث ثلاثة، فيقول الله تعالى لعيسى هذا الكلام فيتبرأ منه ويقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك عن هذا الكلام القبيح ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ أي: ما ينبغي لي ولا يليق أن أدعي شيئًا ليس من أوصافي ولا من حقوقي ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾، والله تعالى يعلم أنه لم يقله ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، فإذا كان الأنبياء لا يعلمون الغيب فغيرهم من باب أولى ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ وحدك لا شريك لك المتفرد بذلك.

٤- [آية الأنعام:٥٠]: يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُل﴾ لهؤلاء المعاندين وللقائلين له إنما تدعونا لتتخذك إلهًا مع الله ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، لا أدعي أن عندي مفاتيح رزقه سبحانه ورحمته ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾، وإنما ذلك كله عند الله تعالى فهو وحده عالم الغيب والشهادة ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ فأكون نافذ التصرف قويًا.

فلست أدعي فوق منزلتي التي أنزلني الله بها ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾؛ أي: هذه غايتي ومنتهى أمري وأعلاه -وكفى به شرفًا-.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ﴾؛ أي: أعمى البصر أو البصيرة ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المبصر الفاهم للحق. لا يستوون ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما أمركم الله به فتقبلون الحق.

٥- [الأنعام:٥٩]: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط وأنه شامل للغيوب كلها، وأن علم الغيب مما اختص الله به نفسه.

٦- [الأعراف:١٨٨]: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾، بل الأمر كله لله تعالى، وقد سبق كلام للشوكاني حول هذه الآية ردًا على القبورية ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾؛ أي: لو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي تنتج لي المصالح والمنافع ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه ولكن لعدم علمي بالغيب قد يفوتني ما يفوتني من المصالح، وقد ينالني مما أكره ما ينالني فهذا أدل دليل على أني لا أعلم الغيب ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ من الشرور ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالخير والثواب لمن قبل ذلك، وكان من المؤمنين.

٧- [يونس:٢٠]: يبين تعالى أنه المتفرد بعلم الغيب.

=

=

٨- [آية هود:٣١]: سبق بيانها في آية الأنعام (٤).

٩- [آية هود:١٢٣]: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ما غاب فيهما من الخفا والأمور الغيبية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ من الأعمال والعمال فيميز الخبيث من الطيب ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾؛ أي: قم بعبادته وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ فوض أمرك إليه سبحانه في كل شأنك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الخير والشر، بل قد أحاط علمه بذلك وسيجزي كل نفسٍ ما عملت.

١٠- [آية الكهف:٢٦]: يخبر تعالىٰ أنه أعلم بمدة ما لبثه أصحاب الكهف فهو عالم الغيب والشهادة، وقد أخبر بذلك في قوله: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾.

١١- [آية المؤمنون:٩١-٩٢]: نزه الله تعالىٰ نفسه عما يصفه به الجاهلون ثم أثنىٰ علىٰ نفسه بسعة علمه وعلو ذاته وصفاته وكماله وذم ما ينسبه إليه المشركون لقلة علمهم به تعالىٰ.

١٢- [النمل:٦٥]: يخبر تعالىٰ أنه المنفرد بعلم غيب السموات والأرض، وإذا كان كذلك فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له ثم ذكر المكذبين بالآخرة وبيان جهلهم وجهل آلهتهم الباطلة فقال: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، وما يدرون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، متىٰ بعثهم وقيامهم من قبورهم.

١٣- [لقمان:٣٤]: هذه الأمور الخمس من الأمور التي طوي علمها عن جميع الخلق، فلا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يعلمها غيرهم من باب أولىٰ، والكهان والمنجمون أبعد وأبعد من أن يعلمها أحد منهم، وسيعاد الحديث عليها مفصلًا عند شرح الحديث المتعلق بذلك.

١٤- [السجدة:٦]: سبق شرحها ضمن ما سبق.

١٥- [آية سبأ:٣]: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ لا يغيب عن علمه شيء صغر أو عظم، ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، قد كتب الله تعالىٰ ما سبق في علمه أنه كائن، وكيف سيكون، كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، فالذي لا تخفىٰ عليه مثقال الذرة ولا أصغر من ذلك قادر علىٰ بعثهم وجمعهم بعد تفرقهم.

١٦- [آية سبأ:١٤]: كان مِن الجن مَن يدعي علم الغيب فأراد الله تعالىٰ إظهار كذبهم للناس، وذلك أن سليمان عليه السلام مات وبقي ميتًا متكئًا علىٰ عصاه زمنًا ولم يعلم بذلك الجن، حتىٰ أكلت الأرَضَة عصاه فسقط فلما عرف الناس جهل الجن بموت سليمان علموا كذبهم

=

والأدلة من السنة كثيرة، منها:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدًا، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متىٰ يأتي المطر أحد إلا الله، ولا يعلم متىٰ تقوم الساعة إلا الله».

أخرجه البخاري رقم (٩٩٢، ٤٣٥١، ٤٤٢٠، ٤٥٠٠، ٦٩٤٤)، وأحمد (٢/ ٥٢).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس لا يعلمهن إلا الله». ثم تلا الآية.

رواه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم رقم (٩، ١٠).

=

في دعوىٰ علم الغيب وأن علم الغيب خاص بالله تعالىٰ.

وهكذا تعلم كذب الصوفية الذين يزعمون -منهم- أنهم يعلمون الغيب بالمكاشفات والفناء ونحو ذلك، ولهم في ذلك شطحات يطول ذكرها، وقد ذكر الغنيمان من ذلك الشيء الكثير في كتابه «علم الغيب في الشريعة الإسلامية».

١٧- [سبأ:٤٨]: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

١٨- [الزمر:٤٦]: ﴿فَاطِرَ﴾ خالق ومدبر، ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ في كل شيء اختلفوا فيه، ومن أعظم ذلك اختلاف الموحدين مع المشركين من كفار وقبوريين وملاحدة وغيرهم، فعند ذلك يخسر المبطلون.

١٩- [الحشر:٢٢]: هو الله لا معبود بحق سواه لكماله وجلاله وربوبيته وألوهيته؛ ولأنه عالم الغيب والشهادة والمتصف بالرحمة الواسعة الواصلة فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

٢٠- [الجن:٢٦-٢٨]: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾؛ فإنه يطلعهم من علم الغيب ما يؤدون به رسالتهم، كما دل عليه سياق الآيات كما سيأتي كلام الحافظ في ذلك، فدلت الآيات التي ذكر المؤلف أن علم الغيب خاص بالله تعالىٰ، وأن الأنبياء والملائكة والجن لا يعلمون الغيب، والكهان والمنجمون أبعد وأبعد من أن يعلموا الغيب. (راجع للآيات تفسير السعدي).

وانظر كيف اختصره البخاري في آخر الاستسقاء.

٣- عن بريدة ﷺ قال: **سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «خمس لا يعلمهن إلا الله»**. فذكر الآية.

رواه أحمد (٥/ ٣٥٣)، **وغيره بإسناد صحيح**، وحسنه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (٦/ ٣٦١)، وصححه **الألباني في صحيح** الجامع رقم (٣٢٥٥).

٤- عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يعلم ما في غدٍ إلا الله**».

رواه الحاكم (٢/ ١٨٤، ١٨٥)، وصححه علىٰ شرط مسلم وأقره الذهبي، وانظر: آداب الزفاف (ص١٨٢)، وحسنه ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٠٣)، وهو كما قال.

زاد الألباني في تخريجه الطبراني في الصغير والأوسط، والبيهقي (٧/ ٢٨٩).

٥- عن الرُّبَيِّع بنت معوذ بن عفراء ﷺ قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ غداة بُنِيَ عليَّ، فجلس علىٰ فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويريات كن يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر إذ قالت: إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غدٍ فقال: «**لا تقولي هكذا، وقولي ما كنت تقولين**»[1].

---

(١) ثم ذكر المؤلف جملة من الأحاديث الدالة علىٰ تفرد الله تعالىٰ بعلم الغيب.

١، ٢، ٣، ٤ كلها بمعنىٰ واحد، قوله: «**لا يعلم أحد ما يكون في غد**»؛ لأن ذلك مما لم يطلع الله تعالىٰ عليه أحد إلا ما كان من الوحي لأنبيائه عن بعض ذلك، فذلك من إطلاع الله تعالىٰ لهم لا أنهم يعلمون الغيب، وما قد يبيته الإنسان من أنه سيعمله في الغد فهو لا يعلم ما سيكون يقينًا إنما ذلك من باب العزم والله أعلم بما سيحصل له بعد ذلك.

ومن ادعىٰ أنه يعلم المستقبليات فهو دجال مارق كحال بعض الفلكيين والمنجمين.

وقوله: «**ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام**» فالمنفرد بعلم ذلك هو الذي أنشأها، ثم يطلع الله تعالىٰ ملك الأرحام علىٰ شيء من علم ما في الأرحام أذكر أم أنثىٰ وشقي أم سعيد وعمره وأجله...

وقد يعلم بعد نفخ الروح أذكر هو أم أنثىٰ وذلك ليس من علم الغيب؛ إذ إن ذلك مما يعلم =

رواه البخاري رقم (٣٧٧٩، ٤٨٥٢).

فائدة:

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٢٠٣): «... علم الغيب... صفة تختص بالله تعالىٰ... وسائر ما كان النبي يخبر به من الغيوب بإعلام الله تعالىٰ إياه لا أنه يستقل بعلم ذلك».

قلت: ومن هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتبين للقارئ اللبيب بطلان ما عليه الكهان والعرافون والمنجمون من الدجل والتضليل كمهدي

=

بالنظر بعد نفخ الروح.

وقوله: «**ولا تدري نفس بأي أرض تموت**»، وذلك أن الله تعالىٰ إذا قدر لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ثم يأتيه الموت بغتة.

وقوله: «**ولا يعلم أحد متىٰ يجيء المطر**» تفرد سبحانه بعلم وقت نزول المطر ومكانه وكيفيته ثم بعد ذلك يطلع الله تعالىٰ ملك الأمطار علىٰ ما شاء سبحانه من إنزال المطر فيقوم بأمر الله تعالىٰ له، وأما ما يسمىٰ بعلم الأرصاد الجوية والطقوس فاستنادهم في ذلك إلىٰ ظنون عن طريق دراسة الجو لا عن طريق دعوىٰ علم الغيب.

وعلىٰ هذا من ذكر ذلك حسب دراسته للجو ثم رد علم ذلك إلىٰ الله تعالىٰ، فالأمر سهل في ذلك، وأما من زعم أن ما قاله سيكون حتمًا؛ فهذا دجال كذاب. وانظر: «علم الغيب» (ص ٨٠).

قوله: «**ولا يعلم أحد متىٰ تقوم الساعة إلا الله**»، هذا مما أجمع عليه جميع الرسل وأتباعهم وشذ في ذلك بعض الجهلة كصاحب كتاب «عمر أمة الإسلام».

- الحديث الخامس، حديث الرُّبيع:

قولها: «جويريات كن يضربن بالدف»؛ دليل علىٰ خصوصية الدف بالنساء، وكذا في قولها: «يندبن...». إلخ؛ رد علىٰ أصحاب الأغاني، فالندب علىٰ الميت معروف ليس فيه غزل ولا وصف نساء...

وقوله: «**لا تقولي هكذا...**»؛ دليل صريح أنه لا يعلم الغيب نبي مرسل ولا ملك مقرب، بل ذلك كله لله ﷻ.

أمين[1]، وصاحبة الوصوف والمجبة وقوير[2]، وغيرهم من الكهان، وأنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله وحده لا شريك له.



(١) مهدي أمين: كاهن من كهان اليمن يسكن في مدينة بيت الفقيه وقد مات.

(٢) صاحبة الوصوف والمجبة وقوير: ثلاث نساء كاهنات يسكن في هذه المناطق الثلاث من وصاب الأسفل، قطع الله دابرهن.

وجوب التوكل على الله وحده[١]

---

(١) **التوكل لغة:** الاعتماد والتفويض وهو عمل القلب، يقال: توكل في الأمر إذا ضمن القيام به... «اللسان».

شرعًا: قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «التوكل: هو الاعتماد علىٰ الله ﷻ في حصول المطلوب ودفع المكروه مع الثقة به، وفعل الأسباب المأذون فيها». «القول المفيد، ضمن الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٢٢٠)، ط. دار ابن حزم.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- بعد أن ذكر تعاريف كثيرة: «وحقيقة التوكل مركبة من مجموعة أمور:

فأول ذلك: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلىٰ علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل...

الدرجة الثانية: إثبات في الأسباب والمسببات، فإن من نفاها فتوكله مدخول... واعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكل ألبتة؛ لأن التوكل من أقوىٰ الأسباب في حصول المتوكل فيه...

وقال: وأجمع القوم علىٰ أن التوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد، فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته...

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توحيد العبد حتىٰ يصح له توكله.

بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق فتوكله معلول مدخول علىٰ قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل...

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب علىٰ الله واستناده إليه وسكونه إليه...

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله ﷻ فعلىٰ قدر حسن ظنك بربك يكون توكلك عليه...

الدرجة السادسة: استسلام القلب له...

الدرجة السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلىٰ الله وإنزالها به طلبًا واختيارًا...». «المدارج» (٢/ ١١٢-١٣٠) بتصرف.

والتوكل عبادة عظيمة وفريضة من فرائض الله ﷻ كما سيأتي ذكره في الأدلة، بل قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «التوكل نصف الدين». «المدارج» (٢/ ١١٣).

=

١- قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۖ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨١].

=

وهو من أعلىٰ درجات العبادة التي يجب إفراد الله ﷻ بها، وإذا كان عبادة فصرفه لغير الله تعالىٰ شرك، ولهذا أورده المؤلف في كتاب التوحيد. «تيسير الحميد» (ص٤٦٦)، «إعانة المستفيد» (٢/ ٨٠).

وأقسام التوكل ثلاثة:

الأول: توكل علىٰ الله تعالىٰ وهو ما سبق شرحه.

الثاني: توكل شركي: وهو اعتماد القلب علىٰ غير الله في جلب المنافع ودفع المضار.

قال العلامة ابن قاسم -رحمه الله تعالىٰ-: «التوكل قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالتوكل علىٰ الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت فهذا شرك أكبر.

وأما التوكل علىٰ الأحياء الحاضرين والسلاطين فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذىٰ ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر». «الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٢٢٧).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «توكل عبادة... من صرفه لغير الله فهو شرك أكبر كالذين يعتمدون علىٰ الصالحين من الأموات والغائبين، وهذا لا يكون إلا ممن يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون فيعتمد عليهم في جلب المنافع ودفع المضار.

الثاني: الاعتماد علىٰ شخص في جلب معاشه ورزقه وغير ذلك وهذا من الشرك الأصغر...».

«الجامع الفريد» (٢/ ٢٣١)، وانظر: كلام آل الشيخ (ص٢٤١) من المرجع نفسه.

الثالث: التوكل المباح وهو ما يسمىٰ بالوكالة وهي من الأسباب لا عمل القلب.

قال العلامة ابن قاسم -رحمه الله تعالىٰ-: «والمباح أن يوكل شخصًا بالنيابة عنه في التصرف في أمور دنياه فهذا جائز بالإجماع لكن لا يقول: توكلت عليه، بل وكلته، فإنه ولو وكله فلابد أن يتوكل في ذلك علىٰ الله». «الجامع» (٢/ ٢١٧)، وانظر: كلام العثيمين (ص٢٢٢)، «الشرك في القديم والحديث» (٢/ ١١٠٠).

٣- وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١].

٤- وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

٥- وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٩].

٦- وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

٧- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١].

٨- وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس:٨٤-٨٦].

٩- وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

١٠- وقال شعيب أيضًا: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

١١- وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].

١٢- وقال تعالى: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١١-١٢].

١٣- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ

لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠].

١٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨].

١٥- وقال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

١٦- وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩].

١٧- وقال -جل وعلا-: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب:٣، ٤٨].

١٨- وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

١٩- وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن:١٣].

٢٠- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا[1]﴾ [الطلاق:٣].

---

(١) ذكر المؤلف أدلة كثيرة علىٰ التوكل وسنبتدئ بشرح الآيات:

١- [آية آل عمران:١٥٩]: أمر الله تعالىٰ نبيه إذا عزم علىٰ أمر أن يتوكل فيه علىٰ الله ويعتمد عليه وحده، ثم مدح المتوكلين وبين منزلتهم بحبه إياهم.

٢- [النساء:٨١]: أمر ﷻ نبيه أن يعرض عن المنافقين، وألا يبالي بهم فلن يضروه شيئًا إذا توكل علىٰ الله تعالىٰ واستعان به وكفىٰ بالله تعالىٰ وكيلًا ومعينًا وناصرًا.

٣- [المائدة:١١]: أمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين بما يستعينون به علىٰ الانتصار علىٰ عدوهم وعلىٰ جميع أمورهم، وهو التقوىٰ والتوكل، والتوكل من صفات المؤمنين الكُمَّل فعل حسب إيمان العبد يكون توكله.

٤- [المائدة:٢٣]: **قال ابن القيم** -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فجعل التوكل علىٰ الله شرطًا في الإيمان، فدل علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفائه وكلما قوي إيمان العبد قوي توكله، وكلما ضعف الإيمان ضعف التوكل، والله تعالىٰ في مواضع من =

=

كتابه يجمع بين التوكل والإسلام وبين التوكل والهداية، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان، وأن منزلته منها كمنزلة الرأس من الجسد فلا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا علىٰ ساق التوكل». «طريق الهجرتين» (٢٦٢-٢٦٤) بتصرف.

٥- [الأعراف:٨٩]: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فيعلم حالنا ويعلم ما يصلح للعباد، وما يدبرهم عليه، ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾؛ أي: اعتمدنا علىٰ الله أنه سيثبتنا علىٰ الصراط المستقيم، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم؛ فإنه من توكل علىٰ الله كفاه ويسر له أمر دينه ودنياه، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾؛ أي: احكم للمحق علىٰ المبطل وانصر المظلوم علىٰ الظالم.

٦- [الأنفال:٢]: في هذه الآية جعل الله تعالىٰ التوكل من أبرز صفات المؤمنين وأنهم يعتمدون علىٰ الله وحده لا شريك له في جلب مصالحهم ودفع مضارهم.

٧- [الأنفال:٦١]: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا﴾؛ أي: الكفار المقاتلون ﴿لِلسَّلْمِ﴾، كف القتال والصلح، ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أجبهم وصالحهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ واعتمد في دفع ضرهم وجلب مصالحكم ونصركم علىٰ الله وحده لا شريك له.

٨- [يونس:٨٤-٨٦]: هذه الآية كسابقتها في [المائدة:٢٣]: فالتوكل شرط في الإيمان والإسلام، والتوكل مفروض في جميع الشرائع.

٩-١٠- [هود:٣، ٨] [هود:٥٩]: بيان ما كان عليه الرسل من عظيم التوكل والاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في دعوتهم وعدم خوفهم من أعدائهم.

١١- [هود:١٢٣]: أي قم بعبادة الله تعالىٰ، واعتمد في ذلك علىٰ الله تعالىٰ لا علىٰ حولك وقوتك، فالتوكل ساق العبادة الذي عليه قيامها وتمامها.

١٢- [إبراهيم:١١-١٢]: ذكر تعالىٰ حال رسله مع أقوامهم الذين كذبوهم وهددوهم، وأن الرسل استمروا في دعوتهم متوكلين علىٰ الله تعالىٰ حتىٰ نصرهم سبحانه، ومن هذه الآية وغيرها بيان أن التوكل من أعظم أسباب النصر، وأهل الحق المهتدين إلىٰ السبيل القويم بحاجة إلىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ والتوكل علىٰ المولىٰ حتىٰ ينصرهم الرب -جل وعلا-.

١٣- [النحل:٩٨-١٠٠]: أي: إذا أردت القراءة لكتاب الله ﷻ فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، معتمدًا بقلبك في دفع شر الشيطان عنك علىٰ الله تعالىٰ متوكلًا عليه سبحانه، فليس للشيطان علىٰ أهل الإيمان والتوكل سلطان؛ أي: تسلط، وإنما يقوىٰ تسلطه علىٰ المشركين والمنحرفين.

=

والآيات في هذا الباب كثيرة.

ومما جاء في السنة من الأحاديث في التوكل ما يلي:

١- عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خماصًا وتروح بطانًا**».

حديث حسن، أخرجه: الترمذي في الزهد باب: ٣٣ (٤/ ٥٧٣) رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في الزهد أيضًا باب: ١٤ (٢/ ١٣٩٤) رقم (٤١٦٤)، وأحمد (١/ ٣٠) واللفظ

=

١٤- [الفرقان:٥٨]: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ الذي له الحياة الكاملة المطلقة، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ اعبده وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك والمتعلقة بالخلق.

١٥- [الشعراء:٢١٧-٢٢٠]: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ العزيز بعزته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، رحيم برحمته يفعل بعبده ذلك، وهو العالم بحال عبده حال قيامه وسجوده، وكل أحواله، يسمعه ويراه ويرعاه ويعينه.

١٦-١٧- [النمل:٧٩][الأحزاب:٣، ٤٨]: يستفاد من الآيات وجوب التوكل في تبليغ الدعوة إلى الناس، فمن توكل على الله أعانه وكفاه، فنعم المولى ونعم النصير.

١٨- [الممتحنة:١٣]: يخبر تعالى عن الحال التي كان عليها إبراهيم وقومه في مواجهة المشركين، وهي الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه، ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾؛ أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك وجميع ما يقرب إليك، ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ نوقن أن المصير إليك بالموت والبعث فنحن نسعى في الاستعداد لذلك اليوم متوكلين عليك يا ربنا.

١٩- [التغابن:١٣]: سبق نحوها (إبراهيم، النحل، الأنفال...) [وأكثر مادة التفسير من تفسير السعدي].

٢٠- [الطلاق:٣]: **قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-**: «من توكل على الله فإن الله يكفيه مهماته وييسر له أمره، فالله حسبه ولو حصل له بعض الأذية، والآية تفيد بمفهومها: أن من توكل على غير الله تخلى الله عنه وصار موكلًا إلى هذا الشيء ولم يحصل له مقصوده وابتعد عن الله بقدر توكله على غير الله». اهـ بتصرف «القول المفيد» (٢/ ١٩٦).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «ما توكل أحد على غير الله إلا خاب ظنه». «الفتاوى» (١/ ٢٨).

له، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وصححه علامة الشام الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٣١٠)، وحسنه علامة اليمن الشيخ الوادعي في الجامع الصحيح (٦/ ٣٢٨).

٢- عن عبد الله بن عباس قال: قال النبي ﷺ: **«عُرضت عليَّ الأمم فأجد النبيَّ يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرتُ فإذا سوادٌ كثيرٌ، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلىٰ الأفق فنظرت فإذا سوادٌ كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون»**.

فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: **«اللهم اجعله منهم»**. ثم قام إليه رجل آخر قال: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهم قال: **«سبقك بها عكاشة»**.

رواه البخاري رقم (٦١٧٥) في الرقاق، باب: ٥٠، ومسلم رقم (٢٢٠)، واللفظ للبخاري. الشاهد من الحديث: **«وعلىٰ ربهم يتوكلون»**.

٣- عنه أيضًا ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»**.

رواه البخاري رقم (٦٩٤٨) مختصرًا، وانظر: رقم (١٠٦٩)، ومسلم رقم (٢٧١٧).

٤- عن جابر ﷺ أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبل نجد فلما قفل رسول الله قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله تحت سمرة، وعلق بها سيفه ونِمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي، فقال: **«إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله، ثلاثًا»**[1]، ولم يعاقبه وجلس.

---

(١) وذكر المؤلف أربعة أحاديث:

=

رواه البخاري رقم (٢٧٥٣)، ومسلم رقم (٨٤٣).

فتوىٰ اللجنة الدائمة للإفتاء (١/ ٢٥١) رقم (٩٥٨٠):

«حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لو أنكم توكلون علىٰ الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**».

رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال الترمذي: حسن صحيح.

حقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب علىٰ الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

=

١- أولها حديث عمر، وسيأتي شرحه من كلام اللجنة الدائمة بما أغنىٰ عن شرحنا له.

٢- حديث ابن عباس: وهو مشروح في [شروح كتاب التوحيد: باب من حقق التوحيد...].

والشاهد منه: قوله في وصف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

قال الشيخ سليمان آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل علىٰ الله وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضا به ربًّا وإلهًا والرضا بقضائه...». «التيسير» (ص١١٠).

٣- حديث ابن عباس في الدعاء: **قال الإمام النووي -رحمه الله تعالىٰ-**: « **لك أسلمت وبك آمنت**»؛ معناه: لك انقدت وبك صدقت، «**وعليك توكلت**»؛ أي: فوضت أمري إليك، «**وإليك أنبت**»؛ أقبلت بهمتي وطاعتي وأعرضت عما سواك، «**وبك خاصمت**»؛ أي: بك أحتج وأدافع وأقاتل». اهـ (١٧/ ٣٢).

ثم من تمام توكله استعاذ بالله تعالىٰ من الضلال، فإن الثبات علىٰ الحق توفيق الله تعالىٰ وفضله.

٤- حديث جابر: «**قفل**»؛ رجع، «**القائلة**»؛ نوم وسط النهار، «**العضاة**»؛ الشجر، «**أعرابي**»؛ في رواية «**مشرك**»، وقوله: «**صلتًا**»، مجردًا من غمده، فقال متهددًا «**من يمنعك مني؟**»؛ أي: لا أحد حسب فهمه، فقال الرسول ﷺ لثقته بالله وقوة توكله «**الله**»؛ فسقط السيف من يده، فكفاه الله تعالىٰ شره ودفع عنه أذاه.

ومعنىٰ الحديث: أن الناس لو حققوا التوكل علىٰ الله بقلوبهم واعتمدوا عليه اعتمادًا كليًّا في جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم وأخذوا بالأسباب المفيدة؛ لساق إليهم أرزاقهم مع أدنىٰ سبب كما يسوق إلىٰ الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب ولكنه سعي يسير.

وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله ﷻ المقدرات بها وجرت سننه في خلقه بذلك، فإن الله تعالىٰ أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة والتوكل بالقلب عليه إيمان به.

قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة:١١]؛ فجعل التوكل مع التقوىٰ التي هي القيام بالأسباب المأمور بها والتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوبًا بنوع من التوكل، فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».

انتهت فتوىٰ اللجنة الدائمة.



وجوب الحكم بما أنزل الله
وتحريم الحكم بغير ما أنزل الله[1]

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «من مقتضىٰ الإيمان بالله تعالىٰ وعبادته: الخضوع لحكمه والرضا بشرعه والرجوع إلىٰ كتابه وسنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال، وفي العقائد، وفي الخصومات، وفي الدماء والأموال، وفي سائر الحقوق؛ فإن الله هو الحَكَمُ وإليه الحُكم، فيجب علىٰ الحكام أن يحكموا بما أنزل الله، ويجب علىٰ الرعية أن يتحاكموا إلىٰ ما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله...». «عقيدة التوحيد» (ص١٤١).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله علىٰ رسوله فهو كافر...». اهـ وسيكرر.

وقال الشيخ سعد الحصين -غفر الله له-: «والحق الذي هدىٰ إليه كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ أن الحكم بما أنزل الله شامل لكل ما أوحىٰ الله إلىٰ عبده ورسوله ليبينه للناس، وليحكم به بينهم أولًا وقبل كل شيء في الاعتقاد، **ثم في العبادات ثم في المعاملات لا العكس**، كما وَهَم منتجو الفكر الإسلامي ومستهلكوه...

وقال: أكثر الحركات والأحزاب الموصوفة بـ (الإسلامية)في هذا الجيل اتخذت كلمة [الحكم بما أنزل الله] شعارًا لها... ولكنهم باتباعهم رأيَهم وفكرَهم ضيقوا المعنىٰ الواسع للحكم بما أنزل الله فقصروه علىٰ فقه المعاملات وخصوا به الحكام...». [الحكم بما أنزل الله فرض عين].

تنبيه: هل يقال: توحيد الحاكمية؟

قال الشيخ الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «فالتحاكم إلىٰ ما أنزل الله داخل في التوحيد والتحاكم إلىٰ غيره من أنواع الشرك؛ لأن معنىٰ (لا إله إلا الله) ومقتضاها ومدلولها: التحاكم إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن تحاكم إلىٰ غيرهما؛ فإنه قد أخل بكلمة التوحيد فأخل بمقتضىٰ (لا إله إلا الله محمد رسول الله)...». «إعانة المستفيد» (٢/ ١٥٩-١٦٠).

فهو داخل في توحيد الألوهية وفي توحيد الربوبية كما سيأتي.

سؤال: فهل يجعل توحيد الحاكمية قسم رابع أو خامس لأقسام التوحيد؟

لا نعلم ذلك واردًا عن السلف، بل هو مُحدَث، والدندنة بالحاكمية لدىٰ الحزبيين تشبه دندنة =

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

٤- وقال -جل وعلا-: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩].

٥- وقال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

٦- وقال يوسف عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠].

٧- وقال يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف:٦٧].

٨- وقال الله تعالىٰ: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

٩- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد:٤١].

١٠- وقال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

١١- وقال -عز شأنه-: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧].

=

الشيعة بالإمامة، وإن اختلف الاسم فالمسمىٰ واحد والغاية واحدة.

وقد أنكر ذلك الشيخ صالح الفوزان واللجنة الدائمة وغيرهم.

١٢- وقال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ ﴾ [الأنعام:١١٤].

١٣- وقال تعالىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورىٰ:٢١].

١٤- وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورىٰ:١٠].

١٥- وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

١٦- وقال تعالىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [التين:٨].

١٧- وقال تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

١٨- وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف:٨٧].

١٩- وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (١) ﴾ [النساء:٥٨-٥٩].

---

(١) ذكر المؤلف -غفر الله له- أدلة كثيرة في الباب وشرحه كما يلي:

١-٣- [المائدة:٤٥،٤٤، ٤٧]: قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «فانظر كيف سجل الله تعالىٰ على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفر والظلم والفسوق، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بما أنزل الله كافرًا ولا يكون كافرًا، بل هو كافر مطلقًا إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية يدل علىٰ أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل من الملة وإما كفر عمل لا ينقل من =

=

الملة...». «رسالة في تحكيم القوانين» (ص٥-٨).

وأما أهل التكفير فهم يستدلون بالآيات علىٰ الكفر الأكبر، وهذا باطل وأكثر السلف أن المراد به الكفر الأصغر وعلىٰ كلٍّ سيأتي بيان الشيخ في الحكم الذي يكفر الكفر الأكبر، وفيما لا يصل إلىٰ ذلك قريبًا، وهناك نورد المراجع.

٤- [المائدة:٤٩]: أمر الله ﷻ نبيه أن يحكم بما أنزل الله تعالىٰ في كل أموره مع أتباعه وأعدائه ثم حذره من كيد أهل الأهواء الذين يحرصون علىٰ صرف الناس عن الحكم بما أنزل الله تعالىٰ إلىٰ غيره إما كليًّا، وإما جزئيًّا فهم ساعون إلىٰ هذه الفتنة، ويستفاد من هذه الآية أن ما من صاحب هوىٰ إلا وهو يدعو إلىٰ تحكيم غير ما أنزل كليًّا أو جزئيًّا تارة بقوله وتارة بعمله ومنهجه.

ولا يصدق في الدعوة إلىٰ الحكم بما أنزل الله قولًا وعملًا إلا من سلم من الأهواء، وهم أهل القرآن والسنة.

٥- [المائدة:٥٠]: ثم أنكر الله تعالىٰ علىٰ أهل الأهواء والنفاق الذين لا يريدون إلا حكم الجاهلية بدلًا من حكم الله تعالىٰ، والجاهلية تشمل ما قبل الإسلام، وكل ما خالف الإسلام فهو جاهلية ويدخل في ذلك القوانين والديمقراطية والأعراف والأسلاف والعادات المخالفة، والإضافة إلىٰ الجاهلية تقتضي التقبيح والتنفير.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ﴾؛ أي: لا أحد أحسن ﴿مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ أي: أهل اليقين والإيمان يعلمون أن حكم الله تعالىٰ لا أحسن منه ولا يُصلح العباد إلا حكم الله تعالىٰ، وأما أهل الجهل والريب فهم لا يفهمون هذا علىٰ وجهه، ولذلك تجدهم يحكمون أو يرغبون في غيره -عياذًا بالله-.

وانظر: «إعانة المستفيد» (٢/ ١٧٣-١٧٤)، «القول المفيد» (٢/ ٢٨٣-٢٨٤).

تنبيه: إضافة الحكم إلىٰ الجاهلية لا يلزم منه الكفر الأكبر، بل يكون أكبر ويكون أصغر بحسب فاعله. انظر: «الإيمان لأبي عبيد» (ص٩٠)، «الحكم بغير ما أنزل الله» للعتيبي (ص ١٠١-١٠٢).

٦- ٧- [يوسف:٤٠، ٦٧]: أخبر سبحانه عن يوسف أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله، وقد أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا الله ثم قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾؛ أي: هذا الذي أدعوكم إليه من توحيد الله وإخلاص العمل له هو الدين المستقيم الذي أمر

=

=

الله به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. اهـ من تفسير ابن كثير مختصرًا.

وقد استدل بهذه الآية الخوارج على تكفير الصحابة -أصحاب صفين- ورد عليهم ابن عباس. وانظر: كتاب العتيبي (ص٩٩).

٨- [الكهف:٢٦]: وهذا يشمل الحكم الكوني القدري والحكم الشرعي الديني؛ فإنه الحاكم في خلقه قضاءً وقدرًا وخلقًا وتدبيرًا، والحاكم فيهم بأمره ونهيه وثوابه وعقابه.

والآية دليل على إفراد الله تعالى بالحكم، وأن من استحل الحكم بغير ما أنزل الله تعالى فهو مشرك وأما من لم يستحل فذلك الشرك الأصغر كما سيأتي.

٩- [الرعد:٤١]: أحكام الله تعالى في غاية الإتقان والحكمة لا خلل فيها ولا نقص، بل هي مبنية على العدل والقسط والحمد فلا يتعقبها أحد، ولا سبيل إلى القدح فيها بخلاف حكم غيره؛ فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه.

١٠-١١- [الأنعام:٦٢-٥٧]: هذه الآيات كسابقتها [٦-٧][يوسف:٤٠-٦٧].

١٢- [الأنعام:١١٤]: يقول الله تعالى لنبيه ﷺ قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾؛ أي: بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ﴾؛ أي: مبينًا.

وقال **العلامة السعدي -رحمه الله تعالى-**: «أي: قل يا أيها الرسول، ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ أحاكم إليه وأتقيد بأوامره ونواهيه؛ فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم، وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص والعيب والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكمًا فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر...». اهـ

ويستفاد من الآية أن الموحد لا يحاكم خصومه إلى المحاكم ونحوها التي تحكم بغير ما أنزل الله تعالى، بل يطالبهم بالتحاكم إلى الشريعة، ولا يدخل المحاكم تلك إلا أن يضطروه إليها.

١٣- [الشورى:٢١]: ﴿أَمۡ﴾ الاستفهام إنكاري، يذم المشركين كيف اتخذوا لهم أربابًا وشركاء من دون الله تعالى، يحللون لهم الحرام ويحرمون الحلال، ويدعونهم إلى الشرك والبدع، ولولا الأجل الذي كتبها لهم لأهلكهم عاجلًا.

ويستفاد من الآية أن تشريع غير الله تعالى شرك لا يجوز متابعته، بل يجب على العباد أن يتبعوا ما شرع الله تعالى في العقائد والعبادة والمعاملات وغير ذلك.

=

=

١٤- [الشورى:١٠]: **قال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-**: «الذي يقصر هذا التحاكم إلىٰ الكتاب والسنة علىٰ المحاكم الشرعية، فقد غالط، لأن المراد: التحاكم في جميع الأمور، جميع المنازعات: في الخصومات المالية وغيرها، وفي أقوال المجتهدين، وأقوال الفقهاء، وفي المناهج الدعوية، والمناهج الجماعية؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾، و(شيء) نكرة في سياق النفي فتعم كل نزاع وكل خلاف سواء في الخصومات أو في المذاهب أو في المناهج...». «إعانة المستفيد» (٢/ ١٦٤-١٦٥ط. الرسالة).

وقوله تعالىٰ: ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١٥- [النساء:٦٥]: **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-**: «فأقسم سبحانه بأجل مقسوم به -وهو نفسه ﷻ- علىٰ ألا يثبت لهم الإيمان، ولا يكونوا من أهله حتىٰ يُحكِّموا رسول الله ﷺ في جميع موارد النزاع في جميع أبواب الدين ثم ضم إلىٰ ذلك انشراح صدورهم بحكمه حيث لا يجدوا في أنفسهم حرجًا وهو الضيق من حكمه، بل يقبلوا حكمه بالانشراح والتسليم فلا يعارض بعقل ولا برأي ولا هوىٰ ولا غيره...». «بدائع التفسير» (٢/ ٣٢-٣٦) بتصرف.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ راجع إلىٰ التفصيل، فمن استحل الحكم أو التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله فهو الكفر الأكبر، والنفي هنا نفي لأصل الإيمان.

وإن لم يستحل فالنفي هنا لكمال الإيمان لا لأصله. وانظر: «الحكم بغير ما أنزل الله» للعتيبي (ص٨٩-٩٠).

١٦- [التين:٨]: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ بلىٰ فلا يجوز التحاكم إلىٰ غيره.

١٧- [القصص:٨٨]: انظر ما سبق [يوسف:٤٠].

١٨- [الأعراف:٨٧]: ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بنصر المحق وإهلاك المبطل، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾، وحكمه خير حكم وأعدله.

١٩- [النساء:٥٨-٥٩]: **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-**: «﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ﴾ الآية: وهذا دليل قاطع علىٰ أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلىٰ الله ورسوله لا إلىٰ أحد غير الله ورسوله، فمن أحال الرد علىٰ غيرهما فقد ضاد أمر الله، ومن دعا عند النزاع إلىٰ حكم غير الله ورسوله؛ فقد دعا بدعوىٰ الجاهلية فلا يدخل العبد في الإيمان حتىٰ يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلىٰ الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾.

=

قلت:

ولا تكون حاكمًا بالعدل إلا إذا حكمت بما أنزل الله، وأما إذا حكمت بغير ما أنزل الله فقد حكمت بالظلم(١).

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦].

قلت:

ولا تكون حاكمًا بالحق إلا إذا حكمت بما أنزل الله، وأما إذا حكمت بغير ما أنزل الله فقد حكمت بالباطل.

تنبيه:

ينقسم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله إلىٰ أربعة أقسام:

الأول: أن يقول: إن الحكم بالشرع أفضل ولكن لا مانع من تحكيم غير الشرع،

=

قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أي: هذا الذي أمرتكم به من طاعتي وطاعة رسولي وأولياء الأمر ورد ما تنازعتم فيه إليّ وإلىٰ رسولي خير لكم في معاشكم ومعادكم وهو سعادتكم في الدارين، فهو خير لكم وأحسن عاقبة...». «بدائع التفسير» (٢/ ٣٠).

(١) قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله علىٰ رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلًا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلىٰ الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية -أي: عادات من سلفهم-، وكانوا الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر، فإن كثيرًا من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية، التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار وإلا كانوا جهالًا». «منهاج السنة» (٥/ ١٣٠)، «عقيدة التوحيد» (ص١٤٧).

فهذا كفر مخرج من الملة.

الثاني: أن يقول: إن الشرع والقانون سواء ولا فرق، وهذا أيضًا كفر أكبر مخرج من الملة.

الثالث: أن يقول: إن القانون أفضل وأولىٰ من الشرع، وهذا أيضًا مخرج من الملة، وهو أقبح الثلاثة.

الرابع: أن يعتقد أن الواجب تحكيم شرع الله ولا يجوز تحكيم غيره، ولكنه قد يحكم بغير ما أنزل الله لهوىً في نفسه ضد المحكوم عليه أو لرشوة أو لأمور سياسية، أو ما أشبه ذلك من الأسباب وهو يعلم أنه ظالم ومخطئ ومخالف للشرع.

فهذا يكون ناقص الإيمان، وقد انتفىٰ في حقه كمال الإيمان الواجب، وهو بذلك يكون كافرًا كفرًا أصغر، وظالمًا ظلمًا أصغر، وفاسقًا فسقًا أصغر، كما صحَّ معنىٰ ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وجماعة من السلف -رحمهم الله-، وهو قول أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة ومن سلك سبيلهم، والله المستعان[1].

انتهىٰ من كلام الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالىٰ-، كما في مجموع الفتاوىٰ له (١/ ٤١٦) جمع الطيار وأحمد بن عبد العزيز بن باز.

---

(١) هذا التفصيل هو الذي عليه عامة أهل السنة ونقل علىٰ ذلك الإجماع.

انظر: «الطحاوية» (٣٢٣-٣٢٤)، «مدارج السالكين» (١/ ٢٦٥-٢٦٧)، ط. دار طيبة. «الحكم بغير ما أنزل الله» للعنبري (ص٦٤-٧٤)، ونقل ذلك عن جمع غفير من السلف والخلف فراجعها هنالك وانظر: «الحكم بغير ما أنزل الله» للعتيبي (ص٦١-٦٢)، وكتاب «التحذير من فتنة التكفير» جمع علي حسن الحلبي، وكتاب «أصول التكفير» للرحيلي، وغيرها.

وأما من تحاكم إلىٰ من يحكم بغير ما أنزل الله تعالىٰ فهو: إما يرىٰ أن هذا أصلح من حكم الله أو مساويًا أو يعتقد أنه لا يجب العمل بحكم الله تعالىٰ؛ فهذا كافر ومنافق.

وإن كان لا يعتقد ما سبق، بل اضطر إلىٰ ذلك كالاضطرار إلىٰ المحاكم، أو دفعته مصالحه إليهم فهذا لا يكفر. وانظر: نحو هذا: «القول المفيد» (٢/ ٢٦٤، ٢٧٥-٢٧٨)، «التيسير» (ص٥٥٤-٥٥٦).

فصل

وعلىٰ المسلمين إذا حُكِمُوا بما أنزل الله أن يقبلوا حكم الله ولا يبحثوا عن سواه، فإن المؤمن يقبل حكم الله، والكافر والمنافق لا يقبلان حكم الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آل عمران:٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٠-٦٣].

وقال تعالىٰ عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١) [النور:٤٧-٥٢].

---

(١) سبق بيان حكم من سعىٰ إلىٰ التحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله تعالىٰ.

ثم ساق المؤلف هذه الآيات لبيان وجوب السعي والرضا بحكم الله تعالىٰ، وأن ما لم يرض فهو منافق.

١- [آية آل عمران:٢٣]: أي: ألا تنظر وتعجب من هؤلاء -أهل الكتاب- ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾ القرآن الكريم ليحكم في أمرهم فيفرون ويتولون وهم معرضون عن اتباع الحق لا يريدونه =

تحريم تصوير ذوات الأرواح(١)

=

لرسوخ الكفر في قلوبهم.
٢- [آيات النساء:٦٠-٦٣]: هذه الآيات في أهل النفاق الذين يزعمون أنهم آمنوا بالرسالة، وهم كاذبون في هذا الزعم ولو كانوا من أهل الإيمان حقيقة لم يريدوا أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت.
قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذه الآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلىٰ ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا». اهـ
﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: بالطاغوت، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر بالطاغوت وترك التحاكم إليه.
﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ بالتحاكم إلىٰ غير ما أنزل الله، وهذا هو الضلال المبين.
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ الآية: أي: إذا دعوا إلىٰ التحاكم إلىٰ الله ورسوله أعرضوا واستكبروا ونفروا وصدوا غيرهم؛ لما في قلوبهم من النفاق والبغض للدين، ثم هددهم الله سبحانه بالفضيحة وإنزال القرآن لفضحهم، أو إنزال المصائب والتنكيل بهم، عندها يرجعون إلىٰ الأيمان الكاذبة كعادة أهل النفاق والضلال...
انظر المراجع السابقة: «إعانة المستفيد» (٢/ ١٦٣-١٦٧).
٣- [آيات النور:٤٧-٥٢]: هذه الآيات كسابقتها، وقوله تعالىٰ: ﴿مُذْعِنِينَ﴾ منقادين، وليس ذلك لأجل أنه حكم شرعي وإنما أذعنوا لأجل موافقة أهوائهم فليسوا ممدوحين، بل مذمومين بالمرض في قلوبهم والشك والظلم...
وقوله تعالىٰ: ﴿يَحِيفَ﴾ يحيد عن الحق ويظلم، وذلك منفي عن الله تعالىٰ وعن رسوله ولكن المنافقين الظالمين لا يؤمنون...
ثم مدح أهل الإيمان بالمسارعة إلىٰ حكم الله تعالىٰ والانقياد له... انظر: «تفسير السعدي».

(١) **قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-**: «هذا الباب عقده المصنف -النجدي- في كتاب التوحيد؛ لأن التصوير سبب من أسباب الشرك ووسيلة إلىٰ الشرك الذي هو ضد التوحيد كما حدث لقوم نوحٍ لما صوروا صور الصالحين ونصبوها في مجالسهم وآل بهم الأمر إلىٰ أن عبدوهم من دون الله فأول شرك حصل في الأرض كان بسبب التصوير...
=

=

فمن أعظم وسائل الشرك وأسبابه التصوير ونصب الصور وتعليقها...». «إعانة المستفيد» (٢/ ٣٥٥).

فصل:

تعريف التصوير لغة: هو صناعة الصور واختراعها سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة. «المعجم الوسيط» (ص٥٢٨)، «القاموس المحيط» (ص٥٤٨)، وغيرها.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فأما الصورة فهي كل ما تصور من الحيوان سواء في ذلك الصور المنصوبة القائمة التي لها أشخاص، وما لا شخص لها من المنقوش في الجدار والمصور فيها في الفرش والأنماط...». اهـ «تهذيب سنن أبي داود» (٦/ ٧٨). ط. دار المعرفة.

حكم التصوير لذوات الأرواح بأي نوع كان حرام:

قال الإمام النووي -رحمه الله تعالىٰ-: «قال أصحابنا وغيرهم: تصوير الحيوانات -يعني: المخلوق الحي- حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه لما يمتهن أو لغيره فصنعه حرام بكل حال، لأن فيه مضاهاة بخلق الله تعالىٰ وسواء كان في ثوب أو بساطة أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها...». اهـ

وقال ابن الملقن -رحمه الله تعالىٰ- في شرح حديث «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا علىٰ قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله»، قال: «في الحديث دليل علىٰ تحريم تصوير الحيوان خصوصًا الآدمي الصالح سواء كان التصوير في حائط أو ثوب أو ورق أو مجسدًا...». «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» (٤/ ٤٨٩).

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «قد تكاثرت الأدلة عن رسول الله ﷺ في النهي عن التصوير ولعن المصورين ووعيدهم بأنواع الوعيد فلا يجوز للمسلم أن يصور نفسه ولا أن يصور غيره من ذوات الأرواح إلا عند الضرورة كالجواز ونحو ذلك...». «فتاوىٰ إسلامية» (٣/ ٣٠٨).

حكم التصوير الفوتوغرافي والفيديو -الصور المتحركة-؟

قال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-، عند حديث: «كل مصور في النار»: «هذا الحديث فيه وعيد شديد فقوله: «كل مصور» هذا يشمل جميع أنواع التصوير سواء كان نحتًا أو رسمًا أو كان التقاطًا بالآلة الفوتوغرافية التي حدثت أخيرًا لأن من فعل ذلك يسمىٰ مصورًا وفعله

=

=

يسمىٰ تصويرًا، فما الذي يخرج التصوير الفوتوغرافي كما يزعم بعضهم؟!...

غاية ما يكون أن صاحب الآلة أسرع عملًا من الذي يرسم وإلا فالنتيجة واحدة كل هؤلاء قصده إيجاد صورة، لماذا نفرق بينهم والرسول ﷺ يقول: «**كل مصور في النار**»؛ ما هو الدليل إلا فلسفة يأتون بها، وأقوالًا يخترعونها يريدون أن يخصصوا كلام الرسول ﷺ برأيهم، والمحذور الذي في الصور الفوتوغرافية أو التمثالية أو المرسومة هو محذور واحد وهو أنها وسيلة إلىٰ الشرك، وأنها مضاهاة لخلق الله تعالىٰ كل منهم مصور والنتيجة واحدة، والمقصود واحد، فما الذي يخصص صاحب الآلة عن غيره؟

إن لم يكن صاحب الآلة أشد؛ لأن صاحب الآلة يأتي بالصورة أحسن من التي تُرسم، فالمعنىٰ واحد، لا داعي لهذا التكلف أو هذا التمحل في التفريق بين الصور، ومعلوم أن كلام الله وكلام رسوله ﷺ لا يخصص إلا بدليل من كلام الله أو كلام رسوله، لا باجتهادات البشر وتخرصات البشر وفلسفات البشر، هذا مردود علىٰ صاحبه، وهذا معروف من أصول الحديث وأصول التفسير أن العام لا يخصص إلا بدليل ولا يخصص العام باجتهادات من الناس يقولونها.

هذه قاعدة مسلَّمة ومجمع عليها فما بالهم تغيب عنهم هذه القاعدة ويقولون: (إن التصوير الفوتوغرافي لا يدخل في الممنوع) إلىٰ آخره؟

كل هذا كلام فارغ لا قيمة له عند أهل العلم وعند الأصوليين، القواعد الأصولية تأبىٰ هذا كله وهم يعرفون هذا ولكن -سبحان الله- الهوىٰ والمغالطة أحيانًا يذهبان بصاحبهما مذهبًا بعيدًا، يقول الرسول ﷺ: «**كل مصور في النار**»، ويأتي فلان ويقول: (لا، المصور الفوتوغرافي ليس في النار)». «إعانة المستفيد» (٢/ ٣٥٩-٣٦١).

- وجمهور العلماء علىٰ تحريم التصوير الفوتوغرافي والفيديو، وأجازها قلة واستدلوا بتعليلات وقياسات عليلة، بل ساقطة، فتارة قاسوها علىٰ المرآة، وقالوا: إن المصور لا عمل له، إنما العمل للآلة، وقالوا هو لم يضاه خلق الله إنما نقل صورة نفس الخلق، وقال بعضهم: الصور المتحركة تباح لفائدتها في نقل الدروس... إلخ.

والجواب علىٰ هذه الشبه:

١- الأدلة علىٰ تحريم الصور عامة ولا مخصص لها -كما سبق من كلام الشيخ الفوزان-.

٢- هذه تعليلات وقياسات في مقابل النص الصريح والتعليل أو القياس في مقابل النص

=

=

فاسد الاعتبار.

٣- التصوير الفوتوغرافي أعظم مفسدة وأكثر مضاهاة من التصوير بالرسم أو النحت لسهولة وكثرة انتشاره ودقة تصويره وتزيينه للصورة وتكميلها وغير ذلك، والصورة المتحركة شر من الثابتة لما فيها من المضاهاة أكثر -في الصورة وفي الحركة والكلام...-؛ فتأمل.

٤- ويقال أيضًا لمن قاسها علىٰ المرآة: التصوير بالآلة فيه استقرار وبقاء في ورقة التصوير أو في الفلم ونحوه، أما المرآة فلا يبقىٰ ولا يستقر.

٥- ويقال له أيضًا: التصوير بالآلة عن عمل ومعالجة بخلاف الظهور علىٰ المرآة فلا عمل فيه ولا معالجة فالأول يسمىٰ تصويرًا والثاني لا يسمىٰ تصويرًا بإجماع العقلاء.

٦- من صوَّر بالآلة يقال له مصور لغة وشرعًا وعقلًا، ولا يقال هذا في حق من وقف أمام المرآة.

٧- ويقال لمن قال: (المصور بالآلة لا عمل له): وهذا باطل شرعًا وعقلًا يكاد الشخص عندما يسمع مثل هذا الكلام أن يضحك من ركبته، لركاكة هذه الشبهة، كيف لا عمل له وهو يأتي بالآلة -أو الفيديو- ويضع فيها الفلم ويوجه عدسة التصوير نحو المراد تصويره، ثم يضبط العدسة بمقاسات معينة ويقوم بضغط زر التصوير ثم في بعض الحالات يزاد تحميض الصورة، وإبرازها عن طريق معمل خاص يبذل فيه الجهد والوقت...، ثم بعد هذا يقال لا عمل له!!!

٨- وهذه الشبهة (لا عمل له) تعتبر فتح باب لاستحلال ما حرم الله تعالىٰ ورد النصوص الشرعية.

فيقال: لا يحرم من الخمر إلا ما اعتصر بالأيدي فقط أما المعتصر بالآلات فلا يحرم!!

ويقال: لا يسمىٰ القاتل قاتلًا إلا إذا باشر بيده أما لو قتل بالبندق فلا يسمىٰ قاتلًا؛ لأنه لا عمل له إنما ضغط زر البندق فقتلت!!

ويقال: إن صناعة التماثيل بالآلات لا يحرم إنما يحرم نحتها باليد!!!... وهلم جرًّا.

فهذه الشبهة في الحقيقة لا تساوي فلسًا، فالدعوة إلىٰ التصوير دعوة إلىٰ الشرك والوثنية.

٩- ويقال أيضًا: إن عندكم تناقضًا في كلامكم لو أن شخصًا صور باليد؛ فإنه محرم وإذا صور نفس الشخص بالآلة فإنه يجوز!! مع أن الصورة هي الصورة، والمصور باليد هو المصور بالآلة نفسه، والعملان كلاهما تصوير، ولا فرق بين الصورتين في المنظر فلا يكاد

=

=

يفرق بينهما إلا ذوو الخبرة، فكيف هذا حرام وذاك حلال؟!!

هذا تناقض والتناقض في القول دليل على فساده وبطلانه.

١٠- وأما شبهة (التصوير الفوتوغرافي ليس مضاهاة إنما هو نقل لنفس خلق الله).

وهذا باطل لغة وشرعًا وعقلًا؛ فإن صنع الصورة يعتبر مضاهاة من حيث هو، فلو سألت العارف باللغة عن ذلك لقال: يسمى تصويرًا، وإذا كان تصويرًا فهو مضاهاة لخلق الله تعالىٰ.

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «ولأن المضاهاة لا يشترط فيها القصد وهذا هو سر المسألة فمتىٰ حصلت ثبت حكمها...». «القول المفيد» (٣/ ٢٠٣).

والأدلة صريحة في أن من صور ذوات الأرواح أنه مضاهٍ لخلق الله تعالىٰ فلا يعدل عنها إلىٰ الآراء والفلسفة.

١١- وأما زعمهم أن الصور المتحركة فيها فائدة...

فالجواب: وفيها أضرار وإثمها أكثر من نفعها والقاعدة الشرعية (درء المفسدة مقدم علىٰ جلب المصلحة)، فالنظر المحرم حاصل من النساء إلىٰ الرجال -مشايخ الدش- قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

وحصول اللعن للمصور -«**لعن الله المصورين**»-، وأنه أشد الناس عذابًا وأظلمهم كما في حديث ابن مسعود وأبي هريرة «**وأن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة**»، وأنه وسيلة إلىٰ الشرك، وأن إباحته معارضة للأدلة... إلخ.

فهل هذه المفاسد وغيرها تعدلها الفائدة المزعومة، لقد انتشر الإسلام في أول الأمر دون ارتكاب ولا وجود هذه القنوات والفيديوهات أضعاف انتشاره اليوم، ولما ضعف اليوم وكثرت المعاصي واستحلت بأدنىٰ الحيل قَل دخول غير المسلمين في الإسلام... أفلا تعقلون؟ فخير الهدي هدي محمد ﷺ.

١٢- شبهة (يظهر في هذه الفيديوهات والقنوات علماء، هذا دليل علىٰ جواز التصوير):

والجواب: قال علماء اللجنة الدائمة: لا يجوز اتخاذ المحرمات وسيلة للبلاغ ونشر الإسلام ووسائل البلاغ المشروعة كثيرة فلا يعدل عنها إلىٰ غيرها مما حرمه الله.

والواقع من التصوير في الدول الإسلامية ليس حجة علىٰ جوازه بل ذلك منكر للأدلة الصحيحة في ذلك فينبغي إنكار التصوير عملًا بالأدلة. اهـ بواسطة «تصوير المشايخ بالفيديو لا يجوز» (ص٤) هامش.

=

١- عن أبي طلحة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة»**.

رواه البخاري رقم (٥٦٠٥)، ومسلم رقم (٢١٠٦).

٢- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون»**.

رواه البخاري رقم (٥٦٠٦)، ومسلم رقم (٢١٠٩).

=

- فيقال لأصحاب هذه الشبهة: الحجة في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، وليست الحجة في عمل خالف عامله الكتاب والسنة بقصد أو بدون قصد ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

قال شيخنا -رحمه الله تعالىٰ-: «لا تغتروا بقول فلان وفلان، وحكِّموا كتاب الله وسنة رسوله». اهـ «حكم التصوير» (ص١١).

هناك علماء كثيرون أنكروا هذا كالشيخ ابن باز والشيخ الفوزان والشيخ السعدي واللجنة الدائمة والشيخ الألباني والشيخ الوادعي والشيخ ربيع المدخلي والشيخ عبد العزيز الراجحي والشيخ زيد المدخلي والشيخ محمد بن هادي المدخلي والشيخ محمد بن عبد الوهاب الوصابي وغيرهم.

فجمهور أهل السنة علىٰ تحريم ذلك والأدلة معهم، والمجيزون قلة والأدلة ترد عليهم فما لكم كيف تحكمون؟!

انظر: (كتاب: لله ثم للمشايخ والدعاة، وكتاب تصوير المشايخ بالفيديو لا يجوز، وكتاب: حكم التصوير للوادعي، وكتاب: التحذير من فتنة التصوير... وغيرها).

وأما ظهور بعض العلماء علىٰ شاشة القنوات مثلًا فهذا بغير رضاهم كما صرحوا بذلك.

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «وظهور صورتي ليس دليلًا علىٰ إجازة التصوير ولا علىٰ رضاي به؛ فإني لم أعلم بتصويرهم لي». اهـ «فتاوىٰ اللجنة» (١/ ٤٦٠، ط. مكتبة المعارف).

انظر هذه الردود في المراجع السابقة لاسيما كتاب تصوير المشايخ، وانظر كتاب: المفيد علىٰ كتاب التوحيد (ص٣٠١-٣٠٤).

٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله ﷻ : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**»[(١)].

رواه البخاري رقم (٥٦٠٩)، ومسلم رقم (٢١١١).

---

(١) ذكر المؤلف ثلاثة أحاديث وفي الباب أكثر من عشرين دليلًا:

١- حديث أبي طلحة:

دل الحديث على أن الملائكة تمتنع من دخول البيوت والمساجد والمدارس ونحوها التي وجد فيها صورة لذوات الأرواح أو كلب، وإذا نفرت الملائكة حلت الشياطين.

وهذا رد على من يقتني الصور ويقول الوعيد على المصوِّر لا علينا.

والجواب: قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى-: «كما أن الأدلة وردت في لعن المصور وتوعدهم بالنار في الدار الآخرة، فكذلك الذي يقدم نفسه من أجل أخذ صورة له داخل في ذلك، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]...

فهذه الآية تدل على أن الراضي بالفعل كالفاعل...». «الجواب المفيد» (ص٤٣-٤٤)، «**التحذير من فتنة التصوير**» (ص١٠٣-١٠٤).

٢- حديث ابن مسعود:

قال النووي -رحمه الله تعالى- في قوله: «أشد الناس عذابًا» و«أظلم...»: «قيل: هذا محمول على صانع الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام و نحوها، فهذا كافر وهو أشد الناس عذابًا، وقيل: **هو فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى، واعتقد ذلك فهذا كافر أيضًا، وله من شدة العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره، فأما من لم يقصد بها العبادة ولا المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير لا يكفر كسائر المعاصي**».

«شرح مسلم» (١٤/ ٩١) كتاب اللباس.

٣- حديث أبي هريرة:

قوله: «**فليخلقوا ذرة...**». **هذا تعجيز لهم تارة بتكليفهم خلق حيوان -ذرة- وهو أشد،** وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك. «الفتح» (١٠/ ٣٩٩-٤٠٠)، «التيسير» (٢/ ١٣٣٢-١٣٣٥)، «إعانة المستفيد» (٢/ ٣٥٦-٣٥٨).

قلت:

والأدلة علىٰ تحريم تصوير ذوات الأرواح -إلا للضرورة- كثيرة[(١)].

راجع: رسالة الشيخ ابن باز، ورسالة الشيخ مقبل، ورسالتي في تحريم تصوير ذوات الأرواح.



(١) عامة العلماء أن الصور الضرورية يجوز الذهاب إلىٰ المصور لأجلها، وهذا في حق المضطر، أما المصور فليس له ضرورة في تصوير الآخرين، وإن تعلل بالكسب فهو كسب حرام.

قال علماء اللجنة: «تصوير ذوات الأرواح حرام والكسب به حرام...». «فتاوىٰ اللجنة» (١ / ٤٨٩).

النفاق قسمان[(١)]

اعلم أخي المسلم -جنبني الله وإياك من النفاق وسوء الأخلاق- أن النفاق ينقسم إلىٰ قسمين، وهما كما يلي:

١- نفاق اعتقادي. ٢- نفاق عملي.

١- بيان النفاق الاعتقادي:

فأما النفاق الاعتقادي: فهو أن يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر، وصاحب هذا النوع مسلم في الظاهر وكافر وزنديق في الباطن، وإذا مات عليه فهو في الدرك الأسفل من النار.

كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

---

(١) **النفاق لغة:** مأخوذ من النَّفَق: وهو السرب في الأرض النافذ إلىٰ موضع آخر.
وذلك أن اليربوع يتخذ لنفسه نفقًا في الأرض يجعل لهذا النفق مخرجين أو أكثر، فهو يستطيع أن يهرب من أي واحد منهما، وأحد المخرجين يستره بمقدار رقيق من التراب أو غيره؛ فإذا لحقه الطلب من جهة فر من الجهة الأخرىٰ المستورة بالتراب الرقيق فيضربها برأسه ويخرج فارًّا.
فالنفاق: الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر... «لسان العرب» مادة: (نفق)، «النهاية» (٥/ ٩٨) وغيرها.
تعريف النفاق شرعًا: النفاق قسمان، والمعنىٰ اللغوي موافق للنفاق الأكبر الاعتقادي وهو: إظهار الإسلام وإبطان الكفران كما ذكر المؤلف، وبعضهم يعمم التعريف بقوله: مخالفة الظاهر للباطن. «فتح الباري» (١/ ٩٦) عند شرح حديث ابن عمرو.
وأما تعريف النفاق الأصغر فهو: قال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله له-: «هو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب». «عقيدة التوحيد» (ص١٠٨).
وقال عبد الرحمن الميداني -وفقه الله تعالىٰ-: «هو نفاق لا في أصل الدين... فكل من يظهر خلاف ما يبطن ليخادع الناس بما يظهر خداعًا لم يأذن الله به، وكان ذلك في أمور لا تمس أصل الدين وعقائده فهو منافق نفاقًا أصغر». «ظاهرة النفاق» (١/ ٧٣/ ط. دار القلم).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا (١)﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

---

(١) قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما النفاق فالداء العضال الباطن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر؛ فإنه أمر خفي علىٰ الناس وكثيرًا ما يخفىٰ علىٰ من تلبس به فيزعم أنه مصلح وهو مفسد وهو نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وقد هتك الله أستار المنافقين في القرآن لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة فتنتهم علىٰ الإسلام وأهله؛ لأنهم منسبون إليه، وهم أعداؤه في الحقيقة، فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه ويزعمون بذلك أنهم مصلحون ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢].

ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، رأس مالهم الخديعة والمكر ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

وقد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة:١٠].

لكل منهم وجهان: وجه يلقىٰ به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلىٰ إخوانه الملحدين ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

قد أعرضوا عن الكتاب والسنة استهزاءً بأهلهما ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦].

يتربصون الدوائر بأهل السنة والقرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ [النساء:١٤١]. الآية.

إذا حاكمتهم إلىٰ صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾ [النساء:٦١].

تسبق يمين أحدهم كلامه ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون:٢].

إن أصاب أهل الكتاب والسنة عافية ونصر وظهور ساءهم ذلك وغمَّهم ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:٥٠].

ثقلت عليهم النصوص فكرهوها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٩]...

-إلىٰ أن قال:- ولا تستطل أوصاف القوم، فالمتروك -والله- أكثر من المذكور، كاد القرآن =

٢- بيان النفاق العملي:

وأما النفاق العملي: فمنه ما ذكر في هذه الأحاديث الثلاثة من الصفات الست المذمومة:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**».

=

أن يكون كله في شأنهم...». اهـ بتصرف واختصار من كلام طويل «المدارج» (١/ ٦٠٧-٦٢٦) فراجعه فإنه مفيد.

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ- في تفسيره: «يخبر تعالىٰ عن مآل المنافقين أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب، فهم تحت سائر الكفرة؛ لأنهم شاركوهم بالكفر ومعاداة الرسل، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين علىٰ وجه لا يُشعر به ولا يُحس، ورتبوا علىٰ ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم واستحقاق ما لا يستحقونه فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب.

وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم عقابه -وهذا عام في كل منافق- إلا مَنْ مَنَّ اللهُ عليهم بالتوبة من السيئات ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ له الظواهر والبواطن ﴿وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾، والتجئوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم، ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ﴾ الذي هو الإسلام والإحسان والإيمان ﴿لِلَّهِ﴾؛ فقصدوا وجهه تعالىٰ بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق.

فمن اتصف بهذه الصفات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٦]، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر...». اهـ

حكم المنافق نفاقًا أكبر: إذا لم يُعلم بنفاقه فيعامل معاملة المسلمين إذ لا يعلم منه إلا ذلك، أما إذا عرف نفاقه من خلال الصفات السابقة وغيرها فحكمه حكم الزنديق والمرتد يستتاب؛ فإن تاب وإلا ضربت عنقه لقوله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**». رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد اختلف العلماء في قبول توبتهم ظاهرًا، والراجح قبولها حتىٰ يتبين خلافها. وانظر: (٢٨/ ٤٣٤-٤٣٥) من الفتاوىٰ لشيخ الإسلام.

أخرجه البخاري رقم (٣٣)، ومسلم رقم (٥٩)، وزاد مسلم: «وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم».

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا**، ومن **كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر**، وإذا خاصم فجر».

رواه البخاري رقم (٣٤)، **ومسلم رقم (٥٨)**.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**من مات ولم يغزُ ولم يحدِّث به نفسه مات علىٰ شعبة من نفاق**». رواه مسلم رقم (١٩١٠).

قال الإمام ابنُ المبارك أحد رواة هذا الحديث عند هذا الحديث كما عند مسلم: «فنرىٰ أن ذلك كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ»[1].

---

(١) النفاق الأصغر أنواع كثيرة منها ما ذكر في هذه الأحاديث:

- قوله: «**آية المنافق**»؛ أي: علامته، وهذه العلامات علامات للنفاق العملي لكنها أيضًا توجد في أصحاب النفاق الاعتقادي ظاهرة أكثر.

وقوله: «**خصلة**»؛ أي: خُلق يكون في الإنسان.

- قوله: «**ثلاث**»، وفي الحديث الآخر (أربع) ليس هذا من باب الحصر، وإنما هذا من باب ذكر أكبرها وأكثرها وقوعًا.

- وقوله: «**إذا حدث كذب**»؛ أي: كثير الكذب في حديثه، وأما ما كان في النادر فهو حرام لكنه ليس مرادًا هنا.

- قوله: «**وإذا وعد أخلف**»؛ أي: إذا وعد غيره بوعد يتعمد الخلف ويتكرر هذا منه دون عذر لضعف إيمانه وصدقه، فخرج بقولنا «**يتعمد**» عدم التعمد، وبقولنا «**يتكرر**» ما كان نادرًا.

- قوله: «**وإذا اؤتمن خان**» الأمانة تشمل أمور الدين والدنيا مما يؤتمن عليه فيضيعه أو يخونه، والخيانة هي خداع في محل الائتمان وهي مذمومة علىٰ كل حال وفي كل وقت وفي جميع الشرائع.

- قوله: «**وإذا عاهد غدر**»؛ العهد: الميثاق والاتفاقيات التي تكتب بين الأطراف المختلفة وغيرها كالمعاهدة بين المسلمين والكفار؛ فإن الغدر بعد المعاهدة حرام، فإذا خيف من =

قلت:

وهذا النوع من النفاق لا يخرج صاحبه من الإسلام ولكن تجب التوبة منه[(١)].

=

معاهد أن يغدر نبذ إليه عهده علانية، ويقول: لا عهد بيننا، والغدر محرم في جميع الشرائع، ومذموم مطلقًا.

- قوله: «**وإذا خاصم فجر**»؛ الخصام: النزاع والجدال، «**فَجَر**»: مال عن الحق ولم ينصف، وبالغ في الخصومة.

- قوله: «**... منافقًا خالصًا**»؛ **قال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-**: «ليس منافقًا اعتقاديًا، وقوله: «**خالصًا**»؛ أي: لا شبهة في كونه منافقًا عمليًا.

قال ابن القيم: والغالب أنها إذا استحكمت في الإنسان تجره إلىٰ النفاق الاعتقادي». «تعليق علىٰ البخاري/ كما في هامش شرح العثيمين» (١/ ٨٦).

وانظر: «شرح البخاري» للعثيمين (١/ ٨٧)، «ظاهرة النفاق» (١/ ٧٤-٧٦).

قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «وصاحبه -أي: النفاق الأصغر- يكون فيه إيمان ونفاق وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا... فمن اجتمع فيه هذه الخصال فقد اجتمع فيه الشر، وخلصت فيه نعوت المنافقين، ومن كانت فيه واحدة منها صار فيه خصلة من النفاق؛ فإنه قد يجتمع في العبد خصال خير وخصال شر، وخصال إيمان وخصال كفر ونفاق، ويستحق من الثواب والعقاب بحسب ما قام به من موجبات ذلك». «عقيدة التوحيد» (ص١٠٨).

- [حديث أبي هريرة رقم ٣]: قوله: «**ولم يغز**»؛ أي: في سبيل الله تعالىٰ مع قدرته علىٰ ذلك.

وقوله: «**ولم يحدث نفسه**»؛ المراد بالحديث هنا العزيمة علىٰ الجهاد.

وأما قول ابن المبارك فهو مرجوح والراجح العموم أفاده النووي -رحمه الله تعالىٰ- قال: «وهذا الذي قاله ابن المبارك محتمل وقد قال غيره: إنه عام، والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق». اهـ شرح مسلم.

وهناك أعمال أخرىٰ من النفاق العملي مثل: التهاون عن صلاة الجماعة، وتأخير الصلاة عن وقتها، وذو الوجهين، وغيرها [انظر: الصحيح المختار فيما في النفاق والمنافقين...] ط. دار البيان الحديث.

(١) وقد كان السلف يخافون من النفاق خوفًا شديدًا.

=

ملخص النفاق

النفاق قسمان:

١ - اعتقادي. **٢- عملي.**

وإن شئت فقل:

١ - أكبر. **٢- أصغر.**

وإن شئت فقل:

١ - مخرج من الملة. **٢- غير مخرج من الملة.**

فهذا عمر يستحلف حذيفة هل ذكره رسول الله ﷺ في المنافقين، فقال: اللهم لا. [رواه البخاري].

وقال عمر مولىٰ غفرة -رحمه الله تعالىٰ-: «أبعد الناس من النفاق أشد خوفًا علىٰ نفسه منه وأقرب الناس منه الذي إذا زُكي بما ليس فيه ارتاح قلبه». [رواه الفريابي/ ٩٤/ وسنده صحيح].

وقال الحسن البصري -رحمه الله تعالىٰ-: «من النفاق اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج». [رواه الفريابي/ ٤٩/ وسنده صحيح]؛ يعني الحسن: سوء الطريقة والتلون.

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «تالله لقد قطَّع خوف النفاق قلوب السابقين الأولين لعلمهم بدقه وجله وتفاصيله وجمله، ساءت ظنونهم بنفوسهم حتىٰ خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين...

تالله لقد مُلئت قلوب القوم إيمانًا ويقينًا، وخوفهم من النفاق شديد، وهمهم لذلك ثقيل، وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل.

زرع النفاق ينبت علىٰ ساقيتين: ساقية الكذب، وساقية الرياء، ومخرجهما من عينين: عين ضعف البصيرة، وعين ضعف العزيمة...». «المدارج» (١/ ٦٢٣-٦٢٤)، ط. طيبة.

وانظر: «ظاهرة النفاق» (١/ ٧٧-٧٩).

وإن شئت فقل:

١ - نفاق الكفر. ٢- نفاق العمل.

انظر: السير للذهبي (١١/ ٣٦٣).

فأما النفاق الاعتقادي وهو الأكبر وهو المخرج من الملة وهو نفاق الكفر، فهو أن يظهر صاحبه الإسلام ويبطن الكفر.

وأما النفاق العملي وهو الأصغر، وهو غير مخرج من الملة فهو أقسام كثيرة منها:

١ - إذا حدَّث كذب. ٢- إذا وعد أخلف.

٣- إذا اؤتمن خان. ٤- إذا عاهد غدر.

٥- إذا خاصم فجر.

٦- من مات ولم يغزُ ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق.



المنافقون قسمان

١- منافق خالص.

٢- منافق فيه شعبة من النفاق.

انظر عن النفاق: مدارج السالكين، وإغاثة اللهفان كلاهما لابن القيم، وصفة المنافق للفريابي.



أقسام السُّنة خمسة(١)

١- سنة اعتقادية. ٢- سنة قولية.

(١) **السُّنة لغة**: السيرة، قال خالد الهذلي:

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... فأول راضٍ سنةً من يسيرها

وتطلق علىٰ: الطريقة والطريق المسلوك. «اللسان» مادة: (سن)، «معجم مقاييس اللغة» (٣/ ٦٠) وغيرها.

شرعًا: تطلق علىٰ الشريعة الإسلامية، وهذا هو المعنىٰ العام المراد هنا. انظر: «إحكام الأحكام» لابن حزم (١/ ٤٣).

وقال ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «السنة هي الطريق المسلوك فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديمًا لا يطلقون اسم السنة إلا علىٰ ما يشمل ذلك كله، وروي معنىٰ ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض». اهـ (جامع العلوم والحكم، عند حديث العرباض).

وقال الحافظ -رحمه الله تعالىٰ-: «المراد بالسنة ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره، وما همَّ بفعله». «الفتح» (١٣/ ٢٤٥).

وتطلق السنة في مقابل البدعة، فيقال: فلان من أهل السنة؛ أي: من المتمسكين بالكتاب والسنة ومنهج السلف المجانب للبدع وأهلها.

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «السنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث: عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة... وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم والمخالف فيه علىٰ شفا هلكة». «كشف الكربة» (ص١١).

والمراد هنا الأول وهو أن ما جاء عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ ينقسم باعتبار العمل به إلىٰ خمسة أقسام، ثم كل قسم منه الواجب ومنه المستحب، إلا الأول فهو واجب، وأما الأخير (السنة التَّركية) فمنها الواجب تركه كالمحرمات، ومنها المستحب تركه كالمشتبهات ويكره فعلها.

٣- سنة فعلية. ٤- سنة تقريرية.

٥- سنة تَركية.

١- فما اعتقده رسول الله ﷺ اعتقدناه.

٢- ما قاله رسول الله ﷺ قلناه.

٣- ما فعله رسول الله ﷺ فعلناه.

٤- ما أقره رسول الله ﷺ أقررناه.

٥- ما تركه رسول الله ﷺ تركناه[1].

---

(١) قوله: «سنة اعتقادية»: المراد بالعقيدة: مسائل الإيمان والقدر والصحابة والإمامة والنبوات والآخرة ونحو ذلك، مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع والإلحاد، كما سبق كلام ابن رجب ونحوه كلام الألوسي. انظر: «غاية الأماني» (١/ ٤٢٨).

فهذه المسائل ونحوها ما اعتقده رسول الله ﷺ فيها اعتقدناه.

مثال ذلك: الإيمان بالقدر خيره وشره، حب الصحابة وحرمة الطعن فيهم، إثبات الشفاعة، وهذا الكتاب الذي نشرحه قد جمع كثيرًا من مسائل العقيدة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه.

قوله: «سنة قولية»: السنة القولية قسمان:

أ- الأحاديث القولية...

ب- ما ورد الحث علىٰ قوله في القرآن والسنة، كالذكر والأذان، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتلبية في الحج، والدعوة إلىٰ الله، والخطابة، والتعليم... وغيرها من الأقوال المشروعة.

قوله: «سنة فعلية»: وهي قسمان:

أ- ما ورد الأمر بفعله في الكتاب والسنة كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وإماطة الأذىٰ عن الطريق... وغيرها.

ب- ما فعله النبي ﷺ ولم يأمر به؛ فهذا فعله مستحب [إلا أن يكون من خصائصه ﷺ كالوصال في الصيام، ووضع الجريد علىٰ القبر، والصلاة بعد النوم الكثير... وغيرها].

قوله: «سنة تقريرية»: ما أقره النبي ﷺ مما فعله بعض الصحابة، كالعزل، وتفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، وصلاة ركعتين عند القتل، ونحو ذلك.

=

انظر الرسالة للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص١٩٤).

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].



=

قوله: «سنة تَركية»: وهي قسمان:

أ- كل ما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله بتركه من قول أو فعل أو اعتقاد... كالشرك والبدع والمعاصي والخمر والنياحة والزنا، وقول: اللهم اغفر لي إن شئت، والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشاء فلان... إلخ.

ب- ما تركه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعبدًا، وإن كان يظن بعض الناس أنه يحتاج إليه مثاله: ترك الأذان في صلاة العيد، وترك التلفظ بالنية، وترك بناء محراب في المسجد... ونحو ذلك فتركه سنة وفعله بدعة.

تنبيه: ثم ذكر المؤلف آيات قد سبق ذكرها في بيان (معنىٰ محمد رسول الله) وشرحناها هناك، فراجعه.

تعريف العبادة[1]

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2].

---

(١) العبادة والسنة والشريعة كلها بمعنىً متقارب وهذا الباب شبيه بالباب السابق.

(٢) **قال شيخ الإسلام بعد ذكر التعريف وأمثلته:** «وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له والمرضية التي خلق الخلق لها كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]،

وجعل ذلك لازمًا لرسوله إلىٰ الموت كما قال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

ووصف الملائكة بذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣].

ونعت الله تعالىٰ رسوله بالعبودية في أكمل أحواله فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]، فالدين كله داخل في العبادة، فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له.

والعبادة أصل معناها الذل، يقال طريق معبد: إذا كان مذللًا قد وطئته الأقدام.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنىٰ الذل ومعنىٰ الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له، ولو أحبه ولم يخضع له لم يكن عابدًا له، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالىٰ، بل يجب أن يكون الله أحب إلىٰ العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله...». (١٠/ ١٤٩-١٥٣) بتصرف.

وانظر: «عقيدة التوحيد» (ص٦٥-٦٧)، «شرح الأصول الثلاثة» للعثيمين (ص٣٧).

=

انظر: مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ١٤٩).



=

فائدة: وقال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «كلما كان العبد أتم عبودية كانت الإعانة من الله له أعظم، واستدل بقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]». وانظر: «المدارج» (١/ ١٦٢-١٦٥) وغيرها.

فصل:

ولك أن تعجب إذا رأيت عُباد القبور عند قبور أوليائهم قد خضعوا وذلوا وامتلأت قلوبهم إجلالًا لهذا المقبور، واعتقدوا فيه ما هو من خصائص الله تعالىٰ من جلب نفع ودفع ضر وإيجاد وتصريف وتدبير ونحو ذلك.

وهذا هو الشرك الأكبر الذي بعث الله رسله لهدمه وقتل معتنقيه.

انظر: «التيسير» (٤٤-٥٥)، و«شرح الصدور» بتحقيق العباد (ص١١٢-١١٥).

فائدة: قال الإمام الصنعاني -رحمه الله تعالىٰ-: «الأصل الخامس: ... ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهي قول: (لا إله إلا الله)، والمراد اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، لا مجرد قولها باللسان، ومعناها إفراد الله بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه...». «تطهير الاعتقاد» (ص٥٣).

أقسام العبادة خمسة

١- **عبادة اعتقادية**: وذلك أن يعتقد المسلم أن الله ﷻ هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لشئون عباده.

المستحق للعبادة وحده لا شريك له من دعاء، وذبح، ونذر، وغير ذلك، وأنه الموصوف بصفات الجلال والكمال والكبرياء والعظمة، إلىٰ غير ذلك من أنواع الاعتقاد في الله ودينه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

٢- **عبادة لفظية**: وذلك كالتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وكتلاوة القرآن والدعاء، والأذكار النبوية، إلىٰ غير ذلك من أنواع العبادات اللفظية.

٣- **عبادة بدنية**: وذلك كالقيام والركوع والسجود في الصلاة وكالصوم وأعمال الحج والهجرة والجهاد، إلىٰ غير ذلك من العبادات البدنية.

٤- **عبادة مالية**: كالزكاة والصدقة وغير ذلك.

٥- **عبادة تَركية**: هي أن يترك المسلم جميع المحرمات والشركيات والبدع امتثالًا لشرع الله، فهذه منه عبادة تَركية ويؤجر المسلم علىٰ تركه الحرام إذا تركه ابتغاء وجه الله(١).

---

(١) قوله: «اعتقادية»، وهذه العبادة من أعمال القلب، ويدخل في ذلك أمور العقيدة كما مثَّل المؤلف، وكذلك البراءة من الشرك وبغضه وبغض أهله وبغض البدع... إلخ.

ولو أنه عبر بقوله: «قلبية»؛ لكان أوسع إذ يشمل جميع أنواع العبادة من حب، وخشية ومراقبة، وإنابة، وإخلاص، وصبر، وتوكل، ورجاء، ونحو ذلك كما مثل شيخ الإسلام - رحمه الله تعالىٰ- (١٠/ ١٤٩).

ودليل هذه العبادة قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»، متفق عليه عن عمر رضي الله عنه.

وراجع الأدلة في باب المحبة والخوف والتوكل وغيرها، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، والأدلة كثيرة.

=

انظر: تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للعلامة: محمد بن إسماعيل الصنعاني -رحمه الله تعالىٰ- (ص٦-٧).

=

قوله: «عبادة لفظية»، وهي أعمال اللسان المشروعة، كما سبق في باب (السنة) آنفًا.

ومن أدلة هذه العبادة قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]. الآية، وقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

قوله: «عبادة بدنية»؛ العبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح.

والعبادة البدنية: هي كل عمل مشروع يقوم به العبد بجوارحه، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران:٩٧]، ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩﴾ [الحج:٧٧].

تنبيه: عمل اللسان والجوارح لا ينفك عن القلب كما سبق التنبيه عليه في موضع سابق.

قوله: «عبادة مالية»، وهي صرف المال في الأمور المشروعة -وهو داخل فيما قبله- قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، فصرفوا أموالهم في مرضاة الله تعالىٰ.

تنبيه: وهذه الأنواع الثلاثة منها الواجب ومنها المستحب.

قوله: «عبادة تركية»، وكالسنة التركية كما سبق قريبًا.

ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، ونحو ذلك من الأدلة.

وهذه العبادات لها أضداد وكلها مما أمرنا بتركه، وهي ثلاثة أقسام:

١- قلبية: اعتقاد الشرك والبدع ونحوها، وهكذا أمراض القلوب: كالحسد والشحناء والحقد والكبر...

٢- لفظية: وهي شاملة لجميع الأقوال المحرمة: كالسب، ودعاء غير الله، واللعن، والغيبة.

٣- معاصي الجوارح: ومنها الشركية كالذبح لغير الله، ومنها المحرمة كالزنا والسرقة...

فمن تركها تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ فتركه عبادة محبوبة لله تعالىٰ كما في الحديث القدسي: «ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة».

وفي لفظ: «إنما تركها من جرائي»؛ أي: خوفي، والحديث في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

لا يُقبَل أيُّ عملٍ إلا بشرطين[1]

اعلم أخي المسلم -هداني الله وإياك للتمسك بالكتاب والسنة- أن الله لا يقبل أي عمل من أي مسلم إلا بشرطين اثنين أساسيين، وهما كما يلي:

الأول: أن يكون خالصًا لله، فلا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٢-٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: أنا أغنىٰ الشركاء عن الشرك: من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**». رواه مسلم رقم (٢٩٨٥).

وهذا معنىٰ: «أشهد أن لا إله إلا الله»[2].

---

(١) هذا الباب؛ الباب بمعنىٰ الباب الذي بعده.

(٢) **الإخلاص**: هو إفراد الله ﷻ بالقصد والعمل.

ونحوه: ابتغاء وجه الله تعالىٰ بفعل الطاعات وترك المحرمات، وهو عمل قلبي.

والإخلاص بهذا المعنىٰ داخل في التوحيد، وقد يراد بالإخلاص التوحيد فيشمل عمل القلب والجوارح.

قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]؛ أي: أخلص له الألوهية وأَفْرِدْه بالعبادة ولا تجعل له في عبادتك شريكًا وادع الخلق إلىٰ ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له عديل ولا شريك.

وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، الصافي من جميع الشوائب الشركية والبدعية.

ومن خلال هذه الآيات تعلم أن الإخلاص فرض علىٰ جميع الخلق والرسل والملائكة في =

الثاني: أن يكون موافقًا لهدي رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٠)، ومسلم رقم (١٧١٨)، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**». أي: مردود.

وهذا معنىٰ: «أشهد أن محمدًا رسول الله»[(١)].

تنبيه: هذا بالنسبة للمسلم، وأما الكافر فلا يقبل عمله إلا بثلاثة شروط: بالشرطين السابقين.

والثالث: الإسلام، وهذه شروط صحة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

وهذه الشروط الثلاثة مذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

١- فقوله: ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، هذا هو الإسلام.

٢- قوله: ﴿صَٰلِحًا﴾، هذه هي الموافقة للكتاب والسنة إذ العمل لا يكون صالحًا

=

مقدمتهم، وأن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

وقوله في حديث أبي هريرة: «**أنا أغنىٰ الشركاء...**»؛ أي: لا أقبل عملًا معي فيه شريك قل أو كثر، بل أتركه وأرده علىٰ عامله فلا ينتفع به لأنه عمل مردود باطل، وهذا الحديث كقوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥].

(١) لا يقبل الله تعالىٰ العمل إلا أن يكون موافقًا لما شرعه، فالعبادة التي لم يشرعها الله ﷻ عبادة باطلة مردودة.

وقوله: «**من أحدث**»؛ ابتدع «**أمرنا**»؛ شرعنا -الإسلام- «**فهو رد**» مردود غير مقبول وفاعله مأزور لا مأجور؛ لأنه خالف أمر الله تعالىٰ وأمر رسوله، واخترع دينًا آخر يتعبد به.

وهذا الحديث يهدم البدع كلها ويقصم ظهور المبتدعة الذين أحدثوا بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان.

وانظر: باب: البدعة الآتي بعد باب.

إلا بذلك.

٣- قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، هذا هو الإخلاص[(١)].

وبقي شرطان آخران وهما شرطا كمال:

١ - الأخذ بقوة: قال تعالىٰ: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة:٦٣، ٩٣، والأعراف: ١٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢][(٢)].

وهذا خلاف ما عليه المنافقون؛ فإنهم لم يأخذوا الدين بقوة إنما أخذوه بغفلة وتكاسل.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٢-١٤٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ

---

(١) قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الفرقان:٢٣].

قال السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿مِنْ عَمَلٍ﴾؛ أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرًا وتعبوا فيها، ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾؛ أي: باطلًا مضمحلًّا قد خسروه وحرموا أجره، وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم». اهـ

وقوله: (لقاء ربه)؛ هذا هو الإسلام؛ أي: أن من كان يرجو لقاء الله تعالىٰ فهذا من وصف المسلم، فالكافر لا يرجو ذلك، بل كثير منهم لا يؤمن بالبعث، فإن أشرك لم ينفعه كونه يرجو لقاء ربه، فهذا لا يتم إلا مع التوحيد والمتابعة.

(٢) قوله: (بقوة)؛ أي: بجد واجتهاد وصبر علىٰ أوامر الله تعالىٰ، وصدق في الحرص علىٰ العمل بالدين.

وهذا الأخذ منه الواجب ومنه المستحب حسب العمل الذي أُمر به.

وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

٢- المسارعة: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه:٤٢].

وقال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨، والمائدة:٤٨].

وقال ﷻ: ﴿وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٤].

وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١](١).

راجع رياض الصالحين شرح سليم الهلالي (١/ ٢٩).



---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾؛ لا تفترا ولا تكسُلا عن مداومة ذكري، بل استمرَّا عليه والزماه.

وقوله: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الاستباق إلىٰ الخيرات يتضمن فعلها وتكميلها والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلىٰ الخيرات فهو السابق في الآخرة إلىٰ الجنات.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ المسارعة مرادفة لمعنىٰ المسابقة.

وقوله: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾؛ أي: بادروا إلىٰ الأعمال التي توجب مغفرته لكم، وتكون سببًا لدخول جنته.

وقوله: ﴿سَابِقُوٓا۟﴾ مرادف لما سبق.

ينقسم الناس بالنسبة للإخلاص والمتابعة إلى أربعة أقسام

القسم الأول: جمعوا بين الإخلاص والمتابعة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله، وحبهم لله وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكورًا ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المَحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمهم.

بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم ألبتة، بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يُعَامِلُ أحدٌ الخلقَ دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي بَلَا عباده بالموت والحياة لأجله، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملًا.

قال الفضيل بن عياض: «العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه.

قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل؛ حتى يكون خالصًا صوابًا.

والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السُّنة، وهذا هو المذكور في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء:١٢٥].

فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم وعلىٰ متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود علىٰ عامله يرد عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثورًا.

وفي الصحيحين عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

فكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامِلَه من الله إلا بُعْدًا، فإن الله تعالىٰ إنما يُعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء.

القسم الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة، فليس عمُلُه موافقًا للشرع، وليس هو خالصًا للمعبود، كأعمال المتزينين للناس، المرائين لهم بما لم يشرعه الله ولم يبلغه رسوله، وهؤلاء شرار الخلق، وأمقتهم إلىٰ الله ﷻ ولهم أوفر نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٨٨].

يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص، وهم ليسوا من أهل السنة والإخلاص، وهذا القسم يكثر فيمن انحرف -من المنتسبين إلىٰ العلم والفقر والعبادة- عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة، ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

القسم الثالث: من هو مخلص في أعماله لكنها علىٰ غير متابعة الأمر، كجُهَّالِ العِبَادِ والمنتسبين إلىٰ طريق الزهد والفقر، وكل من عبد الله بغير ما شرع واعتقد عبادته هذه قربة إلىٰ الله فهذا حاله، كما يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة، وأن الخلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن مواصلة صوم النهار بالليل قربة،

وأن صيام العيدين قربة، ويتقرب إلىٰ الله بفعل البدع والمعاصي.

فإخلاصه في هذه الحالة لا ينفعه؛ لأن الأعمال التي يقوم بها محدثة ومبتدعة، والعمل المحدث مردود علىٰ صاحبه كما في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مرفوعًا: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**». متفق عليه.

القسم الرابع: من أعماله علىٰ متابعة الأمر لكنها لغير الله كطاعة المرائين وكالرجل يقاتل رياءً وحميةً وشجاعةً ويحج ليقال...، ويقرأ القرآن ليقال...، فهؤلاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها، لكنها غير صالحة لأنها لغير الله فلا تُقبل.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أَمَرَ والإخلاص له في العبادة، وأهل الإخلاص والمتابعة هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]».

انتهىٰ من كتاب مدارج السالكين، للعلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٩٥-٩٧) بتصرف.



شروط المتابعة ستة

فائدة:

قال الشيخ العلامة الفقيه محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه القيم «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» (ص٢١-٢٣): «... أيها الإخوة، إن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا في أمور ستة:

الأول: السبب، كمن صلىٰ ركعتين بسبب نزول المطر.

الثاني: الجنس، كمن أخرج زكاة فطره نقدًا.

الثالث: القدر، كمن صلىٰ المغرب أربعًا متعمدًا.

الرابع: الكيفية، كمن توضأ فبدأ برجليه وختم بوجهه.

الخامس: الزمان، كمن ضحىٰ في رمضان.

السادس: المكان، كمن اعتكف في الفلوات.

أيها الإخوة: عضوا علىٰ سنة الرسول ﷺ بالنواجذ، واسلكوا طريق السلف الصالح وكونوا علىٰ ما كانوا عليه، وانظروا هل يضيركم ذلك شيئًا؟!». انتهىٰ كلامه رحمه الله بتصرف واختصار[1].

---

(١) قوله: «السبب»؛ أن يكون السبب مشروعًا، ومثاله: صلاة ركعتين عند دخول المسجد، للأدلة في ذلك.

وقوله: «الجنس»؛ أن يكون جنس العبادة مرادًا شرعًا، ومثاله: إخراج زكاة الفطر من الشعير، فقد نص عليه الشرع.

وقوله: «القدر»؛ أن يؤتىٰ بالعبادة علىٰ القدر المشروع، ومثاله: صلاة الفجر ركعتان، وصلاة العيد ركعتان.

وقوله: «الكيفية»؛ أن تكون موافقة لما ورد في الأدلة الصحيحة، ومثاله: صلاة الكسوف أربع ركوعات في ركعتين، وأربع سجدات للأدلة في ذلك.

وقوله: «الزمان»؛ أن تؤدىٰ العبادة في الزمن المراد شرعًا، مثاله: صلاة الاستسقاء شرعت =

دين الإسلام مبني على أصلين(١)

اعلم أخي المسلم -وفقني الله وإياك لما يحبه ويرضاه- أن الدين الإسلامي مبني علىٰ أصلين هامين أساسيين وهما كما يلي:

الأول: ألا نعبد إلا الله وحده لا شريك له.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

=

من بعد طلوع الشمس إلىٰ قبيل الزوال، فمن صلاها بعد الجمعة فهي باطلة؛ لأنه ليس زمانها، وهكذا من صام شهر شوال بدل رمضان، صيامه باطل.

وقوله: «المكان»؛ أن تؤدىٰ العبادة في المكان المراد شرعًا، مثاله: الطواف حول الكعبة، فمن طاف حول مسجد المدينة -مثلًا- فعمله باطل.

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-:** «عبادات المسلمين مبنية علىٰ أصلين:

أحدهما: أنهم لا يعبدون إلا الله وحده لا شريك له.

والثاني: أنهم يعبدونه بما أمر وشرع لهم من الدين الذي بلغته رسله عنه...». «الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان، وعبادات أهل الشرك والنفاق» (ص١٦)، ط. دار العاصمة.

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض علىٰ ذلك والموالاة فيه، وتكفير من تركه.

والثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله...». «الدرر السنية» (٢/ ٢٢).

وهذان الأمران واحد مما سبق.

تنبيه: غالب موضوع هذا الباب والذي قبله قد تقدم في أبواب سابقة فأغنىٰ عن تكرير الشرح.

وانظر: رسالة الإمام ابن عثيمين «المتابعة وقبول العمل».

ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣].

وهذا هو معنىٰ: «أشهد أن لا إله إلا الله».

والثاني: ألا نعبده إلا بما شرع في كتابه أو في سنة رسوله محمد ﷺ، لا بالبدع والأهواء.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

وهذا هو معنىٰ: «أشهد أن محمدًا رسول الله».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» (ص٤٥١): «**وهذان الأصلان:** جماع الدين: ألا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع... وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام...». انتهىٰ.

وانظر: التحقيق والإيضاح، للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٦٣).



من لم يكفه القرآن والسنة فلا كفاه الله

فائدة:

ذكر العلامة ابن القيم في «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٢):

قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١].

فقال: «فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه، فلا كفاه الله». انتهىٰ.

وقال أبو إبراهيم: ومن لم يكفه الكتاب والسنة فلا كفاه الله، ومن لم يقنع بالكتاب والسنة فلا أقنعه الله.



تعريف البدعة[(١)]

البدعة: كل اعتقاد أو عمل أو لفظ أُحْدِث بعد موت النبي ﷺ بنية التعبد والتقرب إلىٰ الله، ولم يدل عليها الدليل من الكتاب ولا من السنة ولا من فعل

---

(١) **البدعة لغة:** الاختراع، فالبدعة: الشيء المخترع علىٰ غير مثال سابق، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩]؛ أي: لم أكن بإعلان الرسالة شيئًا جديدًا، بل قد سبقني رسل كثير.

انظر: «اللسان»، «مختار الصحاح» وغيرها، مادة: (بدع).

وأما في الشرع فكما ذكر المؤلف، وسيأتي مزيد بحث عند التعليق عليه.

وأسباب نشوء البدع تسعة أو أكثر:

١- **الجهل بالدين:** قال تعالىٰ عن قوم موسىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾؛ فأجابهم موسىٰ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

٢- **الهوىٰ:** قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠]، فأصل الضلال اتباع الظن والهوىٰ.

٣- **السكوت عن البدع:** قال تعالىٰ بعد لعن أهل الكتاب: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٩].

٤- **ممارسة أشباه العلماء للبدع:** كما قال النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**». رواه أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه.

٥- **تبني بعض الحكام للبدع:** قال اللالكائي: «ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر أو بشيطان معاند فاجر». (١/ ١٥)، كما فعل المأمون.

٦- **الانقياد لغير صاحب الشرع:** قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠]، وهذا شامل لزعماء البدع أيضًا، وشامل لتقليد الكفار واتباع العادات والأعراف...

٧- **الغلو:** قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٧٧].

انظر كتاب: «كل بدعة ضلالة» (ص٤١)، ورسالة: «البدع وأسبابها» للأشقر، «حقيقة البدعة» للغامدي (١/ ١٧٢-١٨٣)، «عقيدة التوحيد» (ص٢٢٢-٢٢٥).

السلف[١].

أقسام البدعة خمسة وكلها ضلالة وبعضها أشر من بعض[٢]:

(١) وهناك تعاريف للبدعة:

١- **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «البدعة في الدين: هي ما لم يشرعه الله ورسوله». «الفتاوىٰ» (٤/ ١٠٧).

٢- **قال الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-**: «البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه». «الاعتصام» (١/ ٣٧).

٣- **قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-**: «والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه». «جامع العلوم» (ص٢٦٥).

٤- **قال الشيخ صالح آل الشيخ -غفر الله له-**: «البدعة: ما أحدث في الدين مما ليس منه من أقوال أو أفعال أو اعتقادات أو غير ذلك». «التحذير من البدع» (ص٨٠)، ط. دار ابن الجوزي، مصر.

٥- **وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-**: «وضابطها: التعبد لله بما لم يشرع». «المجموع الثمين» (١/ ٢٩١).

وقول المؤلف: «بنية التعبد»؛ إذا زعم محدثُ المخالفةِ أنه أراد التعبد فهي بدعة، ولا يشترط في ذلك النية.

وكل عمل مخالف للشرع فهو مردود سواء كان من قسم البدع، أو من قسم المعاصي.

وقوله: «ولا من فعل السلف»؛ المراد بالسلف الصحابة ﷺ، فما كان من أفعالهم موافقًا للسنة فهو مشروع، وما كان مما لا دليل عليه، فالمسألة وقع فيها اختلاف وذلك نحو: الأذان الأول في الجمعة، فالجمهور استحبوا ذلك وعدوه من السنة، وبعض الصحابة والعلماء أنكر إحداثه، والله أعلم، وعلىٰ كلٍّ مقياس الأعمال الكتاب والسنة فما خالفهما رد.

(٢) **قسم العلماءُ البدعَ إلىٰ عدة تقاسيم والمؤدىٰ واحد، ومنها:**

١- حقيقة وإضافية.

٢- فعلية وتركية.

٣- اعتقادية وعملية.

٤- مكفرة وغير مكفرة... انظر: «موقف أهل السنة من أهل الأهواء» للرحيلي (١/ ٩٤-١١٠).

=

١- **بدعة اعتقادية:** وهي كل اعتقاد يخالف الكتاب والسنة، كمن يعتقد أن الأقطاب والأبدال والأغواث يتصرفون في الكون، أو يعلمون الغيب، وهذا كفر.

٢- **بدعة لفظية:** وهي كل لفظ تلفظ به الشخص تعبدًا وهو مخالف للكتاب والسنة، كمن يذكر الله بالاسم المفرد (الله) أو بالضمير (هو).

انظر: مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٢٦-٢٢٩).

٣- **بدعة عملية:** وهي كل حركة صدرت من الإنسان تعبدًا وهي مخالفة للكتاب والسنة، كمن يرقص عند الذكر.

=

وللشيخ صالح الفوزان -رفع الله درجته- كلام جامع، قال: «أنواع البدع...، البدعة في الدين نوعان:

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والمعتزلة والرافضة وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم.

النوع الثاني: بدعة في العبادات كالتعبد بعبادة لم يشرعها الله وهي أقسام:

القسم الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع كمن يحدث صلاة غير مشروعة، أو صيامًا غير مشروع أصلًا أو أعيادًا غير مشروعة كأعياد الموالد وغيرها.

القسم الثاني: ما يكون من الزيادة في العبادة المشروعة كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلًا.

القسم الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة المشروعة بأن يؤديها علىٰ صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد علىٰ النفس في العبادة إلىٰ حد يخرج عن سنة الرسول ﷺ.

القسم الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام، فإن أصل الصيام والقيام مشروع ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلىٰ دليل». «عقيدة التوحيد» (ص٢١٥-٢١٦).

وقول المؤلف: «وبعضها شر من بعض»، تعبير جميل متين، وسيأتي الرد علىٰ محسني البدع قريبًا.

٤- **بدعة مالية**: وهي كل مال صُرِفَ تعبدًا في شيء مخالف للكتاب والسنة، كبناء القباب علىٰ القبور وجعل التوابيت عليها.

٥- **بدعة تركية**: وهي كل من ترك شيئًا من الدين أو المباح تعبدًا، كمن ترك النكاح أو أكل اللحم تعبدًا وتبتلًا[1].



---

(١) قوله: «بدعة اعتقادية»، والبدعة الاعتقادية تنقسم إلىٰ مكفرة، كبدعة القرامطة وغلاة الصوفية وغلاة القدرية، وكبدعة القول بوحدة الوجود، وبدعة تحريف القرآن ونحوها.
وغير مكفرة، كبدعة الخوارج والأشعرية، وكبدعة الموالد، وكبدعة الإرجاء ونحو ذلك.
وانظر: «كتاب» الرحيلي (١/ ١٠٢).
قوله: «بدعة لفظية»، وهي قسمان مكفرة وهي الألفاظ المشتملة علىٰ الكفر أو الشرك، كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والقول بالحلول والاتحاد، وقول غلاة القدرية نفاة العلم، والقول بخلق القرآن، وغير مكفرة: كالذكر الجماعي، والأناشيد الحزبية، والصلوات الصوفية، والتلفظ بالنية...
قوله: «بدعة عملية»؛ وهي قسمان أيضًا: مكفرة كالذبح لغير الله تعالىٰ والنذر لغير الله، والسجود للقبر، ونحوها...
وغير مفكرة: كالاعتكاف الجماعي وشد الرحال إلىٰ القبور، والاحتفال بالموالد...
قوله: «بدعة مالية»؛ وهي قسمان: مكفرة كالنذر للقبور، والتقرب بالأموال أو غيرها للجن والمقبورين...
وغير مكفرة: كبذل المال لبناء القباب، أو زخرفة المساجد، أو بذل المال للحزبيين والمبتدعة لنصر مذهبهم...
قوله: «بدعة تركية»؛ وهي قسمان أيضًا: مكفرة: كترك الاحتجاج بالسنة كما هو حال الطائفة القرآنية وغلاة الرافضة، وكمن ترك الصلاة بزعم أنه بلغ رتبة اليقين، وكمن ترك القرآن والسنة؛ لأنه يتلقىٰ عن الله مباشرة...
وغير مكفرة: كترك الجماعة والجمعة كما تفعل جماعة التكفير، وترك طلب العلم كما هو حال جماعة التبليغ، وهكذا الأمثلة التي ذكر المؤلف...

تقسيم آخر للبدعة

البدعة قسمان:

١- كبرىٰ.

٢- صغرىٰ.

وإن شئت فقل:

١- مكفرة.

٢- مفسقة.

انظر: هدي الساري للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣٨٥).

وإن شئت فقل:

١- مخرجة من الملة. ٢- غير مخرجة من الملة.

فأما البدعة الكبرىٰ وهي المكفرة وهي المخرجة من الملة: فهي التي تصل بصاحبها إلىٰ حد الكفر، كمن يدين بالمبدأ الاشتراكي أو البعثي أو القومية العربية إلىٰ غير ذلك من المبادئ الكفرية.

وأما البدعة الصغرىٰ وهي المفسقة وهي غير مخرجة من الملة:

فهي التي لا تصل بصاحبها إلىٰ حد الكفر، كالأصوات الجماعية بالذكر[1].

---

(١) ضابط البدعة المكفرة: من أنكر أمرًا مجمعًا عليه متواترًا من الشرع معلوم من الدين بالضرورة.

من جحود مفروض أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال حرام، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما يُنزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات؛ لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل به رسوله...

وأما ضابط البدعة غير المكفرة: فهي ما لم يلزم منها تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسله، بل هي ناتجة عن نوع تأويل أو شهوات نفسية.

- وهي قسمان: كبائر وصغائر، وضابطها كضابط كبائر الذنوب وصغائرها.

=

المبتدعون قسمان[1]

=

والبدع جملة أضر من المعاصي وأخطر، وهذا ليس علىٰ إطلاقه، بل بعض المعاصي أضر من بعض البدع، وهذه القاعدة كقولهم: «الرجال خير من النساء»؛ أي: في الجملة وليس علىٰ إطلاقه، فبعض أفراد النساء خير من بعض الرجال كقولك: حفصة بنت سيرين خير من ألف رجل من مثل الجعد بن درهم، والشاذلي الصوفي، وحسن البنا، وسيد قطب، والزنداني، ومحمد سرور وأمثالهم.

وقد تكلمنا علىٰ هذه المسألة في شرح (النهي عن البدع، لابن وضاح).

(١) أهل البدع منهم الداعي إلىٰ بدعته، ومنهم الساكت، ولكل واحد أحكام ينفرد بها.

فأما الساكت: فهو أخف ضررًا من الداعية إلىٰ بدعته، فضرره مقصور علىٰ نفسه في الجملة، ولهذا قبل روايته جمهور العلماء كما ذكر الخطيب -رحمه الله تعالىٰ-، وقبلوا شهادته، وينصح بالتوبة وترك البدعة، ولا يهجر إلا لمصلحة ظاهرة، وثَم تفصيل آخر سيأتي.

وأما الداعية إلىٰ بدعته: فضرره مستطير وشره كبير، ولهذا الجمهور علىٰ أنه لا تقبل روايته [الراجح أن المبتدع الصدوق تقبل روايته وشهادته ما دام أنه صدوق. (انظر: «موقف أهل السنة من أهل الأهواء» (٢/ ٦٥٧-٦٨٤).)]، ولا شهادته وينصح بالتوبة ويشدد عليه، ويهجر ويزجر ويحذر منه ومن بدعته كما كان حال السلف مع زعماء المبتدعة: عمرو بن عبيد، والجعد بن درهم، والمحاسبي، وغيرهم.

وهناك تقسيم آخر للمبتدعة: مبتدع عالم، ومبتدع جاهل، ومبتدع متأول، ومبتدع غير متأول، ومبتدع غال، ومبتدع غير غال...

انظر: تفاصيل ذلك في «حقيقة البدعة وأحكامها» (٢/ ٢٢٣-وما بعدها)، «ضوابط الرمي بالبدعة» (ص٨٢، ١٥٠)، ط. الفرقان، «إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء».

تنبيه: كان السلف يفرقون بين المبتدع، وبين أهل العلم والاجتهاد الذين وقعوا في بدعة أو أكثر عن اجتهاد منهم مع تحريهم للحق ونصرتهم للسنة وعداوتهم للمبتدعة ومثال ذلك: قتادة، وهشام الدستوائي، والنووي، وابن حجر، ونحوهم.

فهؤلاء؛ العلماءُ لا يبدعونهم ولا يحطون من قدرهم، بل يعتذرون لهم ولا يتابعونهم علىٰ

=

١- دعاة إلىٰ بدعتهم.

٢- غير دعاة إليها.

انظر: هدي الساري للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣٨٥).



=

خطئهم، ويجعلونهم في حكم قول النبي ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجر، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجران**». متفق عليه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وقال الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-: «ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده -مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق- أهدرناه وبدَّعناه لقل من يَسْلَم من الأئمة معنا». «السير» (١٤/ ٣٧٦)، وانظر: «القواعد النورانية» (ص١٥١-١٥٢).

احذروا البدع في الدين(١)

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»**.

أخرجه البخاري رقم (٢٥٥٠)، ومسلم رقم (١٧١٨).

وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**.

---

(١) الحذر من البدع وأهلها واجب، وأدلة الكتاب والسنة في هذا كثيرة فمن ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، والمبتدع مخالف لأمره ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية:٢٣]، والمبتدع متبع لهواه.

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]. والمبتدع من الذين فرقوا دينهم.

وقوله ﷺ: **«كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»**. رواه أبو داود عن العرباض -وقد سبق-.

وقوله ﷺ: **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته»**. رواه أبو الشيخ في الطبقات، من حديث أنس رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: **«من رغب عن سنتي فليس مني»**. متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة». رواه ابن وضاح في النهي عن البدع.

وقال أبو قلابة -رحمه الله تعالىٰ-: «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم». رواه الآجري في الشريعة.

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالىٰ-: «أدركت خيار الناس كلَّهم أصحابَ سنة وهم ينهون عن أصحاب البدعة». رواه أبو نعيم في «الحلية».

والباب هذا واسع فمن أراد أكثر رجع إلىٰ المراجع السابقة الذكر.

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يقول: «... **أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، [وكل محدثة بدعة]، وكل بدعة ضلالة، [وكل ضلالة في النار]**».

أخرجه مسلم في الجمعة رقم (٨٦٧) (٢/ ٥٩٢)، والسياق له، والنسائي في العيدين باب: ٢٢ (٣/ ١٨٨-١٨٩)، والزيادتان اللتان بين معقوفتين له.

تفكر يا أخي المسلم: في هذين الحديثين الصحيحين النبويين الشريفين اللذين خرجا من مشكاة النبوة، وأَمْعِنْ النظر فيهما تجدْهما شفاءً لك -إن شاء الله- من كل بدعة أُحدِثت في دين الله؛ ذلك أن رسول الله ﷺ قد حكم على كل بدعة بأنها ضلالة، ولم يقل بعض وبعض، وإنما قال: «**كل**»، و«**كل**» -يا أخي- من ألفاظ العموم.

وكذلك قوله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

أي: مردود، ولم يقل: على حسب نية صاحبه، بل حكم عليه بأنه: رد.

فإذا قال قائل: ليس كل بدعة ضلالة[1]، وليس كل عمل أحدث في الدين فهو مردود فقل له: مَن أعلم، أنت أم رسول الله ﷺ؟

ومن أتقى لله أنت أم رسول الله ﷺ؟

فإن قال بصريح هذين الحديثين واعتقدهما وعمل بما فيهما فذاك.

وإن كان لا يزال مصرًّا على قوله الأول بأنه: ليس كل بدعة ضلالة، وليس كل

---

(١) هذا الفصل عقده المؤلف للرد على محسِّني البدع:

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-: «ما ادعاه البعض من أن هناك بدعة حسنة فلا تخلو من حالين.

١- ألا تكون بدعة لكنها يظنها بدعة.

٢- أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها». «الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع» (ص١١٣)، ضمن مجموعة رسائل.

أمر محدث في الدين مردودًا، فقل له: إن الرسول ﷺ في شق يقول: «**كل بدعة ضلالة**».

ويقول: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**»، وأنت في الشق الآخر تقول: ليس كل بدعة ضلالة، وليس كل عمل محدث في الدين مردودًا، فقل له: هذه منك مشاقة للرسول ﷺ!

وذكِّره بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

اللهم توفَّنا علىٰ الكتاب والسنة ونجِّنا من البدع كلها يا رب العالمين.

فائدة:

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه «مدارج السالكين» (١/ ٢٢٤): «فإن البدع تستدرج بصغيرها إلىٰ كبيرها، حتىٰ ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين.

فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمىٰ ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]».



حكم بناء القباب والمشاهد(١) على القبور(٢)

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنىٰ عليه».

---

(١) المشاهد: الأماكن التي يُجتَمع فيها، والمراد هنا: الأماكن التي فيها القبور، ويطلق المشاهد أيضًا علىٰ البناء علىٰ القبر سواء كان تابوتًا أو قبة أو مسجدًا.
انظر: «الآثار والمشاهد للجفير» (ص١٥).

(٢) كانت المشاهد والقباب علىٰ القبور في بلاد اليهود والنصارىٰ، ومنهم انتقلت إلىٰ مشركي العرب، فلما جاء الإسلام بُعثت الجيوش لهدمها، وتم ذلك بفضل الله تعالىٰ في سائر بلاد المسلمين ومضت علىٰ ذلك قرون.
ثم أعمل الشيطان مكائده بواسطة الحاقدين علىٰ الإسلام والتوحيد، وبدأ بعض المفسدين يبني القباب علىٰ القبور، فكان أول ذلك عام ٢٩٦هـ، في بخارىٰ، ثم عام ٣١٧هـ، بنيت قبة علىٰ قبر علي رضي الله عنه، قامت ببنائه الدولة الحمدانية، ثم اتسع الأمر عن طريق الدولة الفاطمية.
وهكذا كانت البداية رافضية ماكرة، ثم تلقت ذلك وليدة الرافضة وهي الصوفية؛ ففتحت باب الشرك والقباب بما يصعب حصره... فصارت القبور المعظمة تبلغ عشرات الآلاف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ولله در شيخنا -رحمه الله تعالىٰ- إذ قال: «لا يبني قبة علىٰ قبر إلا رافضي أو صوفي أو متأثر بهما». اهـ
ولم يقف الأمر عند هذا الشر، بل عُبدت تلك القبور من دون الله تعالىٰ؛ فاستغيث بها من دون الله تعالىٰ، ونحرت لها النحائر، ونذرت لها النذور، وطيف بها كما يطاف بالكعبة، وغير ذلك، وأظن لو أن أبا جهل -لعنه الله- رأىٰ شرك عَبَدة القبور، لاستنكره قياسًا علىٰ ما كان عندهم من الشرك في الجاهلية.
وقد ذكرنا شيئًا من كلام أهل العلم في رسالتنا «وقفات مع الشيعة»، وانظر: كتاب «دمعة علىٰ التوحيد»، و«عقيدة التوحيد» (ص١٢٩-١٣٣)، وكتاب: «تحذير المسلمين من الغلو في قبور الصالحين»، وغيرها.

أخرجه مسلم رقم (٩٧٠)

٢- عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: **ألا أبعثك علىٰ ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: «ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»**.

وفي لفظ آخر لمسلم: «**ولا صورة إلا طمستها**». أخرجه مسلم رقم (٩٦٩).

قلت:

يؤخذ من هذين الحديثين ما يلي:

١- تحريم البناء علىٰ القبور.

٢- تحريم تجصيصها.

٣- تحريم القعود عليها.

٤- تحريم تصوير ذوات الأرواح.

٥- وجوب طمس صور ذوات الأرواح.

٦- وجوب هدم ما بني علىٰ القبور أكثر من شبر(١).

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»: «وإذا تقرر لك هذا علمت أن رفع القبور ووضع القباب، والمساجد، والمشاهد عليها قد لعن رسول الله ﷺ فاعله تارة... كما تقدم.

وتارة قال: «**اشتد غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية.

---

(١) **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- في هدم مسجد الضرار**: «ففي هذا دليل علىٰ هدم ما هو أعظم فسادًا منه كالمساجد المبنية علىٰ القبور؛ فإن حكم الإسلام فيها أن تهدم كلها حتىٰ تسوَّىٰ بالأرض وهي أولىٰ بالهدم من مسجد الضرار، وكذلك القباب التي علىٰ القبور يجب أن تهدم كلها؛ لأنها أُسست علىٰ معصية الرسول؛ لأنه قد نهىٰ عن البناء علىٰ القبور... فبناء أسس علىٰ معصية ومخالفة بناء غير محترم...». «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٢٧)، وانظر: «تحذير المسلمين من الغلو في قبور الصالحين» (ص٦٤-٦٦).

وذلك ثابت في الصحيح، وتارة نهىٰ عن ذلك، وتارة بعث من يهدمه، وتارة جعله من فعل اليهود والنصارىٰ.

وتارة قال: «**لا تتخذوا قبري وثنًا**».

وتارة قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»؛ أي: موسمًا يجتمعون فيه، كما صار يفعله كثير من عُباد القبور، يجعلون لمن يعتقدونه من الأموات أوقاتًا معلومة يجتمعون فيها عند قبورهم، ينسكون لها المناسك، ويعكفون عليها، كما يعرف ذلك كل أحد من الناس من أفعال هؤلاء المخذولين، الذين تركوا عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم ثم يميتهم ويحييهم وعبدوا عبدًا من عباد الله، صار تحت أطباق الثرىٰ، لا يقدر علىٰ أن يجلب لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضرًّا، كما قال رسول الله ﷺ فيما أمره ربه أن يقول: ﴿**لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا**﴾ [الأعراف:١٨٨].

فانظر كيف قال سيد البشر وصفوة الله من خلقه بأمر ربه أنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وكذلك قال فيما صح عنه: «**يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

فإذا كان هذا قول رسول الله ﷺ في نفسه وفي أخص قرابته به وأحبهم إليه، فما ظنك بسائر الأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلًا مرسلين؟

بل غاية ما عند أحدهم أنه فرد من أفراد هذه الأمة المحمدية، وواحد من أهل هذه الملة الإسلامية؟ فهو أعجز وأعجز أن ينفع أو يدفع عنها ضررًا.

وكيف لا يعجز عن شيء قد عجز عنه رسول الله ﷺ وأخبر به أمته كما أخبر عنه، وأمره بأن يقول للناس بأنه لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، وأنه لا يغني عن أخص قرابته من الله شيئًا؟

فيا عجبًا! كيف يطمع من له أدنىٰ نصيب من علم، أو أقل حظ من عرفان أن ينفعه أو يضره فرد من أفراد أمة هذا النبي الذي يقول عن نفسه هذه المقالة؟ والحال أنه فرد من التابعين له المقتدين بشرعه.

فهل سمعت أذناك -أرشدك الله- بضلال عقل أكبر من هذا الضلال الذي وقع في عباد أهل القبور؟! ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]».

انتهىٰ من شرح الصدور (ص٧٥-٧٦) ضمن مجموعة التوحيد، طبع وزارة الإعلام والثقافة بصنعاء.

وقال الإمام الشوكاني أيضًا -رحمه الله تعالىٰ- عند شرحه لحديث: «ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته» كما في «النَّيل» (١٥/ ١٠١-١٠٢): «فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعًا كثيرًا من غير فرق بين من كان فاضلًا ومن كان غير فاضل.

والظاهر أن رفع القبور زيادة علىٰ القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد، وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف بلا نكير كما قال الإمام يحيىٰ والمهدي في الغيث لا يصح؛ لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك، والسكوت لا يكون دليلًا إذا كان في الأمور الظنية، وتحريم رفع القبور ظني، ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولًا أوليًّا، القبب والمشاهد المعمورة علىٰ القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك كما سيأتي.

وكم قد سرىٰ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام؛ منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعَظُم ذلك فظنوا أنها قادرة علىٰ جلب النفع ودفع الضرر؛ فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدَعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا، ولا أميرًا ولا وزيرًا، ولا ملكًا.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيرًا من هؤلاء القبوريين، أو

أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجرًا؛ فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني؛ تلعثم وتلكأ، وأبىٰ واعترف بالحق؛ وهذا من أبين الأدلة الدالة علىٰ أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالىٰ ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة.

فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزءٍ للإسلام أشد من الكفر؟! وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟! وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبًا؟!!

لقد أسمعت لو ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارًا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رمادِ»

انتهىٰ.

وقد نقل هذا الإمام المحدث الألباني في كتابه «أحكام الجنائز» (ص٢٦٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣١٩): «وهذه المشاهد الباطلة: إنما وضعت مضاهاة لبيوت الله وتعظيمًا لما لم يعظمه الله، وعكوفًا علىٰ أشياء لا تنفع ولا تضر، وصدًّا للخلق عن سبيل الله».



تحريم الصلاة إلى القبور

عن أبي مرثد الغنوي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصلوا إلىٰ القبور، ولا تجلسوا عليها**». أخرجه مسلم رقم (٩٧٢).

قلت: النص صريح في تحريم الصلاة إلىٰ القبور، وفي تحريم الجلوس عليها، كما هي القاعدة الأصولية: «الأصل في النهي التحريم إلا لصارف».

ولا صارف له هنا، فليتقِ الله رجال يخالفون أوامر الله وأوامر رسول الله ﷺ، وليتذكروا قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣](١).

---

(١) هذا الباب متعلق بالباب الذي قبله؛ فإن الناس إذا قصدوا الصلاة عند القبور كان ذلك ذريعة إلىٰ تعظيمها والشرك بالله تعالىٰ، ومؤدٍّ إلىٰ البناء عليها وغير ذلك من الشركيات.

ومن القواعد الشرعية: «سد الذرائع المفضية إلىٰ الشرك واجب»، فيجب أن يغلق كل باب موصل إلىٰ الشرك بالله، ومن ذلك اتخاذ القبور مساجد، سواء صلىٰ إلىٰ القبور، أو بنىٰ مسجدًا عليها، ولهذا لا تصح الصلاة في مسجد بني علىٰ قبر لقوله ﷺ: «**فلا تتخذوا القبور مساجد**». رواه مسلم عن جندب ﷺ.

وقوله: «**الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام**». رواه أبو داود عن أبي سعيد ﷺ.

وسئل الإمام ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: ما حكم الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر أو بساحته أو في قبلته؟

فأجاب: إذا كان في المسجد قبر فالصلاة غير صحيحة سواء كان خلف المصلين أو أمامهم، أو عن أيمانهم أو عن شمائلهم، لقول النبي ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». متفق علىٰ صحته؛ ولأن الصلاة عند القبر من وسائل الشرك، والغلو في أهل القبور؛ فوجب منع ذلك عملًا بالحديث المذكور وما جاء في معناه، وسدًّا لذريعة الشرك. اهـ بتصرف يسير «فتاوىٰ أركان الإسلام/ الصلاة» (س١٥).

وانظر: «الجامع الفريد في شرح كتاب التوحيد» (١/ ٧٢٥-٧٢٦، وص٧٩٧-٧٩٩)، وانظر: كتاب «عمارة القبور» للمعلمي.

حكم الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور[1]

(١) هذه الزيارات تسمىٰ بالموالد غالبًا، وهي تختلف من قبر لآخر فبعض القبور يزار مرات في السنة، وبعضها مرة واحدة، وهذه الموالد اشتهرت في عهد الدولة الفاطمية ثم توسع الأمر جدًّا، وقد تحدد الزيارات غالبًا في رجب وشعبان.

وسبب هذه الاجتماعات والموالد اعتقاد أن لصاحب القبر قدرة علىٰ النفع والضر، ودفع البلاء، فينطلقون نحو هذه القبور متقربين إليها بالنذور والذبائح والدعاء والاستغاثة، وسائر أنواع الشرك.

ولك أن تعجب إذا علمت أنه في عام ١٩٩٥م، وما قبله، وما بعده أنه يُقَدَّر أن أكثر من خمسين مليونًا يتوجهون إلىٰ القبور ممن يدَّعون الإسلام في شتىٰ بلاد المسلمين، ويشتهر منها مولد البدوي الذي حضره عام ١٩٩٦م حوالي ثلاثة ملايين، ومولد الدسوقي نحو المليون، وهكذا قبر الحسين بكربلاء يقصده نحو خمسة ملايين... إلخ.

واقرأ ما كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي -رحمه الله تعالىٰ- مما رآه عند قبر البدوي قال: «وشاهدنا الغلو في الزيارة الأحمدية كالسجود علىٰ عتبة الضريح والتمسح بقفصه...» اهـ

وذكر الشيخ رشيد رضا -رحمه الله تعالىٰ-: أنه رأىٰ جماعة تطوف حول قبر البدوي الذي تحول إلىٰ كعبة ثانية... اهـ

وقال الكاتب عرفة عبده يصف ما رأىٰ: «ومنهم من يتشبث بالضريح، معانقًا ومقبلًا، ومن لم يستطع الوصول إليه يقف ملوحًا بيده...». اهـ

وفي إرتيريا يقصد كثير من القبوريين الأضرحة حاملين معهم الأغنام والأبقار والسكر والقهوة والشاي، وغيره من الأموال ليقدموها قربانًا إلىٰ صاحب الضريح، ويطوفون بالقبر ويطلبون قضاء الحاجات وتفريج الكربات...

وفي اليمن عند قبر ابن علوان كذلك، وفي إحدىٰ قرىٰ واصب السافل يزار الولي (المشرع) في حياته ويحبىٰ له علىٰ الركب من باب الدار حتىٰ الوصول إليه ويُقبل من قدمه إلىٰ رأسه، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله تعالىٰ.

وأما قبر الجيلاني فالشرك واسع النطاق، وقد فاقت نفقة الدولة العثمانية علىٰ قبره نفقتها علىٰ الحرمين...

=

سؤال: هل هذه الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور والتي يقع فيها الرقص والاختلاط وغير ذلك من أنواع المنكرات فهل يقرها الشرع؟

الجواب -والله الموفق للصواب-:

إن هذه الزيارات السنوية المحددة لبعض القبور والتي يقع فيها الرقص والاختلاط وغير ذلك من أنواع المنكرات لا يقرها الشرع، بل هي من الأمور المحدثة في الدين، والعادات السيئة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والواجب على المسئولين -ثبتنا الله وإياهم على الحق- والعلماء -وفقنا الله وإياهم- أن يغيروا مثل هذا المنكر الشنيع الذي يدعو إلى هدم العقيدة الإسلامية من قلوب الرجال والنساء بدعائهم وذبحهم ونذرهم لغير الله.

ويدعو إلى تدهور الأخلاق والقيم الإسلامية، وقد سبقت أدلة التحذير من البدع فراجعه.

وهذه من البدع لكونهم خصوا زمانًا ومكانًا وقبرًا بدون دليل شرعي، وقد ينضم إليها بعض المنكرات والشركيات -والعياذ بالله-.

ثم اعلموا -وفقني الله وإياكم- أن زيارة القبور تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي كما يلي:

١- زيارة شرعية.

٢- زيارة بدعية.

٣- زيارة شركية.

=

انظر: «دمعة على التوحيد» (ص٤٤، ٤٨، ٦٤ وغيرها)، «تحذير المسلمين» (ص٣٩-٤١).

وهكذا المنكرات كثيرة لا تحصى: اللهم يا ولي الإسلام والمسلمين، يا قوي، يا قهار يسر بهدم تلك القباب والمشاهد، وامح تلك الشركيات.

وإننا نحمد الله تعالى فقد طُمست كثير من معالم الشرك وهُدمت آلاف القباب في بقاع كثيرة من الأرض إلا أنه لا يزال الشر كثيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

١- **فأما الزيارة الشرعية:** فهي التي شرعها الإسلام وتوفَّر فيها هذه الشروط الثلاثة:

أ- ألا يشد الرحال إليها:

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تشدوا الرحال إلا إلىٰ ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ**».

أخرجه البخاري رقم (١١٣٩) بلفظ: «**لا تشد الرحال**».

ومسلم في الحج (٢/ ٩٧٦) الرقم الخاص (٤١٥) واللفظ له.

ورواه البخاري رقم (١١٣٢)، ومسلم رقم (١٣٩٧) عن أبي هريرة بلفظ النفي.

ب- ألا يقول الزائر هُجرًا:

وعن بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**».

أخرجه مسلم رقم (٩٧٧)، والنسائي في الجنائز باب: ١٠٠ (٤/ ٨٩) بلفظ: «... **نهيتكم عن زيارة القبور فمن، أراد أن يزور فليزر ولا تقولوا هجرًا**». وإسناده صحيح.

وقوله ﷺ: «**... ولا تقولوا هُجْرًا**».

الهجر: بضم الهاء هو الكلام الفاحش، راجع إن شئت النهاية لابن الأثير (٥/ ٢٤٥).

قلت:

فانظر -رحمك الله- كيف نهانا رسول الله ﷺ عن القول الفاحش والباطل عند زيارة القبور، وأي قول أعظم فحشًا وبطلانًا من أن تدعو الأموات من دون الله، وتستغيث بهم من دون الله، فهذا والله لهو منتهىٰ الفحش والبطلان، ولكن الأمر كما قال الله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٦] في أحد عشر موضعًا في القرآن

الكريم وهي:

[الأعراف:١٨٧، يوسف:٢١، ٤٠، ٦٨، النحل:٣٨، الروم:٦، ٣٠، سبأ:٢٨، ٣٦، غافر:٥٧، الجاثية:٢٦].

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

٣- ألا تخص بزمن إذ لا دليل على التخصيص.

٢- وأما الزيارة البدعية، فهي التي تفقد شرطًا من هذه الشروط فضلًا عن أكثر.

٣- وأما الزيارة الشركية، فهي التي وقع صاحبها في نوع من أنواع الشرك بالله، كدعاء غير الله أو الذبح لهم أو النذر لهم أو الاستغاثة بهم، أو الاستعاذة بهم أو طلب الولد، أو طلب المدد أو المطر أو الشفاء، أو دفع عدوٍّ وضرٍّ وجلب نفع إلى غير ذلك من أنواع الشركيات.

وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٦٥-١٦٦).



حكم من جعل المقابر طرقًا وملاعب[١]

سؤال: هل يجوز جعل المقابر طرقًا ومواقف للسيارات، وبناء الدكاكين عليها وغير ذلك من أنواع الإهانة؟

الجواب -والله الموفق للصواب:

إن الاعتداء والظلم حرام سواء كان على الأحياء أو على الأموات، بل إنه على الأموات أشد حرمة لهذين الحديثين النبويين الشريفين:

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خير له من أن يجلس على قبر**».

أخرجه مسلم رقم (٩٧١).

٢- عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصف نعلي برجلي، أحب إليَّ من أن أمشي على قبر مسلم، وما أبالي أوسط القبور قضيت حاجتي أو وسط السوق**»[٢].

رواه ابن ماجه (١/ ٤٩٩) بإسناد صحيح، انظر: الجامع الصحيح، للشيخ مقبل -رحمه الله تعالى- (٢/ ٢٨٠).

---

(١) ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

الجواب: لما ذكر المؤلف الغلو في القبور وخطره وضرره، أردفه بهذا الباب ليبين أنه كما أن الغلو محرم، كذلك الاستهانة بالقبور محرمة، وهو رد على الذين يزعمون أن دعاة التوحيد لا يحترمون موتى المسلمين، والله أعلم.

(٢) قوله: «**أخصف نعلي برجلي**».

الخصف: الترقيع؛ أي: إن أمكن هذا خصف النعل بالرجل فهو شديد مؤلم فاختار أن المشي على الجمر المحرق أو السيف الممزق للرجل أهون من المشي على القبر.

وقوله: «**وما أبالي...**». إلخ؛ يعني: أنهما سواء في الحرمة، والمنكر.

قلت:

وعليه؛ فلا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يؤذي أخاه المسلم حيًّا كان أو ميتًا، وعلىٰ الدولة أن تمنع الظَّلمة الذين يتخذون المقابر طرقًا وأسواقًا ومجالس عليها يتكئون.

وعلىٰ العلماء بيان الحق الذي عليهم، والله الموفق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «الاقتضاء» (ص٣٢٥): «فإن قبر المسلم له من الحرمة ما جاءت به السنة، إذ هو بيت المسلم الميت، فلا يترك عليه شيء من النجاسات بالاتفاق، ولا يوطأ، ولا يداس، ولا يتكأ عليه عندنا وعند جمهور العلماء.

ولا يجاور بما يؤذي الأموات من الأقوال والأفعال الخبيثة، ويستحب عند إتيانه السلام علىٰ صاحبه، والدعاء له، وكلما كان الميت أفضل كان حقه أوكد».

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «أحكام الجنائز» (ص٢٩٨-٢٩٩): «ومنه تعلم تحريم ما ترتكبه بعض الحكومات الإسلامية من درس بعض المقابر الإسلامية ونبشها من أجل التنظيم العمراني، دون أي مبالاة بحرمتها، أو الاهتمام بالنهي عن وطئها وكسر عظامها ونحو ذلك.

ولا يَتَوَهَّمَن أحد أن التنظيم المشار إليه يُسَوِّغ مثل هذه المخالفات، كلا، فإنه ليس من الضروريات وإنما هو من الكماليات التي لا يجوز بمثلها الاعتداء علىٰ الأموات، فعلىٰ الأحياء أن ينظموا أمورهم دون أن يؤذوا موتاهم.

ومن العجائب التي تلفت النظر أن ترىٰ هذه الحكومات تحترم الأحجار والأبنية القائمة علىٰ بعض الموتىٰ أكثر من احترامها للأموات أنفسهم، فإنه لو وقف في طريق التنظيم المزعوم بعض هذه الأبنية من القباب أو الكنائس ونحوها تركتها علىٰ حالها، وعَدَّلَت من أجلها خارطة التنظيم إبقاءً عليها؛ لأنهم يعتبرونها من الآثار القديمة!!

وأما قبور الموتىٰ أنفسهم فلا تستحق عندهم ذلك التعديل!!». انتهىٰ.

وسئل **الشيخ مقبل بن هادي الوادعي** -حفظه الله- عمن جعل المقابر سوقًا، كما في «قمع المعاند» (١/ ١٦٥).

فأجاب: «المقبرة تعتبر بيوت الموتىٰ، فلا يجوز لأحد أن يجلس علىٰ قبر ولا يجوز أن تمر السيارات علىٰ المقبرة ولا أن يجلس علىٰ قبر... ولا أن يمر الناس علىٰ المقبرة، ولا أن يحول موضع المقبرة إلىٰ ملعب ولا معهد ولا مدرسة ولا مسجد إلىٰ غير ذلك من المصالح.

والواجب علىٰ المسلمين أن يتناهوا عن هذا، حتىٰ لو بنيت بيتًا من خمسة طوابق أو أكثر وهو علىٰ المقبرة فلا يجوز أن تسكن فيه؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ عن الجلوس علىٰ القبر». انتهىٰ بتصرف.



تحريم أذية المسلمين[(١)]

قال الإمام الترمذي في «جامعه» (٤/ ٣٧٨ رقم (٢٠٣٢)): حدثنا يحيىٰ بن أكثم والجارود بن معاذ قالا: حدثنا الفضل بن موسىٰ حدثنا الحسين بن واقد عن أوفىٰ بن دلهم عن نافع عن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادىٰ بصوت رفيع فقال: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلىٰ قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضَحْه ولو في جوف رحله**»[(٢)].

رجال السند:

يحيىٰ بن أكثم: هو الفقيه القاضي، وفي التقريب: صدوق وفيه كلام. انظره: في التهذيب (١١/ ١٧٩) لكنه هنا مقرون بالجارود.

والجارود بن معاذ: وثقه النسائي كما في التهذيب (٢/ ٥٣).

والفضل بن موسىٰ: وثقه غير واحد. انظر: التهذيب (٧/ ٢٨٦).

والحسين بن واقد: قاضي مرو وثقه يحيىٰ بن معين، وقال أبو زرعة والنسائي: ليس به بأس. انظر: التهذيب (٢/ ٣٧٣).

وأوفىٰ بن دلهم: وثقه النسائي. انظر: التهذيب (١/ ٣٨٥).

ونافع: هو مولىٰ عبد الله بن عمر، قال في التقريب: ثقة ثبت فقيه.

وابن عمر: هو عبد الله بن عمر صحابيٌّ ابن صحابيٍّ.

قلت: فالحديث صحيح -والحمد لله- وفيه تحريم أذية المسلمين وتحريم

---

(١) أورد المؤلف هذا الباب في كتاب التوحيد... ما هي المناسبة؟

لعل ذلك تابع للباب الذي قبله إذ إن جعل المقابر طرقًا وسوقًا مؤاذاة لهم... وقيل غير ذلك. انظر: «أيسر الشروح» (ص١٠٣).

(٢) قوله: «**ولم يفض الإيمان إلىٰ قلبه**»؛ أي: لم يتمكن منه ويكمل، بل إيمانه ضعيف ناقص.

تعييرهم وتحريم تتبع عوراتهم.

وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع رقم (٧٩٨٥).

وانظر: الجامع الصحيح للشيخ مقبل (١/ ٢٨٥-٢٨٦).



الدعوة إلى الله(١)

الدعوة إلىٰ الله من أعظم الطاعات والقربات، ولهذا أمر الله عباده بها.

١ - فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ

---

(١) مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد هي: **أن الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ**، وإلىٰ توحيده عبادة يجب إفراد الله تعالىٰ بها، كما سيأتي **كلام شيخ الإسلام في آخر الباب**.

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- في «كتاب التوحيد»: «باب: الدعاء إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله».

قال العلامة ابن قاسم -رحمه الله تعالىٰ-: «والدعوة إلىٰ الله هي الدعوة إلىٰ توحيده والإيمان به وبما جاءت به رسله، وذلك يتضمن الدعوة إلىٰ أركان الإسلام وأصول الإيمان والإحسان... وأول ما يبدأ به الدعوة إلىٰ التوحيد الذي هو معنىٰ الشهادة، كما هو شأن المرسلين وأتباعهم كالمصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه». «الجامع الفريد» (١/ ٢٤٨-٢٤٩).

وقال العلامة الفوزان -غفر الله له-: «لا ينبغي لمن عرف التوحيد أن يقتصر علىٰ نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم...». «الجامع الفريد» (١/ ٢٧٠).

وقال العلامة صالح آل الشيخ -غفر الله له-: «من تمام التوحيد أن يدعو المرء غيرَه إلىٰ التوحيد؛ فإنه لا يتم في القلب حتىٰ تدعو إليه». «الجامع» (١/ ٢٧٦).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «والدعوة إلىٰ الله هي الدعوة إلىٰ الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا ...». (١٥/ ١٥٧).

فمن خلال هذه النقولات اتضح جليًّا مناسبة هذا الباب للكتاب.

حكم الدعوة: اتفق العلماء علىٰ وجوب الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، قيل: واجب كفائي، وقيل: واجب عيني.

ورجح ابن القيم أنها واجب عيني -كما سيأتي عند الآية الأولىٰ- علىٰ كل مسلم حسب استطاعته وعلمه.

انظر: «منهج ابن القيم في الدعوة إلىٰ الله» (١/ ص٤٥-٥١)، ط. أضواء السلف.

ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

٢- وقال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

٣- وقال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [القصص:٨٧].

٤- وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣].

٥- وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد:٣٦].

٦- وقال ﷻ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٦٧].

٧- وقال مؤمن آل فرعون: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر:٤١-٤٢].

٨- وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا [(١)] ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

---

(١) ذكر المؤلف جملة من الآيات تدل علىٰ وجوب الدعوة وأهميتها.

١- [يوسف:١٠٨]: **قال ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-:** «قال الفراء وجماعة ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ معطوف علىٰ الضمير في أدعو، يعني: ومن اتبعني يدعو إلىٰ الله كما أدعو، وهذا قول الكلبي، قال: حق علىٰ كل من اتبعه أن يدعو إلىٰ ما دعا إليه، ويذكِّر بالقرآن والموعظة.

وإذا كانت الدعوة إلىٰ الله أشرف مقالات العبد وأجلها وأفضلها؛ فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلىٰ حد يصل إليه السعي، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يجوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء». «مفتاح دار السعادة» (١٦٧-١٦٨).

وقال: «والآية تدل علىٰ أن أتباعه هم أهل البصائر الداعين إلىٰ الله علىٰ بصيرة، فمن ليس منهم فليس من أتباعه علىٰ الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه علىٰ الانتساب
=

=

والدعوىٰ...». «المدارج» (٢/ ٤٨٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الدعوة لا تصح إلا بالعلم لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾.

ولا يمكن أن يكون الإنسان **داعية حتىٰ يكون عالمًا بما يدعو إليه**». «الصحوة» (ص٢٨٤).

وقال (ص٢٥): «إن الدعوة **إلىٰ الله علىٰ غير علم خلاف** ما كان عليه النبي ﷺ ومن اتبعه... فيجب علىٰ الداعية **أن يكون علىٰ بصيرة في ثلاثة أمور**:

أولًا: أن يكون علىٰ بصيرة **فيما يدعو إليه**...

ثانيًا: أن يكون علىٰ بصيرة **بحال المدعو**.

ثالثًا: أن يكون علىٰ بصيرة في كيفية الدعوة». اهـ بتصرف.

وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾؛ أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلىٰ الله بها علىٰ بصيرة...». اهـ

والبصيرة: العلم واليقين.

وقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ تنبيه علىٰ الإخلاص.

وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ لا إلىٰ ملك أو حظ أو مال أو شأن من شئون الدنيا، بل إلىٰ توحيد الله واتباع شرعه». اهـ «الجامع الفريد» (١/ ٢٥٨).

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ إشارة إلىٰ أن من دعا إلىٰ غير الله فقد أشرك هواه، أو ما يدعو إليه، والله أعلم.

٢- [النحل:١٢٥]: **قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-**: «ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبًا للحق راغبًا فيه محبًّا له علىٰ غيره، فهذا يدعىٰ بالحكمة ولا يحتاج إلىٰ جدال، وإما أن يكون معرضًا مشتغلًا بضد الحق -عنده نوع غفلة-، ولكن لو عرفه قبله وآثره واتبعه؛ فهذا يحتاج مع الحكمة إلىٰ الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معاندًا معارضًا فهذا يجادل بالتي هي أحسن؛ فإن رجع إلىٰ الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلىٰ الجلاد إن أمكن...». «بدائع التفسير» (٣/ ٦٤-٦٧). بتصرف يسير.

الحكمة: وضع الشيء في موضعه.

=

=

وقال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: كل أحد علىٰ حسب فهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبُداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلىٰ الأذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين.

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾؛ وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب...». اهـ بتصرف.

﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي: من احتاج منهم إلىٰ مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب... (ابن كثير).

قال السعدي: «إن كان المدعو يرىٰ أن ما هو عليه حق أو كان داعية إلىٰ الباطل فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعىٰ لاستجابته عقلًا ونقلًا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها فإنه أقرب إلىٰ حصول المقصود، وألا تؤدي المجادلة إلىٰ خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، بل يكون القصد هداية الخلق إلىٰ الحق لا المغالبة ونحوها». اهـ

٣- [القصص:٨٧]: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ أي: اجعل الدعوة إلىٰ ربك منتهىٰ قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه من رياء أو سمعة أو موافقة أغراض أهل الباطل، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾؛ لا في دعوتك ولا في عملك.

فدلت الآية علىٰ أن التوحيد هو عمود الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ التي لا تقوم إلا به.

٤- [فصلت:٣٣]: أي: لا أحد أحسن قولًا؛ أي: كلامًا وطريقة وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين ومجادلة المبطلين، وبالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها والحث عليها وتحسينها مهما أمكن والزجر عما نهىٰ الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، والنهي عن الكفر والشرك...

﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾؛ أي: مع دعوته الخلق إلىٰ الله، بادر هو نفسه إلىٰ امتثال أمر الله بالعمل الصالح الذي يرضي ربه، -والعمل الصالح: هو الخالص لوجه الله تعالىٰ الموافق لشرعه-.

﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ أي: المنقادين لأمره السالكين في طريقه، وهذه المرتبة تمامها للصديقين الذين عملوا علىٰ تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم.

ويستفاد من الآية أن أشر الناس من دعا إلىٰ غير الله وعمل سيئًا... (السعدي: بتصرف وزيادة).

٥- [الرعد:٣٦]: الشاهد ﴿إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ مئاب؛ أي: مرجعي.

٦- [الحج:٦٧]: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وحده لا شريك له ولا تلتفت إلىٰ اعتراض المعترضين

=

والأدلة من السنة كثيرة منها:

١- عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**». رواه مسلم رقم (١٨٩٣).

٢- عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**». رواه مسلم رقم (٢٦٧٤).

٣- عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسولَهُ، ويحبه اللهُ**

=

وبالتالي بإرجافهم وشبههم.

﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ لا اعوجاج فيه، والهدى: هو الحق، مع العلم به والعمل بما جاء به، فكن على ثبات وثقة من أمرك ويقين من دينك؛ فإن ذلك يوجب لك الصلابة فيه والمضي لما أمرك به ربك.

٧- [غافر:٤١-٤٢]: دلت الآية على أن من دعا إلى الله تعالى وإلى توحيده وعبادته فهو داعٍ إلى نجاة الخلق في الدنيا والآخرة، وأن من دعا إلى غير الله تعالى إلى الشرك أو البدع والحزبيات أو المعاصي؛ فإنه جاهل داعٍ إلى النار.

٨- [الأحزاب:٤٥-٤٦]: **قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-**: «فالدعوة إلى الله هي وظيفة المرسلين وأتباعهم... وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء، وخلفاؤهم في أممهم -جعلنا الله منهم بمنه وفضله-». «بدائع التفسير» (٤/ ١٠٣).

قوله: ﴿شَـٰهِدًا﴾؛ أي: شاهدًا على أمته بما عملوه من خير أو شر، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ بما أعد الله للمؤمنين، ﴿وَنَـٰذِيرًا﴾ لمن أعرض وكفر بما أعد الله لهم من العذاب المهين، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ أرسله الله تعالى يدعو الخلق إلى ربهم، ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾؛ أي: أن الناس كانوا في ظلمات الجهل والشرك فجاء الله تعالى بهذا الرسول الكريم فأضاء لهم به طريق العلم والتوحيد؛ فهدى به من الضلالة إلى الصراط المستقيم.

ورسولُه». فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا إلىٰ رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**». فقيل: يا رسول الله هو يشتكي عينيه. قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له، فبرأ حتىٰ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلىٰ الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[1].

رواه البخاري رقم (٣٤٩٨)، ومسلم رقم (٢٤٠٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه القيم «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٥٣): «من دعا إلىٰ غير الله فقد أشرك، ومن دعا إليه بغير إذنه فقد

---

(١) ثنىٰ المؤلف بذكر ثلاثة أحاديث في فضل الدعوة ووجوبها:

١- [حديث ابن مسعود]: معناه: أن الدال علىٰ الخير أيًّا كان له أجر مماثل لأجل فاعل الخير في الجملة إلا أن فاعل الخير يزاد له بقدر ما يباشر من الفعل والنية والصبر علىٰ فعل الخير وغير ذلك مما لا يلحق الدال.

٢- [حديث أبي هريرة]: بيَّن أن من دعا إلىٰ هدىٰ -وهو الحق علمًا وعملًا- سواءً كان ذلك بالتعليم، أو الدعوة، أو الجهاد، أم اقتدوا به عند عمله بالهدىٰ، أو غير ذلك من أنواع الدعوة الموافقة للحق؛ فإنه يجازىٰ من الأجور مثل أجور من تبعه؛ لأنه تسبب في هدايتهم أو دلالتهم، وهذه هي التجارة الرابحة.

وعكس ذلك تتابع الأوزار علىٰ دعاة الضلالة؛ لأنهم تسببوا في إضلال أتباعهم... والآيات في هذا الباب كثيرة كما في سورة الأعراف وسبأ وغيرهما.

٣- [حديث سهل]: الشاهد قوله: «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام...**» إلخ؛ أي: إلىٰ توحيد الله تعالىٰ وطاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ فإن أجابوا أخبرهم بما يجب علىٰ المسلم من فرائض، ثم بيَّن لعليٍّ فضل الدعوة، و أن الداعية إذا حصل علىٰ يديه هداية رجل واحد فذلك خير له من أنفس الأموال الدنيوية...

انظر شرح الحديث في: «الجامع الفريد» (١/ ٢٥٠-٢٨٧).

ابتدع، والشرك بدعة، والمبتدع يئول إلىٰ الشرك ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك...».

قلت:

فليحذر المسلم كل الحذر من أن يدعو الناس إلىٰ حزبية أو بدعة، وإنما يدعو الناس إلىٰ خالقهم ﷻ وبما شرع الله لا بالبدع والأهواء.



أهل السنة لا يكفِّرون أحداً من المسلمين[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- في كتابه القيم «العقيدة الواسطية» (ص٦٧): «ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة لمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال ﷻ في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩-١٠].

ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢].

وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢].

وقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نَهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**.

---

(١) سبق الكلام علىٰ الكفر وأنواعه في باب (نواقض الإسلام)، وفي باب (ملخص الكفر) وغيرها.

ثم إن المصنف أفرد هذا الباب لأهميته.

رواه البخاري رقم (٢٣٤٣)، ومسلم رقم (٥٧) عن أبي هريرة.

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطىٰ الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1].

وقال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله».

انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتحقيق الشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣١٦).

وقال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالىٰ- أيضًا: «ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم ولا نقنِّطهم».

انظر: شرح العقيدة الطحاوية، بتحقيق شيخنا محدث العصر الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ- (ص٣٢٥).

وقال موفق الدين بن قدامة المقدسي في كتابه «لمعة الاعتقاد الهادي إلىٰ سبيل الرشاد» (ص٢٧): «ولا نجزم لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسنين ونخاف علىٰ المسيء، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل». انتهىٰ كلامه -رحمه الله تعالىٰ-.

---

(١) «أهل القبلة» هم المسلمون، وإن كانوا عصاة، وقوله: «بمطلق المعاصي» مطلق الشيء؛ يعني: أصل الشيء، ومطلق المعصية لا يكون كفرًا، وقوله: «كما يفعله الخوارج» الذين يقولون إن فاعل الكبيرة كافر، ولهذا خرجوا علىٰ المسلمين واستباحوا دماءهم وأموالهم...

ووجه الدلالة من الآيات أن فاعل الكبيرة لا يكفر؛ لأن الله سمىٰ المقتول أخًا للقاتل مع أن قتل المؤمن كبيرة من كبائر الذنوب، وأن فاعل الكبيرة لا يخرج من الإيمان...

وقوله: «الفاسق الملي» الفاسق: هو الخارج عن الطاعة، (الملي) الذي لا يزال علىٰ ملة الإسلام، وقوله في الحديث: «وهو مؤمن»؛ أي: ليس كامل الإيمان.

وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة فأوجبوا له الخلود في النار ومذهبهم باطل، سبق بيان الرد علىٰ بعض شبههم في باب: (وجوب الحكم بما أنزل الله).

قلت: فأنت ترىٰ هذه النقولات الموثقة عن أهل السنة والجماعة، وقد اخترت لك النقل من هذه الكتب الثلاثة؛ لأنها تدرس في مدارس ومساجد أهل السنة والجماعة في أنحاء العالم، ومن أراد الوقوف علىٰ عقيدة أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلًا؛ فليعُد إلىٰ هذه الكتب الثلاثة وغيرها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأهل السنة في هذه المسألة كغيرها من مسائل الشرع لا يتصرفون فيها بعقولهم وإنما يعودون إلىٰ الكتاب والسنة، ولا يحكمون إلا بالدليل الشرعي.

فمن حكم الله ورسوله له بالإسلام فهو مسلم، ومن حكم اللهُ ورسولُه له بالكفر فهو كافر ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف:٤٠، ٦٧، والأنعام:٥٧].

والأدلة من السنة كثيرة منها:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما رجل قال لأخيه: يا كافر؛ فقد باء بها أحدهما**».

رواه البخاري رقم (٥٧٥٣)، ومسلم رقم (٦٠).

٢- عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**لا يرمي رجلٌ رجلًا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**». رواه البخاري رقم (٥٦٩٨)، ومسلم رقم (٦١).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء به أحدهما**». رواه البخاري رقم (٥٧٥٢).

٤- عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من رمىٰ مؤمنًا بكفر فهو كقتله**»[1]. رواه البخاري رقم (٥٧٥٤).

---

(١) يستفاد من هذه الأحاديث التحذير من التسرع في تكفير من لا يستحق ذلك، وبيان تحريم ذلك، وقوله: «**فقد باء بها أحدهما**»؛ أي: أن إثم التكفير يعود علىٰ قائله إلا أن يكون ذلك المقول فيه كافرًا خارجًا من الملة بفعل مكفر، أو اعتقاده، كما سبق في باب نواقض الإسلام.

الإنسان مخير ومسير(١)

(١) اختلف الناس في هذه المسألة علىٰ أقوال:

الأول: قول أهل السنة وهو كما جاء في جواب اللجنة للإفتاء.

وقال ابن أبي العز -رحمه الله تعالىٰ-: «والله تعالىٰ هو الذي جعل العبد فاعلًا مختارًا، وهو الذي يقدر علىٰ ذلك وحده لا شريك له...». (ص٥٠١).

وقال الطحاوي -رحمه الله تعالىٰ-: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد».

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد -غفر الله له-: «إن الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار، فهو مخير باعتبار أن له مشيئة يختار بها وقدرة يفعل بها لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

وقوله: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران:١٣٣].

﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

ولقوله ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن...**». الحديث.

وقوله: «**صلوا قبل المغرب**». قال في الثالثة: «**لمن شاء**». إلىٰ غير ذلك من الأدلة في هذا المعنىٰ.

وهو مسير أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه، لكونه لا يخرج عما قدره الله له فلا يخرج في تخييره عن قدرة الله لقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس:٢٢].

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨].

ولقوله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**». رواه مسلم.

ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين -كون الإنسان مخيرًا باعتبار ومسيرًا باعتبار- كما في قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

فأثبت أن للعبد مشيئة، وبيَّن أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله واقعة بها...

ومما يستحسن في هذا الأمر أن يصحح السؤال؛ فبدلًا من أن يقال: هل الإنسان مسير أو مخير؟ كان الأولىٰ أن يقال: هل للإنسان مشيئة وقدرة؟

والجواب كما تقدم، وتلخيصه: أن يقال: إن للإنسان مشيئة يختار بها، وقدرة يفعل بها، =

أجابت اللجنة الدائمة كما في فتوىٰ (٤٥١٣) بتاريخ ٤/ ١١/ ١٤٠١هـ كما في مجلة البحوث الإسلامية (١٩/ ١٥٩) فقالت:

«الإنسان مخير ومسير:

أما كونه مخيرًا فلأن الله سبحانه أعطاه عقلًا وسمعًا وبصرًا وإرادةً، فهو يعرف بذلك الخير من الشر، والنافع من الضار، ويختار ما يناسبه، وبذلك تعلقت به التكاليف

=

وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله واقعتان بها». اهـ «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص١٣٠-١٣٢). ط. دار ابن خزيمة.

والقول الثاني: قول الجبرية أن الإنسان مسير.

والقول الثالث: قول القدرية أن العبد مخير.

قال الشيخ صالح الفوزان -غفر الله تعالىٰ-: «ومذهب أهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية، فالجبرية يغلون في إثبات القدر حتىٰ يسلبون العبد عن الاختيار فيقولون: العبد ليس له اختيار وأفعاله كلها مجبور عليها فهو آلة يحركها القدر، فصلاته وصيامه وأعماله ليس له فيها اختيار فهو يحرك كما تحرك الآلة، وهذا مذهب باطل.

والقدرية غلوا في إثبات اختيار العبد فنفوا القدر حتىٰ جعلوا العبد يستقل بأفعاله ويخرجونها من إرادة الله ومشيئته، وأن العبد له إرادة مستقلة، فقالوا: هو الذي يخلق فعل نفسه وليس لله فيها تصرف، وهذا مذهب المعتزلة.

وأما أهل السنة فتوسطوا في هذه المسألة وقالوا: إن العبد له اختيار ومشيئة يفعل باختياره، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره فأفعاله خلق لله، وهي فعله وكسبه، فهو الذي يفعل المعاصي ويفعل الطاعات، لكن الله هو المقدر، فلذلك يعاقب علىٰ جرائمه ويثاب علىٰ طاعته، ولو كان يفعل هذا بغير اختيار ما حصل له الثواب والعقاب، فالمجنون لا يؤاخذ، وكذلك المكره الذي ليس له اختيار لا يؤاخذ». اهـ «جامع شروح الطحاوية» (٢/ ٧٦-٧٧).

وكيف يقال إنه مخير مطلقًا، وهذا ينافي الأدلة وكيف يكون في ملك الله ما لا يريد، ثم هو يمرض بغير اختياره ويموت بغير اختياره... إلخ.

انظر: «الإيمان بالقضاء والقدر» (ص١٢٩)، «جامع شروح الطحاوية» (١/ ٢٠٩، و٢/ ١١٠٤) وغيرها.

من الأمر والنهي، واستحق الثواب على طاعة الله ورسوله، والعقاب على معصية الله ورسوله.

وأما كونه مسيرًا:

فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته كما قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢].

وقال سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس:٢٢].

وفي الباب آيات كثيرة، وأحاديث صحيحة كلها تدل على ما ذكرنا لمن تأمل الكتاب والسنة، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه».

انتهى كلام لجنة الإفتاء.



أهل السنة والجماعة وسط بين فِرق الأمة المبتدعة كما أن الأمة وسط في جميع الأمم(١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: «فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة كما أن الأمة وسط في جميع الأمم.

* فهم وسط في باب صفات الله تعالىٰ بين الجهمية أهل التعطيل وبين المشبهة أهل التمثيل.

* وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

* وفي أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين الجهمية والمرجئة.

* وفي أصحاب رسول الله بين الرافضة والخوارج» انتهىٰ كلامه -رحمه الله تعالىٰ-.

وقال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالىٰ- في «التنبيهات اللطيفة علىٰ ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المُنيفة»:

«والمراد بالوسط: العدل الخيار الذين جمعوا كل حق في أقوال الخلف وردوا ما فيها من الباطل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تميل إلىٰ الغلوّ والإفراط، والأمم التي تميل إلىٰ التفريط المهلك، فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل.

---

(١) شرح المؤلف هذا الباب بما فيه الكفاية.

ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتىٰ قتلهم وردَّ دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم وعرفت مقاماتهم الرفيعة التي فضَّلهم الله بها ولم تغلُ في أحد منهم، ومن الأمم من أحلت كل طيب وخبيث، ومنهم من حرم الطيبات غلوًّا ومجافاة.

وهذه الأمة أحل الله لهم الطيبات وحرَّم عليهم الخبائث، ونحو من هذه الأمور التي منَّ الله علىٰ هذه الأمة بالتوسط فيها.

وكذلك أهل السنة والجماعة وسط بين فِرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٥٩-٦٠).

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالىٰ- في تعليقه علىٰ «العقيدة الواسطية»: «يمتاز أهل السنة والجماعة علىٰ غيرهم من فرق أهل الضلالة والبدع بأنهم وسط وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين، فلم يغلوا ولم يفرطوا كفعل أهل البدع، فهم وسط في باب صفات الله بين الجهمية المعطلة والمشبهة، فالجهمية نفوا صفات الباري، والمشبهة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتىٰ شبَّهوا الله بشخصه.

وأما أهل السنة فأثبتوها علىٰ الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل.

وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية غلوا في إثبات القدر وزعموا أن العبد لا فعل له، بل هو بمثابة الشجرة التي تحركها الريح يَمنة ويَسرة.

والقدرية فرَّطوا بجانب الله وقالوا: إن العبد يخلق فعله بدون مشيئة الله وإرادته.

وأهل السنة توسطوا وقالوا: للعبد اختيار مشيئته وليس يخلق فعله، بل الله خالقه وخالق أفعاله، وقالوا: إن مشيئته وإرادته بعد مشيئة الله وإرادته كما قال سبحانه: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم؛ لأن المرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، وزعموا أن العاصي لا يدخل النار، والوعيدية من القدرية وأشباههم أنفذوا الوعيد الوارد في حق العصاة وقالوا: إن السارق والزاني ونحوهم من العصاة إذا لم يتوبوا مخلدون في النار.

وأهل السنة توسطوا في ذلك فقالوا: إن المعاصي تنقص الإيمان وصاحبها تحت المشيئة، وقد يدخل النار ولكن لا يخلد فيها كما جاءت به النصوص عن النبي ﷺ.

وهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، لأن الحرورية والمعتزلة يقولون: إن الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد، ولكن لا يزيد ولا ينقص، فمن أتىٰ بكبيرة كالزنا ونحوه كفر عند الحرورية وصار فاسقًا عند المعتزلة خالدًا في النار، ويقولون: هو في الدنيا ليس مؤمن ولا كافر، ولكن يجعله في منزلة بين المنزلتين وهي الفسق.

وأما المرجئة: وهم الذين قالوا: إن الإيمان قول فقط أو قول وتصديق بالقلب، فهم يرون أن المعاصي لا تنقص الإيمان ولا يستحق صاحبها النار إذا لم يستحلها، والجهمية مثل المرجئة لأنهم يقولون: إن الإيمان مجرد المعرفة.

فأهل السنة توسطوا بين هذه الطوائف الأربع فقالوا: إن الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وقالوا: إن العاصي لا يكون كافرًا لمجرد المعصية ولا مخلدًا في النار خلافًا لقول الخوارج والمعتزلة.

وقالوا أيضًا: إن المعاصي تنقص الإيمان ويستحق صاحبها النار إلا أن يعفو الله عنه، خلافًا للجهمية والمرجئة.

وهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج، لأن الرافضة غلوا في علي وأهل البيت، والخوارج كفَّروا بعض الصحابة وفسقوا بعضهم، وأهل السنة خالفوا الجميع فوالوا جميع الصحابة ولم يغلوا في أحد منهم». انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٦٠-٦١).

فائدة:

قال ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ- في تفسيره عند هذه الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] **قال:** «الوسط هاهنا الخيار والأجود، كما يقال قريش أوسط العرب نسبًا ودارًا؛ أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه؛ أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطىٰ التي هي أفضل الصلوات وهي صلاة العصر...». إلخ. انتهىٰ كلامه -رحمه الله تعالىٰ-.

وقال القاضي عياض: «الوسط العدل والخيار». انظر: شرح النووي علىٰ صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالىٰ- (٣/ ١٢١٥) رقم الحديث (٣١٦١): حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد بن زياد: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالىٰ: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا؛ ما جاءنا من نبي! فيقول لنوح: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلَّغ، وهو قوله -جلَّ ذكره-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾. والوسط: العدل**».

قوله: «**والوسط: العدل**»، **قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٧٢)**: «هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم». اهـ



الخاتمة

إن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلُّها قدرًا، وهو أعظم ما أمر الله به، ولا يقبل الله العمل إلا من موحِّد، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

والتوحيد هو أساس دعوة الرسل جميعًا، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وظل نبينا -عليه الصلاة والسلام- يدعو إلىٰ التوحيد بمكة ثلاث عشرة سنة، وكان يرسل رسله ﷺ إلىٰ الناس فيأمرهم أن يبدءوا بالتوحيد كما قال لمعاذ بن جبل حين أرسله إلىٰ اليمن: «**إنك تقدم علىٰ قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلىٰ أن يوحدوا الله تعالىٰ...**».

رواه البخاري رقم (٦٩٣٧)، ومسلم رقم (٣٠-٣١)، واللفظ للبخاري عن ابن عباس.

ولما كان هذا شأن التوحيد اهتم أهل السنة والجماعة به اهتمامًا كبيرًا، وجعلوه أساس دعوتهم، وصرفوا له جُل أوقاتهم وأعمارهم، واعتنوا به تعلمًا وتعليمًا ودعوة بين الناس.

فليحرص المسلم علىٰ معرفة التوحيد حتىٰ يعبد الله علىٰ علم وبصيرة، وحتىٰ يعرف نواقض التوحيد فيجتنبها.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

أسأل الله تعالىٰ أن ينفع بهذا الكتاب: مؤلفه، وقارئه، وناشره، ومعلمه، الناسَ.

والله حسبنا ونعم الوكيل، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا[١].

المؤلف

الحديدة في: ١٥/ ٥/ ١٤٢١هـ

تم بحمد الله

---

(١) تم التعليق علىٰ هذا الكتاب العظيم، وهو جهد المقل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتبه راجي عفو ربه

أبو عبد الله محمد بن أحمد المصنعي

دار الحديث بمعبر

شهر شعبان لعام ١٤٣٠هـ

ت: ٧١٢٩٣٣١٧٦

فهرس الموضوعات

